نور الحق



سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

نور الحق

بقلم:

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني
الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: نور الحق

الطبعة الحديثة: ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧م

Nūr-ul Ḥaq

By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace and blessings of Allah be upon him)***, the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā'at***

First Published in UK in 2007

By: Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Islamabad

ISBN: 185372 830 6


بسم الله الرحمن الرحيم



يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله

الحمد لله الموفق أني كتبت هذه الرسالة والصحيفة العجالة لعلاج مرض المتنصرين الذي امتدّ مداه

وعرقتهم مُداه وأكلتهم نار إنكار الفرقان والصول على كتاب الله القرآن - فأردنا أن نُنجيهم

من مخالب الحِمام - ونُريهم سوء داءهم ونهديهم إلى دواء السقام - فألّفنا هذا

الكتاب مع إنعام كثير لمن أجاب - وهو خمسة آلاف من الدراهم لكل من

أتى بمثله وأرى العُجاب - وهو بفضل الله حسن وطيب وألطف

وأدق - وسمّيته الحصة الأولى من

نُورُ الحَقّ

عسى ربكم أن يرحمكم

وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم

للكافرين حصيرًا إن هذا القرآن يهدي

للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن

لهم أجرًا كبيرًا

قد طبع في المطبع المصطفائي بريس في لاهور سنة ١٣١١ هجري

بار اول جلد ١٤٠٠ قيمت فى مجلد ١٢

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ألا نَعْبُدَ إلا اللهَ﴾

الحمد لله الموفِّق أني كتبت هذه الرسالة، والصحيفة العُجالة، لعلاج مرض المتنصرين الذي امتدّ مَداه، وعرقتْهم مُداه، وأكلتْهم نارُ إنكار الفرقان والصولِ على كتاب الله القرآن. فأردنا أن ننجيهم من مِخلب الحِمام، ونُريهم سوء دائهم ونهديهم إلى دواء السقام. فألّفنا هذا الكتاب مع إنعام كثير لمن أجاب، وهو خمسة آلاف من الدراهم لكل من أتى بمثله وأرى العُجاب. وهو بفضل الله حسنٌ وطيّبٌ وألطفُ وأدقُّ، وسمّيته الحصة الأولى من

نُور الحق

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيراً﴾

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

لقد ألّف سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتاب بالعربية الفصيحة والبليغة نظمًا ونثرًا بتأييد إلهي خاص، وطبعه في شباط ١٨٩٤م. كان السبب وراء تأليفه أن المسيحيين مُنوا على يد المسيح الموعود عليه السلام بهزيمة نكراء في المناظرة التي جرت بينه عليه السلام وبين القسيس (المرتد عن الإسلام) عبد الله آتهم والتي نشرت تفاصيلها في كتاب نُشر باسم "جنك مقدس" (الحرب المقدسة). لقد كسّرت هذه الهزيمة ظهر المسيحيين وأقضّت مضاجع القساوسة، ليس في الهند فقط بل أقلقت الجمعياتِ المسيحية الأوربية أيضا التي كانت ترسل البعثات التبشيرية إلى الهند، فبدأت تفكر كيف يمكن لها مواجهة الإسلام في المستقبل.

ولإزالة عار هذه الهزيمة، بحسب زعمهم، ألّف "عماد الدين" أحد القساوسة المرتدين عن الإسلام كتابا باسم "توزين الأقوال"، طعن فيه على فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وشنَّ هجومًا شرسًا على عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرّض الحكومة البريطانية على الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قائلا بأنه عدو للحكومة. ثم تناولَ مسألة الجهاد وقال إن القرآن يأمر بالقتال ضد معارضي الإسلام

مهما كانت الظروف. لما بلغ سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتابُ ألف كتابه هذا "نور الحق"، رد فيه على جميع مطاعن القسيس ردا مفحما دامغًا.

والأمر الآخر الذي حدا بحضرته عليه السلام لتأليف الكتاب بالعربية هو أن هؤلاء القساوسة المرتدين عن الإسلام كانوا يذيعون بين الناس أنهم كانوا من علماء الإسلام سابقا ولديهم باع طويلة في اللغة العربية، ويعرفون ما في القرآن من أخطاء لغوية وبلاغية. فألف الإمام المهدي عليه السلام كتابه هذا بالعربية وتحداهم بذكر أسمائهم أن يبارزوه ويؤلفوا بالعربية كتابا مثله إن كانوا في دعواهم صادقين. وفي حالة مبارزتهم وعَدهم بجائزة كبيرة قدرها خمسة آلاف روبية. وفي الوقت نفسه قال عليه السلام إن الله تعالى قد أخبره أن القساوسة لن يخرجوا للمبارزة وليس في نصيبهم إلا الخزي والهوان لأنهم يجهلون العربية جهلا تاما وبالتالي لا يحق لهم أن يطعنوا في بلاغة القرآن الكريم وفصاحته إذ قد سبق أن اعترف بها بلغاء العرب وفصحاؤهم والشعراء الكبار والأدباء العظام. فلم يبارز أحد من معاندي الإسلام كما أنبأ الله تعالى عبده من قبل.

في نهاية الجزء الأول من الكتاب تضرع عليه السلام في حضرة الله ودعا دعاء طويلا جاء فيه:

"يا ربّ.. يا ربّ الضعفاء والمضطرّين، ألستُ منك؟ فقُلْ وإنك خير القائلين. كثُر اللعن والتكفير، ونُسبتُ إلى التزوير، وسمعتَ كله

ورأيتَ يا قدير، فافتَحْ بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين. ونَجِّني من علماء السوء وأقوالهم، وكِبرهم ودلالهم، ونَجِّني من قوم ظالمين. وأَنْزِلْ نصرًا من السماء، وأَدْرِكْ عبدك عند البلاء، ونَزِّلْ رجسك على الكافرين. وصرتُ كأذلّةٍ مطرودَ القوم، ومورد اللوم، فانصُرْنا كما نصرتَ رسولك ببدرٍ في ذلك اليوم، واحفظنا يا خير الحافظين. إنّك الربّ الرحيم، كتبتَ على نفسك الرحمة، فاجعَلْ لنا حظًّا منها وأَرِنا النصرة، وارحمنا وتُبْ علينا وأنت أرحم الراحمين."

لم يمض على هذا الدعاء إلا شهر واحد فقط حتى استجاب الله تعالى دعاءه وأرى آية صدقه من خلال حدوث كسوف الشمس وخسوف القمر اللذين ورد ذكرهما في الحديث النبوي الشريف، وأشير إليهما أيضا في الآية القرآنية: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة:٩-١٠)

ثمة أمور لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكَتَبَ - عمومًا - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أُخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية *بالخط المائل*.

٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، كقوله عليه السلام:

"وكذلك كان إحياء عيسى، فأين الحياة الحقيقي؟" (ص ٦)

فحَمَلَ الحياة على العيش.

"فاعلم يا قيصرة.. تزايَدَ إقبالُك وباركَ الله في دنياك وأصلحَ مآلَك." (ص ١٩)

فقال: "فاعلم" باعتبار القيصرة حاكمًا أو ملكا.

وترك ظاهر اللفظ وحمله على المعنى كثير في اللغة العربية ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى:

- ﴿فظلتْ أعناقهم لها خاضعين﴾ (الشعراء: ٥)
- ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله﴾ (فصّلت: ٢٢)

- ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٦)

ويقول الدرويش:

"ضَنْكًا: بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة لهذا لم يؤنث بأن يقال ضنكة على القاعدة التي ذكرها صاحب الخلاصة. ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكير." (إعراب القرآن لمحيي الدين الدرويش، سورة طه، قوله تعالى: معيشة ضنكا)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمِ ظاهرِ اللفظ وحملُه على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص... وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿السماء منفطر به﴾، فذكّر السماءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف، وكلُّ ما علاك وأظلّك فهو سماء". (فقه اللغة للثعالبي، القسم الثاني فصل في حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجمع، والجماعةِ في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله تعالى ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجِرم)....

وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المُزجي مطيتَه سائِلْ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ

أَنّث على معنى الاستغاثة ...

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول: فلان لَغوبٌ، جاءتْه كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة"..... (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، حرف الحاء: الحمل على المعنى، ج٢ ص ١٠٢- ١٠٤ الطبعة الأولى ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت)

ثانيا: إطلاق المفرد على الجمع والعكس، كقوله عليه السلام:

"بل قدرته صالحة لهذه النور، وهو على كل شيء قدير." (ص ٣٥)

ومثاله في القرآن الكريم:

- ﴿ثم يُخرِجكم طفلا﴾ (غافر: ٦٩)، أي أطفالا.
- ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرْهم﴾ (المنافقون: ٥)
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِه مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل:٦٧)
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون:٢٢)

ومثاله ورد في الحديث النبوي كالآتي:

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ (أَنْ بُورِكَ

مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (ابن ماجة، كتاب المقدمة)

وقال محمد فؤاد عبد الباقي معلقًا عليه: لعل تأنيث الضمير بتأويل النور بالأنوار. (طبعة دار الحديث القاهرة)

ثالثا: ورود إعراب بعض الأسماء على عكس ما هو المألوف عادة، كقوله عليه السلام:

"كذَّبني كلُّ أخِ الترّهات." (ص ١٢٨)

"أفأنت أعمى أو أخُ الشيطانِ." (ص ١٦٤)

ورد في "موسوعة الصرف والنحو":

من العرب من يقول في "أب" و "أخ" و "حم": هذا أَبُك، ورأيتُ أَبَك، ومررتُ بأبِك. أي إنه يعربها بحركات ظاهرة.... ومنهم من يلزمها الألف في حالات الإعراب الثلاث، ويعربها إعراب الاسم المقصور بحركات مقدرة على الألف سواء أضيفت أو لم تُضَفْ، نحو: "جاء أبًا" و "شاهدتُ أبًا" و "مررت بأبًا" ومنه قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

(موسوعة الصرف والنحو للدكتور إميل بديع يعقوب، الأسماء الستة، ص ٨١، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٤)

وأخيرا، لا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء للذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم: مصطفى ثابت، المهندس تميم أبو دقة، هاني طاهر، جمال أغزول، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خانْ، الحافظ مظفر أحمد، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، فهيم أحمد خالد، محمد يوسف شاهد، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

الناشر

طوبى للذي قام لإعلاء كلمة الدين، ونهَض يستقري طرق مرضاة الله النصير المعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدِ رسله وصفوةِ أحبّته وخِيرته مِن خَلقه ومِن كل ما ذرَأ وبرَأ، وخاتَمِ أنبيائه، وفخرِ أوليائه، سيّدِنا.. وإمامنا.. ونبيِّنا محمد المصطفى، الذي هو شمس الله لتنوير قلوبَ أهل الأرضين، وآلِه وصحبه وكلٍّ من آمن واعتصم بحبل الله واتقى، وجميع عباد الله الصالحين.

أما بعد.. فاعلموا أيها الإخوان، بارك الله فيكم ولكم وعليكم، أن فساد زماننا هذا قد بلغ إلى النهاية، وسوّد الشركُ والفسق والارتداد وجوهَ كثير من الناس، وانتابت الفتن المبيدة والبدعات المُسْحِتة، ولم تَخْلُ تَتابَعُ إلى أن أدركَ عَطَبُ الضلالة الذين كانوا سفهاءَ باديَ الرأي، وكانوا من تعاليم الله غافلين. وأنتم ترون العواصف التي هبت في هذه الأيام، والشرور التي هاجت وماجت من كل طرف وصُبّت كوابلٍ على الإسلام، حتى حل كلَّ قلب حُبُّ الدنيا وشهواتها، إلا الذي عصمه رحم الله، فانثنى بفضل منه ورحمة وكان من المحفوظين. وترون كيف ذهبت ريح عامة المسلمين وتفرّقوا، وانتشروا انتشار الجراد، واستنّت نفوسهم الأمّارة استنانَ

الجِياد، وتركوا سِيَرَ المتقين المتواضعين. هذه أحوال العامة، وأما حال علماءِ هذه الديار فهو شرٌّ من ذلك، ما بقِي لأكثرهم شغل من غير أن يُكذّبوا صدوقًا، أو يُكفّروا مؤمنًا، وليس معهم من العلم إلا كنُغْبةِ طيرٍ أصغرِ الطيور أو أقلّ منها، ولكن الكبر أكبرُ مِن كِبر الشياطين. يُعلُون أنفسهم بغير حق، ومن كان تبوّأ ذروةً في الفضل والعلم فهو ليس في أعينهم إلا جاهل غبي، ومَن مُلئ قلبه إيمانا ومعرفة، فهو ليس عندهم إلا كافر دجّال. فانظروا كيف عُمِّيتْ عليهم الحقائق، وكذلك يجعل الله مآل الزائغين المعتدين.

وقد رأيتم أننا كيف أوذينا من لُسْنِهم. إنهم كذّبونا، شتمونا، لعنونا، وما كان لهم علينا ذنب وما كنا مجرمين. ثم ما اقتصروا عليه بل جاءوا يُهرعون إلينا مشتعلين، وسمَّونا كافرين. وما كان لهم أن يتكلموا في مسلمين إلا خائفين. ولكنهم لا يبالون نَهْيَ ذي الجلال بل لهم أعمال دون ذلك. يقولون للمسلم لستَ مؤمنا، ويعلمون أنهم تركوا القرآن بقولهم هذا واتخذوه مهجورا، فبعدوا عن الحق فقستْ قلوبهم. يفعلون ما يشاءون، ولا يتقون افتراءً ولا زورا، وكذلك افتروا علينا وحثُّوا ناسًا كثيرا من ذوي سفه على إيذائنا، وكفّرونا من غير علم ولا برهان مبين. وأَمَّهم في هذه الفتاوى شيخٌ عاري الجلدة من الحُلل الإنسانية والديانة الإيمانية، وتبعوه أمثاله جهلا وحمقا، وما كنا كمجهول لا يُعرَف، بل كانوا على إسلامنا مطّلعين. وما صرنا بتكفيرهم كافرين عند الله، ولكن سُبِرَ إيمانهم

وتقواهم ومبلغ فهمهم وعلمهم، وتبيّنَ ما كانوا يسترون، وبَان أنهم كانوا حاسدين.

يا حسرة عليهم! ما عطف إلينا أحد منهم ليسأل ما أشكل عليه حلمًا ورفقًا، وما سمعْنا صَكّةَ مستفتحٍ من المسترشدين. وما جاءنا أحد منهم بصدق القلب وصحة النيّة، بل بادروا إلى التكفير وكفّروا قبل أن يثبُت كفرنا. ثم ما اقتصروا عليه بل قالوا إن هؤلاء مرتدون خارجون من الدين، وفي قتلهم أجر عظيم، ونهبُ أموالهم حلالٌ طيب ولو بالسرقة، وأخذُ نسائهم وسبيُ ذراريهم عملٌ صالح حسن، ومَن انسلّ بسُحرة وسقط على أحد من مسافريهم كاللصوص فهو مِن نُخب الصالحين. هذه أقوالهم وفتاواهم، وما امتنعوا إلى هذا الوقت من هذه الفتن الصمّاء، وما فاءوا إلى الارعواء، وما كانوا متندّمين.

ولولا خوف سيف الدولة البرطانية لمزّقونا كلّ ممزّق، ولكن هذه الدولة القاهرة السائسة المباركة لنا - جزاها الله منّا خير الجزاء - تؤوي الضعفاءَ تحت جناح التحنن والترحم، فما كان لقويٍّ أن يظلم الضعيف، فنعيش تحت ظلها بالأمن والعافية شاكرين. وإن هذا فضل الله علينا وإحسانه أنه ما فوّض أمرنا إلى ملكٍ ظالمٍ يدوسنا تحت الأقدام ولا يرحم، بل أعطانا ملِكةً راحمةً التي تربينا بوابل الإحسان والإكرام، وتنهضنا من حضيض الضعف والهوان، فجزاها الله خير ما جازى ملِكًا عادلاً عن رعيته، وأجزلَ لها الأجر وباركَ

فيها ولها، وتفضّلَ عليها بنعماء التوحيد والإسلام، ورحمها كما هي رحمنا☆، وهو ربنا أرحم الراحمين.

وأنتم تعلمون أيها الإخوان أن فتاوى التكفير ما كانت مبنيّة على تحقيق وما كان فيها رائحة صدق، بل نسجوا كلها بمنسج الكيد والظلم والزور افتراءً وحسدًا من عند أنفسهم، وكانوا يعرفوننا ويعرفون إيماننا، ويرون بأعينهم أنّا نحن مسلمون، نؤمن بالله الفرد الصمد الأحد، قائلين لا إله إلا هو، ونؤمن بكتاب الله القرآن، ورسولِه سيدنا محمد خاتم النبيين، ونؤمن بالملائكة ويوم البعث، والجنة والنار، ونصلي ونصوم، ونستقبل القبلة، ونحرّم ما حرّم الله ورسوله، ونُحِلُّ ما أَحَلَّ الله ورسوله، ولا نزيد في الشريعة ولا ننقص منها مثقال ذرة، ونقبل كل ما جاء به رسول الله ﷺ وإنْ فهِمْنا أو لم نفهَم سِرَّه ولم نُدرك حقيقته، وإنّا بفضل الله من المؤمنين الموحّدين المسلمين.

وما خالفْنا المكفّرين إلا في وفاة عيسى بن مريم عليه السلام، فاغتاظوا غيظا شديدا، ومُلئوا منه كأنهم لا يؤمنون بآية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾✪، ولا يؤمنون بوعد الوفاة الذي قد صُرّح فيها، وكأنهم لا يعرفون آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ التي فيها إشارة إلى إنجاز هذا الوعد

☆ *سهو، والصحيح: "رحمتنا". (الناشر)*

✪ *آل عمران: ٥٦*

ووقوع الموت. والآيات بيّنة منكشفة، فلعلّهم في شك من كتاب مبين، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم بعدما كانوا مؤمنين.

وتعجّبتُ.. ولا تعجُّبَ مِن ختم الله وإضلاله.. أن أكثر علماء هذه الديار فسدوا حتى عُطّلت حواسّهم، وسُلبت عقولهم، وغُمرت مداركهم، وكُدّرت آراؤهم، وغُشيت أعينهم. فيا عجبًا لفعل الله وقهره! كيف أخَذ كلَّ ما كان عندهم من البصيرة والمعرفة والدراية، وتركهم في ظلمات لا يبصرون. لا يأخذهم رقّةٌ على مصائب الإسلام، يكفّروننا ويكفّرون كلَّ من خالفهم من المسلمين في أدنى أمر ولو في بعض مسائل الاستنجاء، ويَدُعُّون المسلمين بأيديهم ويريدون أن يُقلّلوا الإسلام. ويرون بأعينهم أن النصارى قد غلبوا وكثر مذهبهم وامتد إلى أقطار الأرض، وهم ينسلون من كل حدب، واتخذوا العبدَ العاجز إلهًا، ونحتوا ابنًا وأبًا، ورسَوا على خزعبلاتهم أمثالَ الجبال والرُّبى.

وعلماؤنا هؤلاء عقدوا لجهلاتهم الحُبى، وصارت كلماتهم لزهرِ فِرْيَتِهم كالصبا، وجمعوا رواياتٍ واهية كحاطب ليل أو طالب سيل، ونصروا النصارى بكلماتهم، وقالوا إن المسيح منفرد ببعض صفاته، وما وُجد فيه من كمال وجلال وعظمة فهو لا يوجد في غيره. إنه كان على أعلى مراتب العصمة، ما مسَّه الشيطان عند تولُّده، ومسَّ غيرَه من الأنبياء كلّهم، ولا شريك له في هذه الصفة حتى خاتم النبيين.

وقالوا إنه كان خالق الطيور كخلق الله تعالى، وجعله الله شريكه بإذنه، والطيور التي توجد في هذا العالم تنحصر في القسمين: خَلْق الله وخَلْق المسيح. فانظر كيف جعلوا ابن مريم من الخالقين. ويُشيعون في الناس هذه العقائد ولا يدرون ما فيها من البلايا والمنايا، ويؤيدون المتنصرين. وهلك بها إلى الآن ألوف من الناس ودخلوا في الملّة النصرانية بعدما كانوا مسلمين.

وما كان في القرآن ذكرُ خَلْقه على الوجه الحقيقي، وما قال الله تعالى عند ذكر هذه القصة: فيصير حيًّا بإذن الله، بل قال: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾، فانظروا لفظ ﴿فَيَكُونُ﴾ ولفظ ﴿طَيْرًا﴾، لِمَ اختارهما العليم الحكيم وترك لفظ "يصير" و "حيًّا"؟ فثبت من ههنا أن الله ما أراد ههنا خلقًا حقيقيا كخلقه ﷻ. ويؤيده ما جاء في كتب التفسير من بعض الصحابة أن طير عيسى ما كان يطير إلا أمام أعين الناس، فإذا غاب سقط على الأرض ورجع إلى أصله كعصا موسى، وكذلك كان إحياء عيسى، فأين الحياة الحقيقي؟ فلأجل ذلك اختار الله تعالى في هذا المقام ألفاظًا تناسب الاستعارات ليشير إلى الإعجاز الذي بلغ إلى حدّ المجاز، وذكر مجازًا ليُبيّن إعجازًا، فحمله الجاهلون المستعجلون على الحقيقة، وسلكوه مسلكَ خَلْق الله مِن غير تفاوت، مع أنه كان مِن نفخ المسيح وتأثير روحه مِن غير مقارنته دعاء*، فهلكوا وأهلكوا كثيرا من الجاهلين.

* **الفائدة:** كان الإحياء بالنفخ كالإماتة بالنظر.

والقرآن لا يجعل شريكا في خلق الله أحدًا ولو في ذباب أو بعوضة، بل يقول إنه واحد ذاتًا وصفات، فاقرأوا القرآن كالمتدبرين. فالأمر الذي ثبت عقلاً ونقلاً واستدلالاً لا يُنكره أحد إلا الذي ما بقي في رأسه مِرّةٌ إنسانية ولحِق بالأخسرين السافلين. ولا يقول أحد كمثل هذه الكلمات إلا الذي نسي طريق التوحيد ومال إلى الجاهلية الأولى، وما بلغ نظره إلى نتائجها الضرورية ومفاسدها المخفية، أو الذي رسا على جهله عمدًا وغرق في لُجّة التقليد غرقًا، حتى فقد أثر حرية الإنسانية، وسقط في شبكة لا تخلُّصَ منها، وتابَعَ أَثَرَ إبليس اللعين. والذي آمنَ بالقرآن وألقى نفسه تحت هداياته فلن يرضى بمثل هذه العقائد، بل لا يسوغ له قولٌ يُخالف القرآن بالبداهة ويُعارض بيّناته ومُحكَماته صريحا. وأيُّ ذنب أكبر من ذلك أن أحدًا يؤمن بالقرآن ثم يرجع ويُنكر بعض هداياته، ويتّبع المتشابهات ويترك المحكمات، ويحرّف القرآن ويغيّر معانيه من مركزها المستقيم، ويؤيّد بأقواله قوما مشركين؟ ولكن الذي تمسّكَ بكتاب الله وآمن بما فيه صدقا وحقا، فأيّ حرج عليه وأيّ ضير إنْ ترَك روايات أخرى التي تُخالف بيّناتِ القرآن وليست ثابتة من رسول الله ﷺ بثبوت قطعي يقيني الذي يُساوي ثبوت القرآن وتواتُرَه، أو ترَك مثلا معاني تُخالف نصوصه، واختار الموافق ولو بالتأويل؟ بل هذا مِن سِيَر الصالحين المتقين ومِن سِيَر الصدّيقةِ - رضي الله عنها - أُمِّ المؤمنين.

فالواجب على المؤمن المسلم المتورع الذي يتقي الله حق التقاة، أن يعتصم بحبل الله القرآن ولا يبالي غيرَه الذي يخالفه، وإذا رأى وانكشف عليه أن بعض العلماء من السلف أو الخلف غلطوا في فهم أمر فليس من ديانته أن يتبع أغلاطهم، ويقبلها بغضّ البصر، ولا يفارقها بتفهيمِ مُفهِّمٍ، ويرسو عليها أبدًا، ولا يلتفت إلى الحق الذي حصحص والرشد الذي تبيّنَ. فإن أمرًا إذا ثبت فلا بد من قبوله ولا مفرّ منه. مثلا جاء في حديث رسول الله ﷺ: "لا عَدْوَى".. أي لا تُجاوِزُ علّةٌ من مريض إلى غيره، ولا يُعدِي شيء شيئا، ولكن التجارب الطبية قد أثبتتْ خلاف ذلك، ونحن نرى بأعيننا أن بعض الأمراض، مثلا داء الجمرة التي يُقال لها في الفارسية "آتشك" يُعدي من امرأة مُبتلاة بهذا المرض رجلا ينكحها وبالعكس. وكذلك نرى في عمل الإبرة الذي مبني على خميرِ مادةِ مجدَّرٍ فإنه يُبدي آثار الجُدري في المعمول فيه. فهذا هو العدوى، فكيف ننكره؟ فإن إنكاره إنكارُ علومٍ حسّية بديهية التي ثبتت عند مُجرّبي صناعةِ الطب، وما بَقِيَ فيها شك للأطفال اللاعبين في السكك فضلاً عن رجال عاقلين. فلا بد لنا من أن نؤوّل هذا الحديث ونصرفه إلى معان لا تخالف الحقيقة الثابتة، وإنْ لا نفعل كذلك فكأنا دعونا كل مُخالف ليضحك علينا وعلى مذهبنا، فإذنْ أيَّدْنا الساخرين.

فنقول في تأويل هذا الحديث إن رسول الله ﷺ ما أراد من قوله: "لا عَدْوَى" نَفْيَ السراية من كل الوجه، وكيف وقد حذّر من

المجذومين في حديث آخر. فما كان مراده من هذا القول من غير أن التأثيرات كلها بيد الله تعالى، ولا مؤثِّرَ في هذا العالم الدائر بالكون والفساد إلا بحُكمه وإرادته ومشيئته. وإذا أوّلنا كذلك فتخلَّصْنا من شبهات المعترضين.

والذي نفسي بيده.. إن رسول الله ﷺ ما أراد قطُّ في هذا المقام وأمثالهِ مِن نزول عيسى وغيره إلا معاني تأويلية◈، فلا تعجَلْ ولا تُعِنْ فتنَ المفسدين. هذا هو القول الحق، فاقبَلوا كلمة الحق ولو خرج من فم طفل، فإن السعادة كلها في قبول الحق، فطوبى للذين يقبلون الحق خاضعين. والذين عادَونا فلا يقبلون الحق مع أنه ليس فيه دقّة وإغماض، بل هم يعلمون في قلوبهم أنه الحق المبين. وإذا قيل لهم آمِنوا بالحق الذي تبيّنَ، وبالمعاني التي حصحصت صحتها، قالوا أنؤمن بأمور تخالف أقوال أسلافنا؟ وإنْ كان أسلافهم من الخاطئين المخطئين؟ ونرى أنهم قد خُنقوا، وأن ثلوج البخل قد تساقطت على أرض قلوبهم بشدّتها ومُداكاتها، فخنقتْ شَطْأَها، وردِفها حَصَى التعصب، فسُحقت الاستعدادات تحتها كالحديد تحت مطرقة القَين، أو القطنِ تحت مطرقة الطارقين. والعجب منهم ومن عقلهم أنهم يرون بأعينهم أن كلماتهم الباطلة المضلّة قد أضرّت الإسلام إضرارًا عظيما، والناس باستماعها يخرجون من دين الله أفواجا ويلتحقون

◈ **الفائدة**: لو كان المراد من نزول عيسى نزولَه بذاته لقال رسول الله ﷺ سيرجع، وما قال إنه سينـــزل، فإن لفظ الرجوع مناسب للذي يَقدُم بعد الذهاب. منه

بالنصارى بما سمعوا من صفات المسيح وعصمته الخاصة وخلوده إلى هذا الوقت، وقدرته الكاملة في الخَلق والإحياء على قدرٍ ما وُجِدَ مثله في أحد من النبيين. ويشاهدون - هذه العلماء - هذه المفاسد كلها ثم لا يتنبهون، ولا يرتجف فؤادهم، ولا تذوب أكبادهم، ولا يأخذهم رحم ورقّة على أمّة النبي. ونبكي عليهم ونصرخ صرخة متموّجة، فلا يسمع أحد بكاءنا ولا صراخنا، بل يُكفّروننا مغتاظين.

وإنما مثلنا في هذه الأيام.. أيامِ غربة الإسلام.. كمثل خابط في واد في الليلة المظلمة، أو صارخ في اللظى المضرمة، فلا نجد مُغيثًا من قومنا إلا الواحد الذي هو رب العالمين. وإنا يئسنا منهم غاية اليأس كأنّا وضعناهم في قبورهم. قلنا مرارًا فما سمعوا، وأيقظنا إنذارًا فما استيقظوا، وخضعنا أطوارًا فما خضعوا، فقلنا اخسأوا خسئًا.. إن الله غني عنكم ولا يعبأ بكم، وسيأتي بقوم ينصرون دينه ويحبّون الصادقين.

فحاصل الكلام.. إني إذا رأيت هذه الأمراض والسموم ساريةً في عروق أكثر علماء الهند، ورأيتهم في غُنْية من كتاب الله ورسوله، بل رأيتهم ضاربين بعود ومزمار آخر، وكلٌّ أحد منهم زمّارٌ بما عنده من الخيالات الباطلة، وارتضى بمعازفه النفسانية متمسّكا بها، ولا يتوبون ولا يتندّمون، بل أراهم يصرّون ويفخرون على جهلاتهم ويصفّقون بالأيادي فرحين، ويكفّرون المؤمنين مجترئين كأنهم في مأمن من مؤاخذة الله ومحاسباته، وكأن الله لا يسأل عنهم ولا يقول

لِم قفوتم ما لم يكن لكم به علم، ولا يُنبّئهم بما في صدورهم في يوم! كلا، بل إنهم من المسؤولين. ورأيت أن الفتن ليست محدودة إلى أنفسهم، بل العامة قد اجتمعوا على صفيرهم، واغترّوا بتقاريرهم اليابسة الملمَّعة، فاشتعل غيظ العامة علينا، وتبوّغَ دمهم بتهييج المفترين، وحسبوهم عالِمين متديّنين صادقين.

فلمّا زُلزلت أرض الهند كلها، وأحسستُ من العلماءِ البخل والحسد، وضعتُ في نفسي أن أُعرض عنهم فارًّا إلى مكة، وأن أتوجّه إلى صُلحاءِ العرب ونخباءِ أُمِّ القُرى الذين خُلقوا من طينة الحرية، وتفوّقوا دَرَّ الأهلية، فألقى الله في قلبي عند مسّ هذه الحاجة أن أؤلّف كتبا في لسان عربي مبين. فألّفتُ بفضل الله ورحمته وتوفيقه كتابا اسمه التبليغ(١)، ثم كتابا آخر اسمه التحفة(٢)، ثم كتابا آخر اسمه كرامات الصادقين(٣)، ثم ألّفتُ بعدها حمامة البشرى(٤)، فيه بشرى للذين يطلبون الحق وتفصيل كلٌّ ما قلنا من قبل، والتي تنهالُ من تلك الرسائل متفرّقا يُعطي هذا الكتابُ مجتمعا للجائعين؛ ونِسبتُه إليها كنسبة شجرة إلى بذرها، وجاءِ بحمد الله حسَنًا مبسوطا مُباركا. وأما ثمن هذه الكتب فهي هدية لبلاد الحجاز وبلاد الشام والعراق والمصريين والأفريقيين كلهم، ولكل من كان عالما منصفا مع صفر اليد. وأما غيرهم فعليهم إن أرادوا اشتراءها أن يُرسلوا روبية في ثمن "الحمامة"، وكذلك في ثمن "الكرامات"،

ونصفها في ثمن "التبليغ"، وآنَتين "للتحفة" إن كانوا مشترين. وإنّا نقصنا آنةً من ثمن "التحفة" رعايةً للشائقين.

وما ألّفتُ هذه الكتب إلا لأكباد أرض العرب، وكان أعظم مراداتي أن تشيع كتبي في تلك الأماكن المقدسة والبلاد المباركة، فرأيت أن شيوع الكتب في تلك البلاد فرعٌ لوجود رجل صالح يُشيعها، وأيقنت أن شهرة كتبي وانتشارها في صلحاءِ العرب أمر مستحيل من غير أن يجعل الله من لدنه ناصرا منهم ومن إخوانهم. فكنت أرفع أكُفَّ الضراعة والابتهال لتحصيل هذه المُنْية، وتحقيق هذه البُغْية، حتى أُجيبتْ دعوتي، وأُعطيتْ لي بُغْيتي، وقاد إليَّ فضل الله رجلا ذا علم وفهم ومناسبة ومن علماء العرب ومن الصالحين. ووجدته طيّب الأعراق كريم الأخلاق، مطهّرة✪ الفطرة لَوْذَعِيًّا ألْمَعِيًّا ومن المتقين. فابتهجتُ بلقائه الذي كان مرادي ومدعائي، وحسبتُه باكورةَ دعائي، وتفاءلت به بخير يأتي وفضل يحمي، وازدهاني الفرح وصرت يومئذ من المستبشرين، فهنّيتُ نفسي هنالك وشكرتُ الله وقلتُ الحمد لك يا رب العالمين.

وتفصيل ذلك أن شابًّا صالحا وَسمًا جاءني من بلاد الشام، أعني من طرابلس، وقاده الحكيم العليم إليَّ ولبث عندي إلى سبعة أشهر، أعني إلى هذا الوقت، فتوسّمتُ فيه الخير والرشد، ووجدت في مِيْسَمه أنوار الصلاح، ورأيت فيه سِمة الصالحين. ثم أمعنتُ في حاله

✪ *سهو، والصحيح: "مطهر" . (الناشر)*

وقاله وتفحصت مِن ظاهره وباطن أحواله بنور أُعطيَ لي وإلهام قُذف في قلبي، فآنستُ حسن تقاته ورزانة حصاته، ووجدتُه رجلا صالحا تقيّا راكلا على جذبات النفس وطارِدَها ومن المرتاضين. ثم أعطاه الله حظًّا من معرفتي فدخل في المبايعين. وقد انفتح عليه باب عجيب من معارفنا وألّف كتابا وسمّاه: "إيقاظ الناس"، وهو دليل واضح على سعة عمله، وحجة منيرة على إصابة رأيه، ويكفي لكل مُمار في مضمار. ولما أفضى في تأليف ذلك الكتاب جمع عنده كثيرا من كتب الحديث والتفسير، وفكّر فكرا عميقا في كل أمر، فهو دَرُّ أفكاره، ونور أنظاره، وليس علامةُ العارف من دون المعارف. وإني إذا قرأتُ كتابه وتصفحت أبوابه ورفعت جلبابه، فاستملحتُ بيانه، ومدحتُ شأنه، وما وجدت فيه شيئا شانَه، وأدعو أن يشيع الله كتابه مع كتبي، ويضع فيه قبوليّةً ويُدخل فيه روحا منه، ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، وجزاه في الدارين وبارك في مقاصده ويدخله في المقبولين.

ولما فرغ من تأليف كتابه حمله إخلاصه على أن يكون مُبلِّغَ معارفنا إلى علماء وطنه، ويخبر فيهم عن أخبارنا، ويكون مناديا ويطلق نداءً في كل ناحية، ويُشيع الكتب ليتضح الأمر على أهل تلك البلاد، وهذا هو المراد الذي كنا ندعو له في الليل والنهار. وأرى أنه رجل صادق القول والوعد، يتّقي الفضول في الكلام، ولا يرتع اللسان في كل مرتع بإطلاق الزمام. ولقد أدخل الله حُبَّنا في

قلبه، فيحبّنا ونحبّه، وكلّ ما وعد هذا الرجل وتكلّمَ فأتيقّنُ أنه هو أهله، وسينجز كما وعد، وأرجو أن يجعله الله سببا لريع بذرنا، وسوغ حلبنا، وهو أحسن المسبّبين.

ورأيتُ أنه رجل مرتاض صابر لا يشكو ولا يفزع، ورأيت مرارا أنه يقنع على أدنى المأكولات والملبوسات، ولو لم يكن لحاف فلا يطلبه، بل يدفع البرد من التضحي واصطلاء الجمر، ولا يسأل تعفّفًا. ووجدتُ فيه آثار الخشوع والحلم والإنابة ورقّة القلب، والله أعلم وهو حسيبه. وما قلت إلا ما رأيت، فلا تعجبوا من رحمة الله أن تكفكِفَ ما دَهَمَنا مِن حرج بسعي هذا الرجل، والله يفعل ما يشاء، لا مانع لما أراد، ولا رادّ لما جاد، وهو حافظُ دينه وناصر كل من ينصر الدين.

واعلموا أيها الإخوان أن أمر إشاعة الكتب في ديار العرب وتبليغ معارف كتبنا إليهم ليس بشيء هيّن، بل أمر ذو بال لا يُتمّه إلا من هو أهله، فإن هذه المسائل الغامضة التي كُفِّرْنا وكُذِّبْنا لها لا شك أنها تصعُب على علماء العرب كما صعبتْ على علماء هذه الديار، لا سيما على أهل البوادي الذين لا يعلمون دقائق الحقيقة، ولا يتدبّرون حق التدبّر، أنظارهم سطحية وقلوبهم مستعجلة، إلا قليل منهم الذين أنار الله فطرهم وهم من النادرين. فلأجل تلك المشكلات التي سمعتم.. اقتضت المصلحة الدينية أن نتخيّر لهذا الأمر

عالِمًا مذكورا الذي اسمه محمد سعيدي النشار الحميدي الشامي*. ولا شك أن وجوده لهذا المهمّ من المغتنمات، ومجيئه عندنا مِن فضل قاضي الحاجات، وهو خيرٌ قلبًا ونِعْمَ الرجل، مع أن الضرورة قد اشتدت، فلعل الله يصلح أمرنا على يديه، وهو بهذا التقريب يصل وطنه وينجو من تكاليف السفر العنيف، ويتخلّص من مُفارقة المألف والأليف، وتُؤجَرون عليه من الله الرحيم اللطيف. وما قلتُ إلا لله وما أنا إلا ناصح أمين.

والذين يظنون أن أهل العرب لا يقبلون ولا يسمعون، فليس عندنا جوابُ هذا الحمق مِن غير أن نحولق على قولهم ونسترجع على فهمهم. ألا يعلمون أن العربيِّين سابقون في قبول الحق من الزمان القديم؟ بل هم كالأصل في ذلك وغيرهم أغصانهم. ثم نقول إن هذا فعلُ الله رحمةً منه، والعرب أحق وأولى وأقرب برحمته، وإني أجد ريح فضل الله، فلا تتكلموا بكلمات اليأس ولا تكونوا من القانطين. ولا تظنوا ظن السوء، وإن بعض الظن إثم، فاتقوا الظنون الفاسدة التي تتزعّجُ منها أرضُ إيمان الظانين وتتزعجُ النيّة الصالحة، وتكثُر وساوس الشياطين. وقوموا متوكلا على الله وقَدِّموا من خير ما استطعتم، وأَعِدُّوا لأخيكم مِن زادٍ يكفيه لسفره البحري والبري، وكان الله معكم ووفّقكم وهو خير الموفِّقين.

---

* الحاشية: مسكنه طرابلس "شام" مُلك "سيريَه"، ويُقال لها باللغة الإنجليزية تربولي، وهي مدينة عظيمة على ساحل بحر الروم بينها وبين بيروت ثلاثون أكواسًا. منه

فنرجو مِن إخلاص أهل الثروة والمقدرة أن يتوجهوا إلى اهتمام هذا الأمر بكل القلب وكل الهمّة، ولا حاجة إلى أن نُكثِر القول ونبالغ في الكلام ونستنهض همم الأحبّاء والمخلصين ببيانات مملوءة من التكلفات، فإنّا نعلم أن الإشارة كافية لأحبّائنا المتصدّقين. فليُعط كل أحد منهم بقدر قدرته التي أعطاه الله ولا يستحي ولا يحتشم من أن ينفح بالقليل، وليعلم أن الغرض أن يُعطي ولو كانت فلسة أو ربعه أو أقلّ من الفتيل. ومن كان ذا عيشة خضراء فليعط بقدر حيثيّته إن شاء، وما هذا إلا عملُ طلاّبِ وجه الله، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ويبارك الله في ماله وأهله وعياله، وما تنفقون في سبيل الله فهو عائد إليكم في الدنيا والآخرة ولا ترون خسرا. فإن أعطيتم بذرًا فلكم زراعةٌ، وإن أعطيتم قطرةً فلكم بحرٌ فضلا من عند الله، والله لا يضيع أجر المحسنين. أم حسبتم أن تُغفَروا ويرضى عنكم ربكم ولما يجَدْكم ساعين لمرضاته والطائعين كالمخلصين. أيها الرجال! اتقوا الله وكونوا من الذين يُؤْثِرونه على أنفسهم، واعلموا أن الله مع المتقين. إنما أموالكم وأولادكم فتنة، وينظر الله أتحبونه أو تحبون أشياء أخرى، وستُبعَدون عن هذه اللذات ولا تبقى هذه المجالس ونظّارها، ثم تُرجَعون إلى الله وتُسألون عما عملتم وعما جاهدتم في سبله. فقوموا أيها الناس قوموا، الوقت يذهب. قوموا سريعا ولا تقعدوا مع المترَفين. ولسنا بالموجب حقًّا لمن لا يوجب الحق على نفسه، ولا يُكلّف الله نفسا إلا وُسعها وما أنا من

المتكلفين. وما أتوجه إلا إلى الذي يصدُقني الوُدَّ، وأترك الذي منعه البخل فصدَّ، ولحِق بالذين بخلوا فرُدَّ، وعُدَّ من المخذولين.

وليعجل المرسِلون للإرسال فإن الوقت ضيّق، والضيف العزيز مستعدّ للسفر. وقد وجب علينا إعلام المتغفلين بأسرع أوقات، فلا ينبغي أن تقعدوا كسالى بعدما بينتُ لكم ضرورة هذا الأمر، فقدِّموا للمعاضدة ولا تأخّروا، وانفُضوا أيديكم تُؤجَروا، وكونوا في سبيل الله سابقين. ولْيُرسِلْ ههنا في قاديان مَن كان مُرسِلاً من درهم أو دينار، وليبيّنْ في مكتوبه أنه أرسل له، بل الأولى أن يرسل إليه باسمه بلا واسطتي ليجمع عنده كل ما يجيء، وليطمئن به قلبه. وإن أنفَسَ القُرُبات إعلاءُ كلمة الإسلام، وهذا وقته، فلا تضيّعوا وقتكم، وقوموا كالخادمين.

أيها المسلمون! فِرّوا إلى الله، واتقوا الفتن التي هاجت وماجت حولكم وفيكم، واعملوا عملاً يرضاه ليكون لكم زلفى لديه، ولتأخذكم رِقّةٌ على دينكم فإنه ضعُف وبدأ الشيب بفَوْدَيه، والشيب غير طبعي حدَث من نوازل الحادثات والتكاليف المتتابعات، ولينظر كل أحدٍ منكم عملَه، وليُفتّش خطراتِه، وليَزِنْ بِضاعتَه التي أعدّها للآخرة، ولينقدْ دراهمه التي جمعها لذلك السفر، هل هي وازنة جيدة أو مغشوشة ناقصة، ولا يخدع نفسه، ولا يُغرِّرْ بنفسه من المغشوشات، وليتداركْ قبل ذهاب الوقت، ولا تقعد كالغافلين.

أيها الناس! زَكُّوا نفوسكم، وطهِّروا صدوركم، ولا تُفرِحْكم جيفةُ الدنيا وشحومها، ولا تجلبكم إليها كِلابها، ولا تموتوا إلا مسلمين مطهَّرين. ولا تتقوا لعن المخلوق فإنه سهل هيّن، واتقوا لعن اللاعن الذي يسوِّد الوجوه لعنُه ويُلقي في هُوّة السافلين. هذا ما أوصيناكم فتذكّروا ما أوصينا، واشهدوا أنّا بلّغْنا، والله خير الشاهدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعلان

نرجو أن تتوجه الدولة البريطانية بمراحمها العظمى إلى هذا الإعلان، وتُحَمْلقَ بعَدْلِها إلى الصِّلِّ الذي يلدَغ نُصحاءَها ويتنضنضُ نَضْنَضةَ الثعبان

يا قيصرة الهند! صانَكِ الله عن الآفات، وكان لطفه معك في كل إرادات الخيرات، وحفِظَك عن الدواهي والحادثات، جئناكِ مستغيثين بما أُوذينا من لسان رجلٍ وكَلِمه المُحفِظات. وقد سمعنا أنك تحلّيتِ بمحاسن الأخلاق، وتخلّيتِ في عدلك مما يسم✦ بالأخلاق، وما زلتِ آخذةً نفسَك بالرحم والإشفاق، ولا ترضى بجور الجائرين.

هذا خُلُقك، ونحن - مع ظل حمايتك - نُلدَغُ من شر بعض المعادين، ونُعَضُّ من أنياب العاضّين، ويصول علينا كلُّ ضُلٍّ بن ضُلٍّ ويسُبُّ نبيَّنا الكريم كلُّ جهولٍ مَهينٍ، ويسعى أن نُعَدّ من الباغين.

وأما تفصيل هذا المجمل فاعلم يا قيصرة.. تزايَدَ إقبالُك وباركَ الله في دنياك وأصلحَ مآلَك.. أن رجلاً من الذين ارتدوا من دين الإسلام ودخلوا في الملّة النصرانية، أعني النصراني الذي يُسمّي نفسه "القسيس عماد الدين"، ألّف كتابًا في هذه الأيام لِخَدْعِ العوام، وسمّاه "توزين الأقوال"، وذكر فيه بعض حالاتي بافتراءٍ بحتٍ لا أصل

✦ *سهو من الناسخ، والصحيح: "يَصِمُ". (الناشر)*

له، وقال إن هذا الرجل رجل مفسد ومن أهل العداوة، وإني وجدت في طريقة مشيِه آثارَ البغاوة، وليس من نصحاء الدولة، وأتيقّن أنه سيفعل كذا وكذا وأنه من المخالفين.

فالملخّص أنه حثَّ الحكومة في ذلك على إيذائي، ومع ذلك فرّغ إناءه في سبّي وازدرائي، وأفرغ قذر لسانه على بعض أحبائي، وأكثر القول في ديانتنا المقدسة، وشتَم خيرَ الرسل ﷺ وبالَغَ في التوهين. وتكلّمَ بكلمات ترتجف منها القلوب، وهيِّج في الأفئدة الكروب، وسوف نكتب قليلا منها ونجوّبُ أستار الجاهلين.

والآن ننبّه الدولة العالية مما افترى علينا وزعم كأنّا من أعداء الدولة البرطانية، فليعلم الدولة أن هذه المقالات كلها من قبيل صوغ الزور ونسج الشرور، وليس فيها رائحة الصدق مثقال ذرّة، وما حمله على ذلك إلا بعض المصالح التي رأى في نفس تلك المكائد، ولِيَسُرُّ بها أكابرَ القسيسين. والحمد لله أن كلماته المفتريات شيء لا تخفى على الدولة حقيقتُه، فنحن في مأمن من شره، ونرى خدماتنا اللامعة للردّ عليها كالشهب للشياطين. ولا يخفى على الحكّام طريقتي وشأني، ولا أمشي مُواريًا عنهم عِياني، بل الحكومة البرطانية تعرفني وتعرف آبائي، وتنظر مَهْيَعي ومدّعائي، وتعرف أصلي ومنبعي، ولا تجهل بيتي ومربعي، وتعلم أنّا لسنا من المفسدين المعادين ولا الباغين الطاغين. وما خرجتُ الآن من مغارة لتكون الدولة من أمري في غرارة، بل الدولة على أمثالنا من المباهين. ومن

توسّمَ أقوالنا واستشفَّ أفعالنا فلا تخفى عليه أعمالنا وإنّا من الصادقين. والدولة تغوص إلى أعماقنا وليس عليها الخفاء، ولها أفكارٌ عادياتٌ لا تُواهِقُها وَجْناءُ، إذا ما تركض آراؤها في أرض مقاصدها فتفري أديمَ الأَرضين، وكلُّ عقل عندها إلا عقل الدين. ونرجو أن يفتح الله عليها هذا الباب أيضا كما فتح أبوابا أخرى، والله أرحم الراحمين.

ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنّا من خُدّامها ونُصحائها ودواعي خيرها مِن قديم، وجئناها في كل وقت بقلب صميم، وكان لأبي عندها زُلفى وخطاب التحسين. ولنا لدى هذه الدولة أيدي الخدمة ولا نظن أن تنساها في حين. وكان والدي الميرزا غلام مرتضى ابن ميرزا عطاء محمد القادياني من نُصحاء الدولة وذوي الخُلّة وعندها من أرباب القُربة، وكان يُصدَّر على تكرمة العزة، وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة. وما كُنّا قطُّ من ذوي الظِّنّة، بل ثبت إخلاصنا في أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكمين، ولْتسطلع الدولةُ حكّامَها الذين جاءونا ولبثوا بيننا كيف عشنا أمام أعينهم وكيف سبقْنا في كل خدمة مع السابقين.

ولا حاجة إلى تفصيل هذه الحقائق، فإن الدولة البريطانية مُطّلِعة على مراتب خلوصنا وشؤون خدماتنا والإعانات التي كانت ترى منّا وقتًا بعد وقت وفي أيام فساد المفسدين. وتعلم الدولة أن أبي كيف أمدّها في حينِ محارباتٍ مشتدّةِ الهبوب وفتنٍ مشتطّةِ اللهوب،

وأنه آتى الدولة خمسين خيلا مع الفوارس مددًا منه في أيام المفسدة، وسبَق السابقين في إمدادات المال عند حلول الأهوال، مع أيام العُسر والإقلال، وذهابِ عهد الإمارات الآبائية وانقلاب الأحوال. فلينظر من كان له نظر صحيح أو قلب أمين.

ولم يزل كان أبي مشغوف الخدمات حتى شاخ وجاء وقت الوفاة ووجب الارتحال، ولو قصدنا ذكر خدماته لضاق بنا المجال، وعجزنا عن التدوين. فالملخص أن أبي لم يزل كان شائِمَ برقِ الدولة، وقائمًا على الخدمة عند الضرورة، حتى أعزّته الدولة بمكاتيب رضائها، وخصّته في كل وقت بعطائها، وأسمحت له بمواساها، وتفضلت عليه بمراعاها، وحسبته من دواعي الخير ومن المخلصين. ثم إذا تُوفي أبي فقام مقامه في هذه السِّيَر أخي الميرزا غلام قادر، وغمرته مواهب الدولة كما غمرت والدي، وتُوُفي أخي بعد أبي في بضع سنين. ثم بعد وفاقما قفوتُ أثرهما واقتديتُ سِيَرَهما وذكرت عصرهما، ولكني ما كنت ذا خصب ونعمة وسعة وثروة ولا ذا أملاك وأرضين، بل تبتّلتُ إلى الله بعد ارتحالهما ولحقتُ بقوم منقطعين. وجذبني ربي إليه وأحسن مثواي، وأسبغ علي من نعماء الدّين. وقادني مِن تدنسات الدنيا إلى حظيرة قدسه، وأعطاني ما أعطاني، وجعلني من الملهَمين المحدَّثين. فما كان عندي من مال الدنيا وخيلها وأفراسها، غير أني أُعطيتُ جِياد الأقلام ورُزقتُ جواهر الكلام، وأُعطيتُ مِن نورٍ يؤمّنني العثار، ويبيّن لي الآثار. فهذه

الدولة الإلهية السماوية قد أغنتْني، وجبرت عَيْلتي وأضاءتني ونوّرت ليلتي، وأدخلتني في المنعَمين. فقصدت أن أعين الدولة البرطانية بهذا المال وإن لم يكن لي من الدراهم والخيل والبغال، وما كنت من المتموّلين. فقمتُ لإمدادها بقلمي ويدي، وكان الله في مددي، وعاهدت الله تعالى مُذ ذلك العهد أن لا أؤلّف كتابا مبسوطا مِن بعد إلا وأذكر فيه ذكرَ إحساناتِ قيصرة الهند وذكرَ مننِها التي وجب شكرها على المسلمين. ومع ذلك كان في خاطري أن أدعو القيصرة المكرمة إلى الإسلام، وأهديها إلى الرب الذي هو خالق الأنام، فإنها أحسنت إلينا وإلى آبائنا، وما كان جزاء الإحسان إلا أن ندعو لها في الدنيا دعاء الخير والإقبال وفوز المرام، ونسأل الله لعقباها أن تُرزَق توحيد الإسلام، وتنتهج سبل الحق وتؤمن بعظمة المليك العلاّم، وتعرف الرب الذي أحدٌ صمدٌ ما ولد وما وُلِد، وتُعطَى نعماء أبد الآبدين.

فألّفتُ كُتبًا وحرّرتُ في كل كتاب أن الدولة البريطانية مُحسنة إلى مسلمي الهند وتنتجعها ذراري المسلمين، فلا يجوز لأحد منهم أن يخرج عليها ويسطو كالباغين العاصين، بل وجب عليهم شكرُ هذه الدولة وإطاعتها في المعروف، فإنها تحمي دماءهم وأموالهم وتحفظهم مِن سطوة كل ظالم، وقد نجّتْنا من أنواع الكروب وارتجاف القلوب، فإن لم نشكر فكنا ظالمين. فالشكر واجب علينا دينًا وديانة، ومن لا يشكر الناس ما شكر الله، والله يحب المقسطين.

وإنّا لن ننسى أياما وأزمنة مضت علينا قبلها، ووالله ما كان لنا أمنٌ فيها إلى دقيقتين فضلاً عن يوم أو يومين، وكنا نُمسي ونصبح متخوّفين.

فأشعتُ تلك الكتب المحتوية على تلك المضامين في كل ديار وفي أناس أجمعين، وأرسلتها إلى ديار بعيدة من العرب والعجم وغيرها، لعل الطبائع الزايغة تكون مستقيمة بمواعظها، ولعلّها تكون صالحة لشُكر الدولة وامتثالها، وتقلّ غوائل المفسدين، ولعلهم يعلمون أن هذه الدولة محسنة إليهم فيحبونها طائعين.

هذا عملي وهذه خدمتي، والله يعلم نيتي، وهو خير المحاسبين. وما فعلت ذلك خوفًا من هذه الدولة أو طمعًا في إنعامها وإكرامها، إن فعلتُ إلا لله وامتثالا لأمر خاتم النبيين. فإن نبينا وسيدنا ومولانا حبيب الله وخليله محمدا المصطفى ﷺ قد أمرَنا أن نثني على المنعِمين، ونشكر المحسنين، فلأجل ذلك شكرتها ونصرتها ما استطعتُ، وبثثتُ مِنَنَها وأشعتُها في كل بلدة مِن مُلكنا المعلوم إلى بلاد العرب والروم، وحثثتُ الناس على إطاعتها. ومن كان في شك فليرجع إلى كتابي "البراهين"، وإن لم يكفِ لشَكِّه فلينظر كتابي "التبليغ"، وإن لم يطمئن فليقرأ كتابي "الحمامة"، وإن بقي مع ذلك شك فليُفكّر في كتابي "الشهادة"، وليس حرام عليه أن ينظر في هذه الرسالة أيضا ليتضح عليه كيف أعلنتُ بصوت عالٍ في منع الجهاد والخروج على هذه الدولة وتخطئة المجاهدين.

فلو كنتُ عدوًّا لهذه الدولة لفعلتُ أفعالا خلاف ذلك، وما أرسلتُ هذه الكتب وهذه الاشتهارات إلى ديار العرب وبلاد إسلامية، وما قدّمتُ قدمي لهذه النصائح. فانظروا يا أولي الأبصار، لِمَ فعلتُ هذه الأفعال، ولِمَ أرسلتُ هذه الكتب التي فيها منع شديد من **الجهاد** لهذه الدولة في ديار العرب وفي غيرها من البلاد؟ أكنتُ أرجو إنعاما من سكان تلك البلاد أو كنت أعلم أنهم يرضون عني بسماع تلك الكلمات ويزيدون في الأخوّة والاتحاد؟ فإن لم يكن لي غرض من هذه الأغراض، بل كانت النتيجة البديهة سخط القوم وغضبهم عليَّ وطَعْنَهم بالألسنة الحِداد، فبعده أيُّ شيء حملني على ذلك؟ أكانت لنفسي فائدة أخرى في إرسال تلك الكتب إلى ديار ليست داخلة تحت الحكومة البريطانية، بل هي ممالك الإسلام ولهم خيالات دون ذلك كما لا يخفى على الخواص والعوام؟ فإن كانت فائدة مخفية فليُبيّن لي من كان من المرتابين والمعترضين عليَّ إن كان من الصادقين. حاشا، ما كانت فائدة من غير إظهار الحق. بل إني سمعت أن أقوالي هذه قد أحفظتْ بعضَ العلماء، وكفّروني كالجهلاء، فما باليتُهم بعد تفهُّم الحق وانكشاف طريق الاهتداء، ورأيت أن هذا هو الحق فبيّنتُها ولو كان قومي كارهين. فإذا ثبت خلوصي إلى هذا المقدار، وبرهنتُ عليه بقدرٍ كافٍ لأولي الأبصار، فمن يظن ظن السوء في أمري بعدُ إلا الذي خبُث عِرقه كالفُجّار، وتدرّبَ بالشر واللَّذْعِ والأَبْرِ وسِير الأشرار، وترَك سِير الصالحين.

وما كان تأليفي في العربية إلا لمثل هذه الأغراض العظيمة، ولم يَخْلُ تنتاب العربيِّين كتبي حتى رأيت فيهم آثار التأثير، وجاءني بعض منهم وراسلني بعض، وبعضهم هجّنوا، وبعضهم صلُحوا ووافقوا كالمسترشدين.

وإني صرفتُ زمانا طويلا في هذه الإمدادات حتى مضت عليَّ إحدى عشر سنة في شغل الإشاعات، وما كنت من القاصرين. فلي أن أدّعي التفردَ في هذه الخدمات، ولي أن أقول إنني وحيد في هذه التأييدات، ولي أن أقول إنني حِرْزٌ لها وحصنٌ حافظٌ من الآفات، وبشّرني ربي وقال "ما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم". فليس للدولة نظيري ومثيلي في نصري وعوني، وستعلم الدولة إن كانت من المتوسّمين.

وأمّا الذين دخلوا في الملة النصرانية تاركين دين الإسلام، وباعدين عن ظل خير الأنام، فما نجدهم قائمين لخدمة الدولة والمخلصين لهذه الحضرة، بل نجدهم مداهنين منافقين، وما دخلوا أكثرُهم في دينهم إلا ليستطبّوا لوجعِ الجوع، وليُفعِموا كأس الولوع، فسينتشرون ذات بُكرة إذا رأوا أنهم أُخرجوا من روض الرتوع، ويعجبون الناس من وشك الرجوع. ونحن نراهم مذ أعوام مناجين للإخفار كلئام، ولا نجد فيهم شيئا من الأوصاف إلا عشق الصَّعْف والصِّحاف وإلْفِ الجيفة كالغُداف، وما نجدهم إلا مترَفين، وسيعلم الدولة البريطانية كم منهم من المخلصين الصادقين. والله

إنّا نشاهد بأعيننا أن أكثرهم قد خرجوا من الإسلام ودخلوا في النصارى من التكاليف النفسانية وأثقال الدَّين ولَهَبِ الأجوفَين، وكان المسلمون مطّلعين على عَرِّهم وشَرِّهم، فما بالَوهم لاطّلاعهم على سبب مفرّهم، فتوجهت هذه الطائفة إلى قسّيسين بما رأوا بصيصَ إقبالهم وزينة دنياهم وكثرة مالهم، ومع ذلك وجدوهم غافلين من مقاصدهم كحمقى، وحسبوا الأديار بُقعة النوكَى، فتمايلوا عليها خادعين. وما كان لمسلمي ديارنا أن يربّوا تلك الكسالى، ويكفلوهم في مآكلهم ومشاربهم ولبوسهم ويتركوهم معذورين مستريحين كالحبالى، ويحملوا نفقاتهم على أنفسهم، ويتركوهم ليأكلوا ويتمتعوا فارغين، فإن المسلمين قوم ضعفاء مُعسِرين، ولا يَفضُل عنهم ما يصرفون إلى غيرهم، فمن أين وكيف يُفعِمون وِعاءَ البطّالين؟ فلما رأوا أن أهل الإسلام لا يحملون أثقالهم ولا يبالون إقلالهم، توجهوا إلى قسيسين مصطادين.

فاجتمعوا في الكنائس مِن داء الذئب والخَوَى المذيب طمعًا في أموالهم، وطموحا إلى إقبالهم، وأخذوا يسرّونهم بإغلاظ الكلام في شأن خير الأنام، ويُطْرِفون في التوهينات واختراع الاعتراضات، ليُروهم أنهم متنفرين من الإسلام وفي التنصر متشددين، وليحصل لهم قُرْبتهم بوسيلتها وليقضوا أوطارهم بتوسطها ويكونوا في أعينهم صالحين متنصّلين. وكذلك صابت سهامهم وحصل مرامهم، فترى كيف اصطادوا أكابرهم ونهبوا أموالهم وختلوا جُهّالهم، فأحبّوهم

وأحسنوا إليهم كأنهم فوج المتقين. وفرضوا لهم في صدقاتهم حصّة، وجعلوا لهم وظائف، فيأخذ كل أحد منها ويأكلها بطّالا ضُجَعةً نُوَمةً، وتراهم كيف يتبخترون بالارتداد كتبختُرِ المطلَق من الإسار، ويهتزّون هزّة الموسر بعد الإعسار، ويُتلِفون أموال الناس متنعمين. فليت شعري لو بُنِيَتْ من هذه الأموال التي تُسكَبُ كالماء في تنعّمات السفهاء جسرٌ للعابرين أو خانٌ للمسافرين، لكان خيرًا وأولى وأنفع للناس مِن أن يُبذَل على هذه الطائفة مَظاهِرِ الخنّاسِ التي أتلفتْ نفائسَ أموال الناس في الخَضْم والقَضْم، وما مسَّهم فكرُ الدنيا ولا فكر الآخرة، وما أخرجهم من الإسلام إلا أسباب معدودة، وأكبرها كثرة الحمق وقلة التدبّر. ثم مع ذلك سببُ ارتداد الأكثر منهم اضطرامُ الأحشاء والاضطرار إلى العَشاء، وشُحُّ مطائبِ الطعام، وحرصُ كأس المُدام، والرغبةُ في الغِيد، والتوقُ إلى الأغاريد، والميلُ إلى مغاداة الغادات ومقاناة القينات وغيرها من الهنات، فسقطوا لأجل ذلك على الدنيا بالقلب الشحيح، كالذباب على المخاط والقيح، وكانوا من العقبى غافلين. ما بقي لهم شغل من غير شرب الصهباء، وإسبال ثياب الخيلاء، وأكل الخبز السميذ، ومَلْءِ قِرب البطون بكأس النبيذ، وتوهين المقدّسين. أرى المُدام سكنهم، والغبوق خدينهم، والبطن دينهم، ونسوا عظمة الله مجترئين. لا تتحامى لُسْنُهم من الزور والدجل والمَين، ولا يتقون دَرَنَ الكذب والشَّين. هذه أعمالهم ثم يسُبّون المعصومين.

نسوا الآخرة، وفرغوا مِن همّها بما غرَّهم الكَفّارةُ، وغلبت عليهم النفسُ الأمّارة. يأكلون ما يشاءون، ويقولون ما يريدون، لا يعرفون أوصاف الإنصاف، ويرتضعون أخلاف الخِلاف. وما حملهم على ذلك إلا النفس التي كانت خليع الرسن، مديد الوسن، فمالوا عن الحق إلى الباطل، وتركوا أصحاب اليمين. لِم لا ينهاهم أكابرهم عن المنكرات، ولِم لا يمنعونهم مِن نقل الخُطُوات إلى خِطط الخطيّات، ولِم يتركونهم فارغين؟ فعندي من الواجبات أن تُكتَب عليهم خدماتٌ تناسبُ قومَ كل أحد وحرفةَ كل أحد. فليُعطِ للنجّار فاسًا، وللطارق النقّاشِ مِنْسجا جِرفاسا، وللحجّام مِشْراطا وموسى، وللعصّار معصرة عظمى، لكي يشتغل كل أحد منهم بما هو أهله، ويمتنع من كل فضولٍ ولغوٍ وتأثيم، ولكي يستريح الخلق من شرهم، وعبادُ الله من أذاهم، وفي ذلك نفع عظيم لأكابرهم المغبونين.

وأمّا هذا الرجل الذي صال عليَّ، فما صال إلا لحاجةٍ ألجأتْه إلى ذلك، وهو أنه عجِز عن جوابِ سؤالاتٍ قد أوردناها عليه وعلى رفقائه في مباحثة كانت بيننا وبينهم، وتبيّنَ أنهم على الباطل وفي ضلال مبين. فتندّمَ غايةَ التندّم، واضطر كمذبوح واعتاص الأمر عليه، فما رأى طريقا يُرضي به قومه إلا طريق البهتانات، فاختاره ليستر عُواره بتلك المفتريات. فأُشرِبَ في قلبه أن يستمدّ بوشائه من أهل الحكومة والولاية، ويريش بكلمات الشر نَبْلَ السعاية، لعلهم

يصلبوني أو يقتلوني، ويعلو أمر قوم متنصرين. فمنشأ تحريراته هذه الخطرات المنسوجات لا غيرها، وما اختار هذا إلا لعدم علمه بمراحم الدولة علينا وحقوق مخزونة لديها ولدينا. وقد تَهادَينا بأمور تزيد الوِفاقَ، وتُخرج من القلوب النفاقَ. فليس على سمائنا الغمامُ ليعزوه إلى ظلامِ النمّامُ، وليس في كنانتنا مرماة واحدة لنخاف المناضلين. وما رأى هذا المتجنّي الغبيّ أن الدولة البرطانية فهيمة مدبّرة تعرف كل كلمة وما تحتها، وتفهم كل افتراء وأهله، ولا تتبع رأي كل قَتّات ضَنين. فما كان لأحد أن يدلّي بغرور هذه الدولةَ أو يخدعها، فإنها تعرف الخائن القتّاتَ، والدُّخْلُلَ الكاذبَ المِقتاتَ، ولا تشتعل كالمخدوعين، بل تُهجِّمُ عِقابَها على المفترين، وتحملق إلى الذين يسطون على الضعفاء ولا تترُكَنْ سِيَرَ الظالمين.

فالحجة التي تُبرِّئنا من وشاية هذا الرجل وتُنقذنا من إبرامه وتُبعِد عليه نيلَ مرامه، فهو ما ذكرنا آنفا. والله يعلم أنّا نحن براءٌ من هذه البهتانات، بل نحن مستحقون أن تُسبِغ الدولة علينا مِن أعظم العطيّات، وتجزي جزاءً خيرا بمزاياها وتعيننا عند الضرورات، وتحسبنا من المحسنين. هذا هو الأمر الذي ليس فيه تفاوتٌ مثقال ذرّة ويعلمه العالمون. ولكن ليس عندنا علاج الواشي الوقيح والزُّمَّحِ المَضِيح، وقد قلنا كلَّ ما هو مَدْحَرة الكاذبين.

وأمّا ثناء هذا الرجل على الشيخ البطالوي، أعني صاحب جريدة "الإشاعة" محمد حسين، وقولُه إنه نِعْمَ الرجل ويستحق التحسين،

فما نفهَم سرَّ هذا الأمر ونتعجّب غاية التعجّب، كيف أثنى عليه الرجلُ الذي يسُبّ رسول الله ﷺ ولا يرضى عن مؤمن الذي يحب رسول الله، ويشتم نبيَّنا وسيدنا ﷺ بكلمات ترتجف منها قلوب المسلمين. وما ننكر هذا الثناء، لعل البطالوي يكون عند المتنصرين هكذا، ولعله نطق بكلمة سرّتْ أعداءَ رسول الله، ولكنا ما نرى أن نتكلم في هذا ولا نطوّل الكلام فيه، وكل أحد يؤخذ بقوله، واللهُ يرى عباده الصالحين والطالحين.

وأما قول هذا الواشي وزعمه كأني أريد ملكوتًا في الأرض أو إمارة في القوم، فإن هي إلا افتراء مبين. ونُشهد كل من يسمع أنّا لسنا طالبي ملكوت الأرض، ولا نريد إمارة هذه الدنيا وزينتها الفانية، إن نريد إلا ملكوت السماء التي لا تنفد ولا تفنى ولا تنقضي بالموت. ولا نطلب قهر الناس بالحكومة والسياسة والقضاء، بل نطلب عزيمةً قاهرة الأهواء في الرّضاء❖ المولى الذي هو أحكم الحاكمين. وليس أصولنا إشاعة الفساد والطلاح والتبار، بل ندعو إلى الصلح والصلاح وطريق الأبرار، ونريد أن يتوب الخلق توبة الأخيار، وأعظم مدّعائنا أن يطلب الناس حقيقةَ الإيمان، ويرغبوا إلى فهم دقائق العرفان، ويكثر التراحم والتحنن فيهم، وينتهوا من السيئات وأنواع الهنات، فنجتهد لتحصيل هذا المقصد بالمواعظ الحسنة، والدعاء والنظر والهمة. هذه أصولنا، فمن عزا إلينا خلاف

❖ *سهو، والصحيح: "رضاء". (الناشر)*

ذلك فقد افترى علينا. وما أقامنا على هذا إلا الرب الذي يرسل نوره عند غلبة الظلام، ويبدي دواءً عند كثرة السقام، وينجّي عباده المضطرين. ولا شك أن الفتن قد كثرت في الأرض وصعدت الأدخنة إلى السماء، وهبّت رياح مفسدة مبيدة من كل طرف إلى أقصى الأرجاء، ولو فصّلنا هذا[◈] الفتن كلها لاحتجنا إلى المجلّدات، وأبكينا كثيرا من الباكين والباكيات، وزلزلْنا أقدام السامعين. وأنتم تعلمون أن لكل داء دواء، ولكل ظلام ضياء، فأراد ربي أن ينير الدنيا بعد ظلماتها، والله يفعل ما يشاء، أأنتم تنكرونه يا معشر العاقلين؟

ومع ذلك لسنا نميس كالأمراء، بل نحن نمشي في الطِّمْر كالفقراء، ولا نجرّ ثوب الخيلاء، ونشكر القيصرة وحكامها على ما أحسنوا إلينا في أيام الضرّاء، وندعو لها صدقا وحقا ونرسل إليها هدية الدعاء، وندعوها بقول ليّن إلى الإسلام لتدخل في نعماء أبد الآبدين. بيد أننا لا نرضى بمذهبها، ونحسب أنها من الخاطئين الضالين. وأعجبَنا أنها مع كمال حزمها ولطافة فهمها في أمور الدنيا تعبد عبدًا عاجزا وتحسبه رب العالمين! سبحانه لا شريك له، وإن شاء لخلَق ألوفا مثل عيسى أو أكبر وأفضل منه ويخلُق، ومن يعلم أسراره؟ فتوبوا واتقوا أن تجعلوا له شركاء وأْتوه مسلمين. وكيف نظن أن عيسى هو الله وما قرأنا فلسفة يثبت منها أن رجلا كان

[◈] *سهو، والصحيح: "هذه". (الناشر)*

يأكل ويشرب ويبول ويتغوّط وينام ويمرض، ولا يعلم الغيب، ولا يقدر على دفع الأعداء، ودعا لنفسه عند مصيبة مبتهلا متضرّعا من أول الليل إلى آخره فما أجيبت دعوته، وما شاء الله أن يوافق إرادته بإرادته، وقاده الشيطان إلى جبل فأتبعَه، فما استطاع أن يفارقه، ومات قائلا: إيلي إيلي لما سبقتني، ومع ذلك إله وابن إله! سبحانه، إن هذا إلا بهتان مبين.

وإني رأيت عيسى عليه السلام مرارا في المنام ومرارا في الحالة الكشفية، وقد أكل معي على مائدة واحدة، ورأيته مرة واستفسرتُه مما وقع قومه فيه، فاستوى عليه الدهش، وذكَر عظمة الله وطفِق يسبّح ويقدّس، وأشار إلى الأرض وقال إنما أنا ترابيٌّ وبريءٌ مما يقولون، فرأيته كالمنكسرين المتواضعين.

ورأيته مرة أخرى قائما على عتبة بابي وفي يده قرطاس كصحيفة، فأُلقِيَ في قلبي أن فيها أسماء عباد يحبون الله ويحبهم وبيان مراتب قربهم عند الله، فقرأتُها فإذا في آخرها مكتوب من الله تعالى في مرتبتي عند ربي: "هو مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي، فكاد أن يُعرَف بين الناس". هذا ما رأيتُ، ويكفيك إن كنت من الطالبين.

لا يقال إنها رؤيا أو كشف ومن المحتمل أن يتمثل الشيطان في مثل هذه الواقعات، فإن الشيطان لا يتمثل بصورة الأنبياء، فتقبَّلْ هذا السر الجليل، ولا تقبل ما قيل. وإنّا قرأنا عليك معارف الله، فهل لك أن ترغب فيها وتكون من الصالحين؟

ذكرُ بعض اعتراضات الواشي وردُّها

منها قوله أن قسّيسي هذا الزمان ليسوا بدجّالين. ثم بعد ذلك حثَّ الحكومة البرطانية على إيذائي، ويشير إلى أن هذا الرجل يعتقد أن هذه الدولة هي الدجال المعهود وأنه من الباغين.

أما الجواب فاعلم أننا لا نسمي الدولة البريطانية دجالا معهودا، بل نعلم ونستيقن أن هذه الدولة محققة عاقلة مفكرة في حقائق الموجودات، وقد رزقها الله من العلم والحكمة والفلسفة وأنواع الصناعات، وحفّتْ بها لمعاتُ المعقولات، فهي تعرف الترهات، وتفضّ خَتْمَ سرِّ المزوّرات، وليست من الذين يرضون بالهذيانات. فكيف يمكن أن تؤمن بهذه الخرافات، بل تحسبها كسَمْرٍ لا أصل له أو كطَيفٍ مركَّب من الخزعبلات، ومع ذلك لا ميل لها أصلاً إلى الدينيات. وفتَن قلبها حبُّ الدنيا وشوق الحكومات، فهي غريقة في دنياها من الرأس إلى القدم في كل الخطوات، ولا تميل إلى دين، وإذا مالت فإلى الإسلام، فلا تقبل إلا هذا الدين وملة خاتم النبيين. وإنا نرى أنها ترمُقه بعين المحبّ وليست على الضلالة كالمكبّ، بل تزجي أيامها في التدبر، ولا تعرض كالمتكبر، وإني أجد آثار رشدها، وأظن أنها ستميل إليه ولا يتركها الله في الغافلين الضالين. وقد دخل من علمائهم في ديننا طائفة من شبان رُوقة وشارة مرموقة، وآخرون منهم يكتمون إيمانهم إلى حين. وإنا نرى أن ملكتنا المكرمة مرجوّة

الاهتداء، وقد أعطيتْ لقلبها حبّ الإسلام وشوق هذا الضياء، وعسى أن يُدخل الله نور توحيده في قلب هذه الملكة الزهراء وقلوب أبنائها العقلاء، وليس على الله بعزيز، بل قدرته صالحة لهذه النور، وهو على كل شيء قدير، وإنه يجذب إليه قلوب الطالبين.

وكذلك نرى أن أعاظم أركان الدولة يميلون إلى التوحيد يوما فيوما، وقد نفرت قلوبهم من مثل هذه العقائد الباطلة، ولا يليق بشأنهم أن يعبدوا بشرًا مثلهم في الضعف واللوازم الإنسانية، وكيف وقد أعطاهم الله أنواع العلوم وحظًّا وافرًا من الفهم والعقل، ولا نجد في محققي هذا القوم رجلا يرضى بهذه الأباطيل إلا نادرا كالشعرة البيضاء في اللِّمّة السوداء، وإني أعلم أنهم بَيْضُ الإسلام، وستخرج منهم أفرُخُ هذه الملّة، وستُصرَف وجوههم إلى دين الله. إنهم قوم يفتّشون كل أمر، ولا يغضّون الطرف من الحق الذي حصحص، ولا يَتَّئِبون من قبول الحق ويطلبون ولا يلغبون، ومن طلب فوجد ولو بعد حين.

وأما ما خوّف الواشي المزورُ الحكومةَ البريطانية عن بغاوتنا فما هذا إلا وِشاء وشَتْمٌ، وليس على سِرِّنا ختمٌ، والدولة أعرَفُ من هذا الواشي وهي ابن الأيام، وبيتنا عندها في هذه النواح عَلَمُ الأعلام، وتعلم رعاياها طبقًا عن طبق، فلا يخفى عليها غرضُ هذا الواشي وليس بمستور عليها سرُّ فزعه ومقصد جزعه، بل هي تعلَم حق العلم أمثالَه الذين يريدون مخاتلة الحكّام مِن سَورة تعصُّبهم وفورة عداوتهم

وفساد فطراتهم، وما في وعائهم إلا سمّ الفساد، وما في قلبهم إلا مقت الارتداد. أعرضوا عن المهيمن وجلاله، وعثوا في الأرض مفسدين.

وقد كتبْنا غير مرة أنا نحن من نصحاء الدولة ودواعي خيرها، وكيف وقد جبر الله مصائبنا بها، وأزال بها مرارة حياتنا. وكنا في أرضٍ مَحْياةٍ، فأُهلكَ بها كلُّ حيّة كانت حولنا، وإن لها علينا إحسانا عظيما فلن ننسى إحسانها، وإنا من الشاكرين.

وأما ما ذكر هذا الواشي قصةَ جهاد الإسلام، وتظنّى أن القرآن يحثّ على الجهاد مطلقا من غير شرط من الشرائط، فأيُّ زور وافتراء أكبرُ من ذلك إن كان أحد من المتدبرين؟ فليعلم أن القرآن لا يأمر بحرب أحد إلا بالذين يمنعون عباد الله أن يؤمنوا به ويدخلوا في دينه ويطيعوه في جميع أحكامه ويعبدوه كما أُمروا. والذين يقاتلون بغير الحق ويُخرجون المؤمنين من ديارهم وأوطانهم ويُدخلون الخَلق في دينهم جبرًا وقهرًا، ويريدون أن يطفئوا نور الإسلام ويصدّون الناس من أن يُسلِموا، أولئك الذين غضب الله عليهم ووجب على المؤمنين أن يحاربوهم إن لم ينتهوا.

فانظر هذه الدولةَ.. أيُّ فساد توجد● فيها من هذه المفاسد؟ أتمنعنا من صلواتنا وصومنا وحجّنا وإشاعة مذهبنا؟ أو تقاتلنا في ديننا أو تخرجنا من أوطاننا؟ أو يجعل الناس نصارى ظلمًا وجبرا؟

● *سهو، والصحيح: "يوجد". (الناشر)*

كلا.. بل إنها بريئة من كل هذه الإلزامات، بل هي لنا من المُعينين. ثم انظرْ إلى أحكامٍ علّمَنا القرآن للذين أحسنوا إلينا، وراعوا شؤوننا وكفلوا شجوننا، ومانُونا وآوَونا، بعدما كنا تائهين. أيمنعنا ربنا من أن نحسن إلى المحسنين ونشكر المنعمين؟ كلا.. بل القرآن يأمر بالقسط والعدل والإحسان والله يحب المقسطين. وقد قال في القرآن: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[◎]، وما قال "ولتكن منكم أُمّةٌ يقتلون الكفار ويُدخلونهم جبرًا في دينهم". وقال جَادِلْهم (أي جادِل النصارى) بالحكمة والموعظة الحسنة، وما قال اقتلوهم بالسيوف والصوارم إلا بعد صدّهم عن سبيل الله ومكرهم لإطفاء نور الإسلام وقيامهم في مقام المعادين، فانظُرْ ما قال ربنا رب العالمين.

وقد بيّنّا لك أن الحرب ليس من أصل مقاصد القرآن ولا من جذر تعليمه، وإنما هو جوّز عند اشتداد الحاجة وبلوغ ظلم الظالمين إلى انتهائه واشتعال جور الجائرين. ولكُمْ أسوة حسنة في غزوات رسول الله ﷺ، كيف صبر على ظلم الكفار إلى مدة يبلغ فيه صبي إلى سن بلوغه، فصبر. وكان الكفار يؤذونه في الليل والنهار. ينهبون أموال المؤمنين كالأشرار، ويقتلون رجالهم ونساءهم بتعذيبات تتحدر بتصورها دموع العيون وتقشعر قلوب الأخيار، وكذلك بلغ الإيذاء إلى انتهائه حتى همّوا بقتل نبي الله، فأمره ربه أن يترك وطنه

[◎] *آل عمران:١٠٥*

ويهرب إلى المدينة مهاجرا من مكة، فخرج رسول الله ﷺ من وطنه بإخراج قومه. ومع ذلك ما كان الكفار منتهين، بل لم يزل الفتن منهم تستعِرُّ، ومحجّة الدعوة تَعِرُّ، حتى جلبوا على رسول الله ﷺ خيلَهم ورَجِلَهم، وضربوا خيامهم في ميادين بدر بفوج كثير قريبا من المدينة، وأرادوا استئصال الدين. فاشتعل غضب الله عليهم ورأى قبح جفائهم وشدة اعتدائهم، فنـــزل الوحي على رسوله وقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾☆، فأمر الله رسولَه المظلوم في هذه الآية ليحارب الذين هم بدأوا أول مرة بعد أن رأى شدة اعتدائهم وكمال حقدهم وضلالهم، ورأى أنهم قوم لا يرجى بالمواعظ صلاح أحوالهم.

فانظر كيف كان حرب رسول الله ﷺ. وما حارب نبي الله أعداءَ الدين إلا بعدما رآهم سابقين في الترامي بالسهام والتجالد بالحُسام، وما كان الكفار مقتولين فقط بل كان يسقط من الجانبين قتلى، وكان الكفار ظالمين ضالين*.

فليتدبر في هذا المقام كل عاقل - حفظه الله تعالى عن الحمق وصانه عن السفاهة وسير اللئام - ليظهر عليه حقيقةُ جهاد الإسلام، ولينظُرْ أين أثر الظلم في هذا الجهاد، وأين إيذاء المحسن ذي الإنعام؟ بل كان رأس الإسلام في تلك الأيام معرَّضًا لدوس الأقدام، وقد

☆ *الحج: ٤٠*

* *ربما هو سهو، والصحيح "صائلين"، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)*

وردت على المسلمين مصائب إلى حد يُجري الدموع قصّتُها من المُقْلتين وتشوي القلوب بنار الآلام. فهل مِن منصف ينظرها ويخاف قهر الرب العلام، أم انعدم الإنصاف من قلوب المخالفين؟ هذا هو الحق ولا نخبّئ الحق ولا نستره، والنفاق عندنا أكبر الذنوب، والرياء أخطر الخطوب، ومِن سِيَرِ الظالمين المشركين.

فخلاصة قولنا إن مسألة الغزوة والجهاد ليست محورَ الإسلام وأَسْطَقْسَه كما فهمه الجاهلون المخالفون، أو المتجاهلون من المسلمين، بل وردت في كتاب الله تصريحاتٌ على خلافها كما سمعتَ آياتِ رب العالمين.

وأما العقيدة المشهورة.. أعني قول بعض العلماء أن المسيح الموعود ينـــزل من السماء ويقاتل الكفار ولا يقبل الجزية بل إما القتل وإما الإسلام.. فاعلموا أنها باطلة ومملوءة من أنواع الخطأ والزلّة ومن أمور تخالف نصوص القرآن، وما هي إلا تلبيسات المفترين. يا حسرة عليهم! إنهم أَطْرَأُوا عيسى مِن غير حق حتى قال بعضهم إنه ملَك كريم وليس من نوع الإنسان! وقال بعضهم إن هو إلا كلمة الله وروح الله، وليس في هذه المرتبة شريكا له. وزاد بعضهم عليه حواشي أخرى، وقال هو مخلوق أقرب إلى الله وأفضل من الملائكة، فإن الملائكة لا يُرفَعون إلى العرش وهو مرفوع على العرش لأنه مرفوع إلى الله، فهو أفضل من الملائكة كلهم ومن كل ما خُلِقَ وذُرِئَ. هذا بيان بعض العلماء، وأما صاحب "الإنسان

الكامل" عبدُ الكريم الذي هو من المتصوفين، فبلّغ الأمرَ إلى النهاية، وقال إن التثليث بمعنى حق ولا حرج فيه، وإن عيسى كذا وكذا، بل أشار إلى أنه ليس بمخلوق. ومنهم من اعتدى في كذبه وقال: بسم الله الآب والابن وروح القدس. كذلك أيّدوا الفِرْية ونصروها. وكان الكذب في أول الأمر قليلا، ثم من جاء بعد كاذبٍ ألحقَ بكذبه كذبا آخر، حتى ارتفعت عمارة الكذب، وجُعل ابنُ عجوزةٍ ابنَ الله، وبعد ذلك جُعل إلهَ العالمين، ألا لعنة الله على الكاذبين. إنْ عيسى إلا نبي الله كأنبياء آخرين، وإنْ هو إلا خادم شريعة النبي المعصوم الذي حرّم الله عليه المراضع حتى أقبلَ على ثدي أُمّه، وكلّمه ربُّه على طور سينين وجعله من المحبوبين. هذا هو موسى* فتَى الله، الذي أشار الله في كتابه إلى حياته، وفرض علينا أن نؤمن بأنه حيٌّ في السماء ولم يمت وليس من الميتين◈.

* **الفائدة:** كلّم اللهُ موسى على جبل وكلّم الشيطانُ عيسى على جبل، فانظر الفرق بينهما إن كنت من الناظرين. منه

◈ *قد أوضح المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع في كتابه "حمامة البشرى" فقال: "أعيسى حيٌّ ومات المصطفى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! اعدلوا هو أقرب للتقوى. وإذا ثبت أن الأنبياء كلهم أحياء في السماوات، فأيّ خصوصية ثابتة لحياة المسيح؟ أهو يأكل ويشرب، وهم لا يأكلون ولا يشربون؟ بل حياة كليم الله ثابت بنص القرآن الكريم.. ألا تقرأ في القرآن ما قال الله تعالى عز وجل: ﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾. وأنت تعلم أن هذه الآية نزلت في موسى، فهي دليل صريح على حياة موسى عليه السلام، لأنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأموات لا يلاقون الأحياء. ولا تجد مثل هذه الآيات في شأن عيسى عليه السلام. (الناشر)*

وأما نـــزول عيسى من السماء فقد أثبتنا بطلانه في كتابنا "الحمامة"، وخلاصته أنّا لا نجد في القرآن شيئا في هذا الباب من غير خبر وفاته الذي نجدها◈ في مقامات كثيرة من الفرقان الحميد. نعَمْ جاء لفظ النـــزول في بعض الأحاديث، ولكنه لفظ قد كثر استعماله في لسان العرب على نـــزول المسافرين إذا نـــزلوا من بلدة ببلدة أو من مُلك بملك متغربين. والنـــزيل هو المسافر كما لا يخفى على العالمين.

وأما لفظ التوفي الذي يوجد في القرآن في حق المسيح وغيره من بني آدم فلا سبيل فيه إلى تآويل أخرى بغير الإماتة، وأخذنا معناه من النبي ومن أجلّ الصحابة لا مِن عند أنفسنا. وأنت تعلم أن الإماتة أمر ثابت دائم داخل في سنن الله القديمة، وما من رسول إلا تُوُفّي وقد خلتْ من قبل عيسى الرسلُ. فإذا تعارض لفظ التوفي ولفظ النـــزول.. فإن سلّمنا وفرضنا صحة الحديث فلا بد لنا أن نؤوّل لفظ النـــزول، فإنه ليس بموضوع لنـــزول رجل من السماء، بل وُضع لنـــزول مسافر من أرض بأرض، فما كان لنا أن نترك معنى وُضع له هذا اللفظ في لسان العرب ونردّ بيناتِ القرآن. وما نجد ذكر السماء في حديث صحيح، وما نجد نظير النـــزول في أمم

◈ سهو، والصحيح: "نجده". (الناشر)

أولى*، بل يثبت خلافه في قصة يوحنا. فلا شك أن هذه العقيدة.. أعني عقيدة نـــزول المسيح من السماء.. مبتلاة بأمراض لا بمرض واحد يخالف بينات القرآن، ويكذّب أمر ختم النبوة، ويباين محاورات القوم، ويخالف الآثار التي صرحت فيها موت المسيح. فتَفكّروا أيها الناس إن كنتم من المتفكرين.

وأما الشق الثاني.. أعني محاربات المسيح الموعود بعد النـــزول، كما هو زعم بعض الناس الذي ما كان إلا كالغبي الجهول، فهو ليس مذهبنا، بل عندنا هو خيال باطل لا يصلح للقبول، وبعيد عن الحق واليقين وداخلٌ في نمط الفضول. وكفى لبطلانه الحديثُ الذي موجود في البخاري.. أعني "يضع الحربَ"، يعني لا يقاتل المسيحُ الموعود ولا يحارب، بل يفعل كل ما يفعل بالنظر والهمة، ويجعل اللهُ في نظره تأثيرات عجيبة، وفي أنفاسه بركات غريبة، ويجعل في فهمه وعقله قوة السيف والسنان، ويعطي له بيانا مملُوًّا من البرهان، وحججًا قاطعة لعُذْرات أهل الطغيان. فهذه هي الحربة السماوية التي ما صنعها أيدي الإنسان، بل أُعطيتْ من يد الله الرحمن، ونـــزلت من السماء لا من أعمال أهل الأرضين.

فالحاصل أن اعتقادنا هو هذا، لا كما فهِم الواشي الغبيّ والنمّام الدنيّ، فإنه خطأٌ فاحش عندنا، ونخطّئ قائلَ تلك الأقوال، وقد أخطأ

* **الفائدة**: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، ولكنا لا نجد ذكر صعود عيسى وذكر نـــزوله في التوراة، ولا مثالاً يُشابهه. وإن التوراة إمامٌ لِذِكر الأمثلة كلها، ولأجل ذلك سماه الله إمامًا في كتاب مبين. منه

من قال ووقع في ضلال مبين. فالحق الذي أرانا الحقُّ الحكيمُ وأنبأنا اللطيف العليم، هو أن حربة المسيح الموعود سماوية لا أرضية، ومحارباته كلها بأنظار روحانية، لا بأسلحة جسمانية، وهو يقتل الأعداء بعقد النظر والهمة، أعني بتصرف الباطن وإتمام الحجة، لا بالسهام والرماح والمَشْرَفيّة، وله ملكوت السماء لا ملكوت الأرضين. وأما الذين ينتظرون مسيحا يأتي بالجنود ويخرج كالأسود، ويقتل كل من لم يؤمن من الكافرين، وينـــزل كصاعقة محرقة من السماء، ولا يكون له شغل مِن غير سفك الدماء، ويكون حريصا على قتل نفس ولو كان خنـــزيرا، ويأخذ السيف البتّار قبل أن يتمّ حجّته على المنكرين، فنحن لسنا منهم ولا نعرف ذلك المسيح ولا نعلم ولا ندري أثرا من تلك الأباطيل في كتاب الله المبين. فلا نقبل هذه العقيدة أبدًا، ولسنا من الذين يقرّون به مقلّدين كالعمين.

فالحاصل أنه ليس من عقائدنا، بل إنما هو من عقائد شيخ بطالوي صاحبِ "الإشاعة" مضلِّ الجماعة، أعني محمد حسين وأمثاله الذين هُمْ فُلاّحَ تلك الزراعة. فالملخص أن هذا المسلك من مساعيهم التي يسعون، وآرائهم التي ترون، وأنهم قد رسوا عليه وليسوا بالمنتهين الراجعين، بل يخبرون عنه على المنابر ويذكرونه مُتباشِرين. ومِن أعظم مُنْيتهم النفسانية أن يجيء مسيحهم الموهوم كالمليك الجبّار، ويقتل كلَّ من في الأرض من الكفار، ويجمع غنائم كثيرة قنطارا على القنطار، ثم يجعل البطالويَّ وإخوانه من المتمولين.

وأما نحن فلا نعتقد كذلك، بل نعلم أنهم أخطأوا في هذه الآراء، وأجنّهم الليل وبعدوا عن الضياء، فما فهموا وما مسّوا مسلك المتبصرين، وما سُقوا من المعارف النبوية والأسرار الإلهية، بل أكلوا فُضلاتِ قومٍ ضلوا من قبل ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ورضوا بأقوال الختّارين.

وكان سرّ هذه العقيدة من أدقّ المسائل وأصعبها، فما فهِمه آراءٌ سطحية وعقول ناقصة، واختاروا طرقًا دون ذلك مستعجلين. فتمَّ ما جاء في "فَيْجٍ أعوَجَ" مِن أصدقِ الصادقين، وإن في هذا برهانا للمتفكرين. ثم تفضّلَ الله علينا وكشف هذا السر فضلا ورحما وهو أرحم الراحمين. يرقّي من يشاء، ويحطّ من يشاء، ويجعل من يشاء من العارفين. وعلمنا بتعليمه وفهِمنا بتفهيمه وأُيِّدْنا بتكريمه وهو خير المؤيّدين. وألهمَنا أن الحرب حرب روحاني بنظر روحاني. وأعجبني أنهم يقرّون أن عيسى لا يقاتل يأجوج ومأجوج، بل يدعو عليهم عند اشتداد المصائب وهجوم الأعداء كالسهم الصائب، وكذلك يقرأون لفظ النظر في كتب الأحاديث ثم ينسونه ولا يتدبرون كالعاقلين. ختم الله على قلوبهم، فلا يفهمون دقيقة من دقائق المعرفة، ولا نكتة من نكات الحكمة، بل نرى أن ذهنهم مزمهرّ، ودَجْنُه مكفهرّ، فلا يستشفّون لآلئَ الحقائق، ولا يُمعِنون في الدقائق، ويسبَحون على سطح الألفاظ، وليسوا في بحر المعانيِ غوّاصين. ومن

يفهّم رجلاً ما فهّمه اللهُ؟! ومن لم يهده الله فكيف يكون من المهتدين؟!

هذه هي العقيدة التي أشهرناها في كتبنا غير مرة، ولأجل ذلك كُفّرنا وأُوذينا وكُذّبنا وأُفْردنا كالذي يُترك في البوادي والفلوات منفردا، فنحن في هذه الأوان كغريب في خان، لا كشَغِبٍ في حماية إخوان. لا نريد الرياسة بل آثرنا الخصاصة، ونبذنا فروةَ إمارة، ورضينا بعباءةِ فقرٍ وما بالَيْنا طَعْنَ نظّارةٍ، ولا لومَ اللائمين. فلا تُبادرْ يا لاهِسَ كأسِ قسيسين إلى ظن السوء، ولا تنفُضْ مِذْرَوَيْك، فإنّ أمرنا متبين واضح وليس شيء في يديك، ولست من الحاكمين. فإن كنت تشتاق أن تستقري طرق النميمة، فاعلم أنك خائب ولا يحصل لك شيء من غير ظهور سِيَرِك الذميمة، ولا تقدر أن تُخفي ما أبداه ربنا، ولا تضرّ مَن حفظه الله وهو خير الحافظين. فأَعرِضْ عنها واشتغِلْ بنضرة دنياك وخضرتها، واصطبِحْ واغتبِقْ وافرَحْ على جيفتها، ولا تدخُلْ فيما لستَ أهله، ولا تغضب ولا تشتعل، فإن مقت الله أكبر من مقتك، وإن ناره تحرق الظالمين.

والعجب أن أكابر المسيحيين خُدعوا فيك، وما عرفوك حق المعرفة إلى هذا الوقت، وعجزوا عن فَضِّ سرِّك وكشفِ دعواك وإدراكِ عمقك، وأكلتَهم كالخادعين. يا حسرة عليهم! لِم يضيّعون أموالهم على أمثالك، ولم لا يرجعون إلى اليقظة بعد التجارب المؤلمة، ولم لا يعرفون البطّالين؟

وأما قولك أن قسّيسي هذا الزمان ليسوا دجّالاً معهودًا، فهذا دجلك الأكبر. وسألت عني دليلا عليه فاعلم أن هذا ليس قولي بل قاله المسيح من قبلي، فانظر في إنجيل لوقا في الإصحاح الثالث⊙ من آية ٢٤ إلى ٣٠، فستجد ما قلنا بمزاياه وهو هذا يا عدو الطيبين:

"فقال لهم اجتهِدوا أن تدخلوا من الباب الضيق، فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون مِن بعدما يكون رب البيت قد قام وأغلق البابَ. وابتدأتم تقِفون خارجا وتقرعون الباب قائلين: يا رب، يا رب، افتحْ لنا. يجيب ويقول لكم: لا أعرفكم مِن أين أنتم. حينئذ تبتدئون تقولون: أكَلْنا قدّامك، وعلّمتَ في شوارعنا. فيقول: أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم، تباعَدوا عني يا جميع فاعلي الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا ويأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال ومن الجنوب ويتّكئون في ملكوت الله، وهو ذا آخرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين".

هذا ما كتبنا من كتابكم إنجيل لوقا بعبارته العربية، وما زدنا وما نقصنا بل رقمنا كما هو هو كالناقلين. وللمستنكرين المستعرفين أن يرجعوا إلى ذلك الكتاب إن كانوا من المرتابين.

⊙ *سهو، والصحيح: "الثالث عشر". (الناشر)*

فلا تضرِبْ عنه صفحًا ولا يلفَحْك الحقدُ لفحًا، وفكِّرْ كالمنصفين. وانظر أن المسيح سماكم في هذه الآية "فاعلي الظلم"، وقال أُعرِض عنكم في يوم القيامة وأتصدى بالصدود وأقول لستم مني ولا من هذا الجنود، فاخسأوا يا معشر الظالمين الكافرين. وأشار إلى أنكم لبَستم الحق بالباطل وتركتم أمره وكنتم قومًا دجّالين. وأنت تعلم أن حقيقة الظلم وضعُ الشيء في غير موضعه عمدًا وبالإرادة لينتقب وجهُ المحجّة ويُسَدّ طريق الاستفادة ويلتبس الأمر على السالكين. فالظالم هو الذي يحلّ محلّ المحرّفين ويبدّل العبارات كالخائنين، ويجترئ على الزيادة في موضع التقليل والتقليل في موضع الزيادة كَيْفًا وكَمًّا، أو ينقل الكلمات من معنى إلى معنى ظلمًا وزورًا مِن غير وجودِ قرينة صارفة إليه، ثم يأخذ يدعو الناسَ إلى مفترياته كالخادعين. وما معنى الدجل والدجالة إلا هذا، فليفكّر من كان من المفكّرين.

وأُلقِيَ في روعي أن المسيح سمى الآخرين من النصارى الدجالين لا الأولين، وإن كان الأولون أيضا داخلين في الضالّين المحرّفين. والسر في ذلك أن الأولين ما كانوا مجتهدين ساعين لإضلال الخَلق كمثل الآخرين، بل ما كانوا عليها قادرين. وكانوا كرجل مصفَّد في السلاسل ومقرَّن في الحبال وكالمسجونين. وأما الذين جاءوا بعدهم في زماننا هذا ففاقوا أسلافهم في الدجل والكذب، ووضَع الله عنهم أياصرهم وأغلالهم، ونجّاهم عن السلاسل التي كانت في

أرجلهم ابتلاءً من عنده، وكان قدرًا مقضيًّا من رب العالمين. وكان قدرُ الله أن يبرزوا بعد ألف سنة من الهجرة حتى ظهروا في هذه الأيام كغُولٍ خُلِّصَ وأُخرِجَ من السجن، ثم استوى على راحلته لاويًا إلى زافرته وحزبٍ خُلقوا على شاكلته، وكانوا لقبوله مستعدّين. ثم أشاعوا كيف شاءوا من أنواع الكفر وأصناف الوسواس وكانوا قوما متموّلين. وهذا هو الذي كُتِبَ في الصحف الأولى.. أن الثعبان الذي هو الدجال يلبث في السجن إلى ألف سنة ثم يخرج بفوج من الشياطين، فليتذكر من كان من المتذكرين. كذلك خُلِّصوا بعد الألف وتناسَوا ذمام الله ونكثوا عهوده وأحفظوا ربهم مجترئين. وجمعوا كل جهدهم لإضلال الناس، واستجدّوا المكائد كالخنّاس، وجاءوا بسحر مبين. وأضاعوا التقوى والعمل الصالح، واتّكأوا على كَفّارة لا أصل لها، واتبعوا كل إثم واستعذبوا كل عذاب، وكذّبوا المقدسين. وتجنَّوا وقالوا نحن عباد المسيح وأحباؤه، وهيهات أن تُراجع الفاسقين مِقَةُ الصالحين. وقد سمعتَ آنفًا أن المسيح سماهم فاعلي الظلم، وسمعت أن الظلم والدجل شيء واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿آتَتْ أُكُلَها و لم تَظْلِمْ منه شيئًا﴾✪، أي لم تنقص، وإطلاق الظلم على النقص الذي كان في غير محله أو الزيادة التي ليست في موضعها أمرٌ شائع متعارف في القوم، وهذا هو الدجل كما لا يخفى على المتبصرين.

✪ الكهف: ٣٤

فلا شك أن قسّيسي هذا الزمان دجّالون كذّابون يُهلكون عوامّ الناس من نفثاتِ فيهم، وكلِّ نوعِ خداعٍ فيهم. الخَتْر يلمع من جبهتم، والتلبيس من صورهم، ولا نجد في مكايدهم ودجلهم نظيرهم في تصاريف الزمان، ولا مثيلَهم في نوع الإنسان. يقتحمون الأخطار ليُضلّوا الديار، ويبذلون المال للذي رغب إلى دينهم ومال، وتجدهم في كل تلبيس وسيع المورد، وفي كل خداع مبسوطة[*] اليد، وتجدهم في كل كيد ماهرين. وكما أن المسيح يسميهم الدجالين فاعلي الظلم كذلك القرآن سماهم دجالين، وقال: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾[*] يعني لم لا تتجافون عن الاشتطاط في تحريف كلمات الله وأنتم تعلمون أن الصدق وسيلة الفلاح والكذب من آثار الطلاح؛ وفي التزام الحق نباهة وفي اختيار الزور عاهة، فإياكم وطرقَ الكذّابين. فأشار الله في هذا أن علماء النصارى هم الدجالون المفسدون أعداء الحق وأهله. نسوا ظلمة الرمس فلا يذكرون ما ثَمَّ، وحبُّ الشهوات فيهم عَمَّ وتَمَّ وغاب أثر الدين. وأُشرِبَ حسّي ونَبَّأَني حدسي أنهم لا يمتنعون ولا ينتهون حتى يروا مثلَ سننِ الله التي خلت من قبل، ويروا أبا غمرة، الذي يُضرِم في الأحشاء الجمرةَ، ويكونوا كجريحٍ نُوِّبَ متألمين.

---

[*] *سهو، والصحيح: "مبسوط". (الناشر)*

[*] *آل عمران: ٧٢*

فحاصل الكلام أنهم الدجال المعهود وأنا المسيح الموعود. وهذا فيصلة اتفق عليها القرآن والإنجيل، وأكّدها الرب الجليل، فما لكم لا تقبلون فيصلةً اتفق عليها حكمين عدلين◈. أتفرّون من الأمر الواضح وتَعرِضون عِرضكم للمفاضِح، وتُعرِضون عن نصاحة الناصح، وتسبّون مشتعلين؟ ما لكم لا تتنبهون على هذا ولا تخافون، ولا تدمع أجفانكم ولا يبدأ رجفانكم ولا تتوبون متندمين؟ ألا ترون أنكم أغربتم وشذذتم في هذه العقائد، وتركتم الأصل وتمايلتم على الزوائد، وخالفتم الأولين والآخرين؟ لِم لا تسمعون قول الداعي ولا تتبعون الراعي، بل تلدغون كالأفاعي، وتثِبون كالذئب الساعي، وتمشون صُمًّا بكمًا عميًا متكبرين مغرورين؟ وإنما مثلنا في دعوتكم كمثل الذي يحاور عجماءَ أو ينادي صخرةً صمّاءَ أو يكلّم الميّتين. يا حسرة وآهًا على هؤلاء المتنصرين! كيف يعرضون عن الحق الصريح، ويضطجعون ضِجْعَةَ المستريح، ويتركون ذيل الصبيح المليح، ويميلون إلى الشنيع القَبيح، ويأبون الله مغمطين. نبذوا أمره نَبْذَ الحذاء المرقّع، وكفروا بالكتاب الموقّع مجترئين.

◈ *سهو، والصحيح: "حكمان عدلان". (الناشر)*

إلى الدنيا أوَى حزبُ الأجاني وحسبوها جَـنًى حُلْوَ المجَاني
نسوا مِن جهـلهم يوم المعادِ وتركوا الدين مِن حُبّ الدِّنانِ
تراهـم مائلـين إلى مُـدامٍ وغِـيدٍ والغـواني والأغـاني
وكمْ منـهم أسارى عَينِ عينٍ ومشـغوفين بالبِيـض الحِسانِ
لهنَّ عـلى بعـولتهن حُـكمٌ ترى كُلاًّ كمنـطلق العَـنانِ
دماءِ العاشقـين لهـنَّ شغـلٌ بعينٍ أخجلتْ ظَبْـيَ القَـنانِ
ومِن عَجَبٍ جُفـونٌ فاتراتٌ أرينَ الخَـلْق أفعـالَ السنانِ
بنـاظرة تصـيد النـاسَ لحًا تفـوق بلحظها رُمْحَ الطِّعانِ
وأنَّى الأمـن من تلك البلايا سوى الله الـذي مَلِكِ الأمانِ
فعشّـاق الغـواني والمثـاني أضاعوا الدين مِن تلك الأماني
يصُـدّون الورى مِن كل خيرٍ ويغـتاظون من تخلـيصِ عاني
عمـايات الرجال تزيد منهم وفـتن الدهر تنـمو كل آنِ
وما من ملـجأ من دون ربٍّ كريم قـادر كهف الزمـانِ
فنشكو هـاربين من البـلايا إلى الله الحفيـظ المستعانِ
جرتْ حزنًا عيـونٌ من عيوني بما شاهدتُ فتـنًا كالـدخانِ
فهل وجدتْ ثكالى مثلَ وجدي أذًى أم هل لها شأن كشـاني
وكم مـن ظالم يبغـي فسادًا وقسيـسين أصـل الافـتنانِ
تفاحُشـهم تجـاوزَ كل حدّ كأن غـذاءهم فحشُ اللسانِ
فكنتُ أطالعَـنَّ كتابَ سابٍّ وتمـطُر مُقْلَـتي مثل الرَّثانِ
رأينا فيه كلِـمًا مُحفِـظاتٍ وسبَّ المصطـفى بحرَ الحنانِ

صبرتُ عليه حتى عِيلَ صبري ونار الغـيظ صارت في جَناني

وتـأتي ساعـةٌ إن شـاء ربي أُقِرُّ العـينَ بالخـصم المُـهانِ

أخـذْنا السبَّ منهم مثلَ دَينٍ وعـزّتُنا لـديهم كالـرِّهانِ

سنَغْـشاهم ببرهـان كعَضْبٍ رقيـقِ الشفـرتين أَخِ السنانِ

بفـأسٍ نخـتلي تلك الخَـلاتا ورمـحٍ ذابـلٍ وقَنا البـيانِ

بجمجمة العدا قد حلَّ غُولٌ فنُـخرجـه بآيـات المـثاني

لنـا دين ودنيـا للنصارى ومَقْتُ الضرّتـين من العِـيانِ

سئمنا كلَّ نوعِ الضيم منهم ولكن سَبَّـهم صلَّى جَـناني

سعوا أن يجـعلوا أسدًا نعاجًا ولـيثُ الله لـيثٌ لا كضانِ

ووَثْبَـتُهم كسِرْحان ضَـرِيٍّ وصورهم كـذي حُبٍّ مُقانِ

وباطنهم كجوف العَير قَفْرٌ من التقوى وبطنٌ كالجِـفانِ

أرى وَغْلاً جَهولاً وابنَ وَغْـلٍ يُرِي كالمرهَفات لَظَى اللسانِ

هريرُ الكلب لا يحـثو بنـبحٍ على البدر المطـهَّر من عُـثانِ

ألا يا أيها اللِّـحْزُ الشحـيحُ هوَيتَ كذي اللُّـبانة في الهوانِ

وما تدري الهدى وحملتَ جهلاً أناجيلَ النصارى كالأَتانِ

تُنَضْنِضُ مثلَ نضنضة الأفاعي وتهـذي مثل عـادات الأداني

هـلمّ إلى كتـاب الله صدقًا وإيمـانًا بتصـديق الجَـنانِ

شُغِـفتم أيها النوكَى بشوكٍ وأعرضـتم عن الزهر الحِسانِ

وآثرتم أمـاعِزَ ذاتَ صـخرٍ على مخضـرّةٍ قـاعٍ هِجـانِ

ومـا القـرآن إلا مثـلَ دُرَرٍ فرائـدَ زانَها حسـنُ البـيانِ

ومـــا مسّتْ أكفُّ الكاشحينا معـــارفَه التي مـــثل الحَـــصانِ
به ما شئتَ مِن عـــلم وعقـــل وأســـرار وأبـــكار المعـــاني
يسكِّت كلَّ مَن يعـــدو بضغنٍ يبكّت كلّ كـــذّاب وجـــاني
رأيـــنا دَرَّ مُـــزْنتِـــه كثـــيرًا فـــدَينـــا ربَّنـــا ذا الامتـــنانِ
ومـــا أدراك ما القرآن فيضًا خفـــيرٌ جـــالبٌ نحو الجـــنانِ
لـــه نورانِ نورٌ من علـــوم ونورٌ مـــن بيـــان كالجُـــمانِ
كلامٌ فائق ما راقَ طرفي جـــمـــالٌ بعـــده والنَّـــيِّرانِ
أَياةُ الشمس عند سَناه دَخْنٌ وما لِلَّعْـــلِ والسِبْت اليمـــاني
وأين يكون للقـــرآن مثـــلٌ وليس لـــه بهذا الفـــضل ثاني
ورِثْنا الصُّحْفَ فاقتْ كلَّ كُتْبٍ وسبقتْ كلَّ أسفـــار بشانِ
وجاءت بعدما خـــرّتْ خيامٌ وخُـــرّبت البيوت مع المباني
محَتْ كلَّ الطرائق غيرَ برٍّ وجذّتْ رأسَ بدعات الزمـــانِ
كأنّ سيوفـــها كانت كـــنار بها حُرقتْ مَخـــاريق الأداني
إذا اســـتدعى كتابُ الله مثلاً فعَيَّ القومُ واســـتتروا كفانِ
وسُلبتْ جرأةُ الإسناف منهم مِن الهـــول الذي حلّ الجَنانِ
فمن عجبٍ أكـــبّوا مثلَ مَيْت وقد مرَنوا على لطف البيـــانِ
وأنـــزلَـــه مهيـــمنُنا حُـــدَيًّا ففـــرّوا كلـــهم كالمستـــهانِ
وصارت عُصْـــبُهم فِرقًا ثُبَينًا فمنـــهم من أتى بعد الحِرانِ
ومنهم من تلبّبَ مستشـــيطًا لحرب الصـــادقين وللطـــعانِ
فأنتم قد سمعـــتم ما أصيـــبوا بضعضعة السيوف من الهـــوانِ

وكان جزاء سَلِّ السيف سيفًا … فذاقوا ما أذاقوا كالجبانِ

إذا دارت رحى البلوى عليهم … فكانوا لُهْوَةً فوق الدِّهانِ

فطفقوا يهربون كمثل جبنٍ … فأُخذوا ثم قُتلوا مثل ضانِ

إذا ما شاهدوا قتلَى كقُنَنٍ … فرفعوا طاعةً عَلَمَ الأمانِ

سراةُ الحي جاءوا نادمينا … فرحِم المصطفى بحرُ الحنانِ

وأما الجاهلون فما أطاعوا … فأعدمَهم فؤوسُ الاحتفانِ

سُقوا كأس المنايا ثم سيقوا … إلى نارٍ تلوِّحُ وجهَ جانِ

فهذا أجرُ جهل الجاهلينا … من الرحمن عند الاستنانِ

وما كان الرحيم مُذِلَّ قومٍ … ولكن بعد ظلم وافتنانِ

وهل حُدِّثتَ مِن أنباء أممٍ … رأوا قبحًا بأفعالٍ حِسانِ

وكل النور في القرآن لكنْ … يميل الهالكون إلى الدخانِ

به نلنا تُراثَ الكاملينا … به سِرْنا إلى أقصى المعاني

فقُمْ واطلُبْ معارفه بجهد … وخَفْ شرَّ العواقب والهوانِ

أتخطُب عزّةَ الدنيا الدنيّةً … أتطلب عيشها والعيش فانِ

أترضى يا أخي بالخان حمقًا … وتنسى وقت تبديل المكانِ

على بستان هذا الدهر فأسٌ … فكم شجر يجاح من الإهانِ

وكم عنقٍ تكسّرها المنايا … وكم كفٍّ وكم حسنِ البنانِ

ترى في ساعةٍ سُرَرًا لرجُلٍ … وفي الأخرى تراه على الإرانِ

وإني ناصحٌ خِلٌّ أمينٌ … ويدري نورَ علمي من يراني

يُكرَّمُ جاهلٌ قبل ابتلاءٍ … وقدرُ الحَبْر بعد الامتحانِ

وكفّـــرني عـــدوّ الحـــق حمقًا فقلتُ اخْسَأْ، يراني من هداني
صوارمـــه عـــليّ مســـلّلاتٌ وإني نحـــو وجـــه الحِبِّ رانِ
وإني قـــد وصلتُ رياض حِبّي ويطلبني خصيـــمي في المَحاني
هوَيتُ الحِبَّ حتى صار روحي وأَرْنـــاني جِـــناني في جَـــناني
بوجه الحِبّ لستُ حريصَ مُلكٍ كفاني ما أرى نفسي كـــفاني
عمود الخَشْب لا أبغي لسقفي وحبّي صـــار لي مثل الـــبُوانِ
ورثنا المجـــد من ذي المجد حقًّا وصُبِّـــغْنا بمحـــبوب مُقـــانِ
دخـــلتُ النار حتى صرت نارًا ونخـــلي فاقَ أفـــكارَ الأفاني
خمـــوري منـــتقاة غـــيرُ كَدَرٍ مُشَعْـــشَعةٌ بمـــاءِ الاقـــترانِ
ولستُ مـــواريًا عن عين ربي وإن الله خـــلّاقـــي يـــراني
يُدَهْـــدِئُ رأسَ كـــذّابٍ غيورٌ ويُهلـــكه كصـــيدٍ مُستـــهانِ
وإنـــا النـــاظرون إلى قدير قـــريب قـــادر حِبّ مُـــدانِ
وإنا الشـــاربون كـــؤوس جدٍّ وإنا الكاسرون فؤوس خـــانِ
وإنا الواصـــلون قصـــور مجدٍ وإنا الفـــاصلون مـــن الأداني
وأبـــدَرَنا من الرحمـــن بـــدرٌ فنحـــن المبـــدَرون ولا نُماني
ونحن الفـــائزون كمـــالَ فوزٍ ونحـــن المنعَـــمون ولا نعـــاني
وبارزْنـــا العـــدا متسلحـــينا ولسنا قاعـــدين كمـــثل وانِ
وما جئنا الورى في غير وقت وذو حجر يرى وقت الرَّثـــانِ
كخُذْروفٍ ندحرجُ رأسَ عجزٍ وثُبْـــنا من ملاعبِ صولجانِ
عريفٌ فرسُ نفسي عند حرب ويدري السرّ مِن شدّ البِطانِ

مكَــرٌّ ينــزلنّ كمــثل برق ... ولا تمــضي علــيه دقيــقتانِ
وإنا سوف نُوجَــرُ مِن مليكٍ ... ونُعطَى منه أجــرَ الامتــشانِ
وكأسٍ قــد شربنا في وِهــادٍ ... وأخرى نشــرَبنْ فوق القنانِ
وهــذا كله مِن فضــل ربي ... ملاذي عاصــمي ممن جفاني
أرى أشجــار رحمتــه عظامًا ... مفــرِّحةً كــزرع الزعــفرانِ
وقومي كفّــروني مِن عــناد ... وإلحــاد وتحــريف البــيانِ
فيا لَعّان لا تهــلَكْ عَجولاً ... ولا تهجُــرْ فترجِــعْ كالُمهانِ
ووشكُ البَــين صعبٌ عند حُرٍّ ... وإن الحــر كالحــاني يقــاني
ولا تعجَبْ لقــولي وادّعــائي ... وقد عُلّمتُ مِن أخفى المعــاني
وللــرحمن في كلِــمٍ رمــوزٌ ... وكم قولٍ أسرَّ كمــثل كانِ
وكم كلِــمٍ مهفــهفةٍ دُقاقٍ ... هضيمِ الكَشح كالغيد الحسانِ
فيدري الضامراتِ ذوو الضمورِ ... ولا يدري سفــيهٌ كالسِّــمانِ
فإن تبــغي الدقــائقَ مثل إبرٍ ... فَلــجْ في سَمِّها ودَعِ الأمــاني
وإن تستطــلِعنْ أنباءَ مــوتي ... فمُتْ كالمحــرَقين وكُنْ كفانِ
وبذلُ الجــهد قــانون قــديم ... مَنى للطــالبين قضــاء مــاني
وإني مسلــم والسِّلْــمُ ديــني ... فلا تُكفِرْ وخَــفْ ربّ الزمانِ
وإن أزمعتَ تكفــيري وعذلي ... فقُلْ ما شئت من شوق الجنانِ
ولا نخــشى سهام اللاعنــينا ... ولا نغــتاظ من تكفــير خانِ
جنــحنا كاهــلاً منّا ذَلولاً ... لأثقــال المطــاعن واللِّــعانِ
فــإن شاء المهيــمن ذو جلال ... يــبرّئ رحمــةً ممــا تــراني

وفي فــمّي لســـانٌ غـــير أني أُحبّ جـــوابَ ربٍّ مستـــعانِ
وآخـــر كلمـــنا حمدٌ وشكرٌ لرب محســـن ذي الامتـــنانِ

ومن اعتراضات الواشي الضال، الذي ينوم بنعاس الضلال، اعتراضٌ بنى عليه عقيدته الباطلة في كتابه "التوزين". وتفصيله أنه رأى في القرآن الكريم آية: ﴿**يومَ يقومُ الروحُ والملائكةُ**﴾*، فتلقَّفَ لفظَ الروح كالشحيح، وأراد أن يستنبط منه نـــزول المسيح، بل أن يثبت ألوهيته كالوقيح، فكتَبه مستدلا كالمبطلين الفرحين.

أما الجواب فاعلم أن هذه الآية لا تفيده أصلاً ولا يثبت منها شيء إلا حمقه وجهله وكونه من السفهاء المستعجلين. ولا يخفى على الفضلاء الأعلام أن تأويل الروح بعيسى في هذا المقام دجلٌ وافتراء، بل جاء في كتب التفسير أنه جبرائيل عليه السلام، أو ملَكٌ آخر على اختلاف الروايات كما لا يخفى على الناظرين. ثم منطوق الآية يبدي بالتصريح ويحكم بالتنقيح أن هذه الواقعة متعلقة بالقيامة ولها كالعلامة، فإن الله تعالى ذكر هذه القصة في ذكر قصة الجنة ونعمائها العامة، ثم صرح بتصريح آخر وقال: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، ولفظ ﴿اليوم الحق﴾ في القرآن بمعنى القيامة، ويعلمه كلُّ خبير أمين. فانظر كيف بيّن أنها واقعة من وقائع يوم الدين، ثم انظرْ كيف يفترون الذين في قلوبهم مرض ولا يخافون الله وما كانوا متقين.

فالحاصل أن الآية لا تؤيد زعم هذا الواشي بل تمزّقه، وبها يقع القول عليه وتجعله الآية من الكاذبين. فإنه يقول إن عيسى إله وابن إله، ويقول إن الروح هو الله وعينه، والآية تبدي أن هذا مَيْنُه،

---

* *النبأ: ٣٩*

وتبدي أن الروح الذي ذُكر ههنا هو عبد عاجز تحت حكم الله وقدره، وما كان له خِيَرَةٌ في أمره، وإن هو إلا من الطائعين، وما كان له أن يشفع مِن غير إذن الله، لأن الله ﷻ قال في هذه الآية: ﴿يَومَ يقُومُ الرُّوحُ والملائكةُ صَفًّا لا يتكلّمُون إلا مَن أَذنَ له الرحمنُ وقالَ صَوابًا﴾✪، وأُشير في آية: ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّك مَقَامًا مَحمُودًا﴾،⊙ إلى أنه تعالى لا يعطي هذا المقام المحمود إلا نبيَّه وصفيَّه محمدًا المصطفى خير الرسل وخاتم النبيين. وأُلقِيَ في روعي أن المراد من لفظ الروح في آية ﴿يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جماعةُ الرسل والنبيين والمحدَّثين أجمعين الذين يُلقَى الروح عليهم ويُجعَلون مكلَّمين.

وأما ذِكرهم بلفظ الروح لا بلفظ الأرواح، فاعلم أنه قد يُذكَر الواحد في القرآن ويراد منه الجمع وبالعكس، سنّةٌ قد جرتْ في كتاب مبين. وذكرهم الله بلفظ الروح الذي يدل على الانقطاع من الجسم ليشير إلى أنهم في عيشتهم الدنيوية كانوا قد فنوا بكل قواهم في مرضاة الله، وخرجوا من أنفسهم كما يخرج الأرواح من الأبدان، وما بقي لهم النفس وأهواؤها، وكانوا لا ينطقون من الهوى بل بوحيٍ يوحى، فكأنهم صاروا روح القدس فقط لا نفسَ معه ولا أعراضَها.

ثم اعلم أن الأنبياء كنفس واحدة، لا يقال إنهم أرواح بل يقال إنهم روح، وذلك لشدة اتحادهم الروحانية وتناسُب جوهرهم

✪ *النبأ: ٣٩* ⊙ *الإسراء: ٨٠*

الإيمانية، وبما أنهم فنوا من أنفسهم وحركاتهم وسكناتهم وأهوائهم وجذباتهم، وما بقي فيهم إلا روح القدس، ووصلوا الله متبتّلين منقطعين، فأراد الله أن يبين في هذه الآية مقامَ تجرُّدِهم ومراتبَ تقدُّسهم وتطهُّرهم من أدناس الجسم والنفس، فسماهم روحًا إظهارًا لجلالة شأنهم وطهارة جنانهم، وأنهم سيُلقَّبون بهذا اللقب في يوم القيامة ليُرِيَ اللهُ خَلْقَه مقام انقطاعهم، وليميز بين الخبيثين والطيبين. ولَعَمْرُ اللهِ إن هذا هو الحق، فتدبَّروا في كتاب الله ولا تنكروا مستعجلين.

وأما عيسى عليه السلام فأنت تعلم أن القرآن لا يسمّيه إلهًا ولا ابن إله، بل يبرّئه مما قيل، ويردّ الأقاويل إفراطًا كانت أو تفريطًا ويقيم عليه الدليل، ويبيّن أنه عبد ومن المقرّبين. وقال في مقام: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ..... وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِه فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾☆، واشترط قولَ الظالمين بلفظ ﴿مِن دونه﴾ ليُخرِج به قومًا أَصبى الحبُّ قلوبهم وهيّج كروبهم حتى غلبت عليهم المَحْوِيّةُ والسُّكْر وجنونُ العاشقين، فخرجتْ من أفواههم كلماتٌ في مقام الفناء النظري والجذبات❖ السماوي، وورد عليهم وارد فكانوا من الواهين؛ فقال بعضهم: ما في جُبّتي إلا الله، وقال بعضهم: إن يدي هذه يد الله، وقال بعضهم:

☆ الأنبياء:٢٧ - ٣٠

❖ سهو، والصحيح: "الجذب"، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

أنا وجه الله الذي وجّهتم إليه، وأنا جنبُ الله الذي فرّطتم فيه، وقال بعضهم: أنا أقول وأنا أسمع، فهل في الدار غيري، وقال بعضهم: أنا الحق؛ فهؤلاء كلهم معفوون، فإنهم نطقوا من غلبة كمال المحوية والانكسار، لا من الرعونة والاستكبار، وحفّتْ بهم سُكْرُ صهباء العشق وجذبات الحب المختار، فخرجت هذه الأصوات من خوخة الفناء لا من غرفة الخيلاء، وما نقلوا الأقدام إلى دون الله بل فنوا في حضرة الكبرياء، فلا شك أنهم غير ملومين. ولا يجوز اتّباع كلماتهم وحرص مضاهاتهم، بل هي كلمٌ يجب أن تُطوَى لا أن تُروى، ولا يؤاخذ الله إلا الذين كانوا من المتعمدين المجترئين.

وعجبتُ للنصارى.. ولا عَجَبَ من المسرفين، أنهم يقرّون بأن عيسى كان عبد الله وابن آدم، وكان يقول إني رسول الله وعبده، وحثَّ الناسَ على التوحيد والاجتناب من الشرك، وانكسر وتواضع وقال لا تقولوا لي صالحا، ثم يجعلونه شريك البارئ ويحسبونه رب العالمين، ويقولون ما يقولون ولا يخافون يوم الدين. ويظنون أن المسيح صُلب ولُعن لأجل معاصيهم وأُخذ لإنجائهم وعُذّب لتخليصهم، وأن الخَلْق أحفظَ الأبَ بذنوبهم، وكان الأب فظًّا غليظ القلب سريع الغضب، بعيدا عن الحلم والكرم، مغتاظا كالحرق المضطرم، فأراد أن يُدخلهم في النار، فقام الابن ترحمًا على الفُجّار، وكان حليما رحيما كالأبرار، فمنَع الأبَ من قهره وزيادته، فما امتنع وما رجع من إرادته، فقال الابن يا أَبَتِ إن كنتَ أزمعتَ

تعذيب الناس وإهلاكهم بالفأس، ولا تمتنع ولا تغفر، ولا ترحم ولا تزدجر، فها أنا أحمل أوزارهم وأقبَل ما أَبارَهم، فاغفرْ لهم وافعَلْ بي ما تريد، إن كان قليلا أو يزيد. فرضِي الأب على أن يصلب ابنه لأجل خطايا الناس، فنجّى المذنبين وأخذ المعصومَ وعذّبه بأنواع البأس كالمذنبين.

هذا ما قالوا، ولكن العجب من الأب الذي كان نشوانًا أو في السُّبات أنه نسِي عند صليب ابنه ما كتب في التوارة وقال لا أُهْلكُ إلا الذي عصاني، ولا آخذ أحدًا مكانَ أحد من العصاة، فنكَث العهد وأخلف الوعد، وترك العاصين وأخذ أحدًا من المعصومين. لعله ذهَل قولَه السابق مِن كبر السن وأرذل العمر وكان من المعمّرين!

والعجب من الابن أنه كان يعلم أن معشر الجن سَبَقَ الإنسَ في الخطأ ولا ينتهجون محجّة الاهتداء، بل تجاوزوا الحد في شباءة◆ الاعتداء، ثم تغافلَ من أمر سيآتهم، وما توجّهَ إلى مواساتهم، وما شاء أن ينتفع الجن من كَفّارته، ويكون لهم حياةٌ من إبارته، ونجاةٌ من نار أبدية التي أُعدّتْ لهم، فما نفعهم إبارته ولا كفّارته، وكانوا يؤمنون بالمسيح كما شهد عليه الإنجيل بالبيان الصريح، فكأن الابن ما دعا تلك المذنبين إلى هذا القِرى وتقاعسَ كبخيل وضنين. ومن المحتمل أن يكون للأب ابن آخر، صُلِبَ لتلك المعشر، بل من الواجبات أن

◆ *سهو، والصحيح: "شباة"، وهي إبرة العقرب وحدٌّ كل شيء. (الناشر)*

يكون كذلك لتنجية العُصاة، فإن ابنًا إذا صُلبَ لنوع الإنسان مع قلة العصيان، فكم مِن حريّ أن يُصلَب ابن آخر لنوعٍ جِنِّيٍّ الذي ذنبهم أكبر وأكثر، وإلا فيلزم الترجيح بلا مُرجِّح باليقين، ويثبت بخل الأب أو بخل البنين. ولا شك أن فِكْرَ مغفرة قوم عادين والتغافلَ من قوم آخرين، عُدولٌ صريح وظلم مبين، بل يثبت مِن هذا جهلُ الأب المنّان. أمَا كان يعلم أن المذنبين قومانِ، ولا يكفي لهم صليب بل اشتدت الحاجة إلى أن يكون ابنان وصليبان؟

لا يقال إن الابن كان واحدا فرضِي ليُصلَب لنوع الإنسان، وما كان ابن آخر لكفّارةِ أبناء الجانّ. لأنا نقول في جوابه إن الأب كان قادرا على أن يلد ابنا آخر، وما كان كالعاجز الحيران، فلا ريب أنه ترك الجنَّ عمدًا أو من النسيان، أو ما صلَب ابنًا ثانيًا مخافةَ بَتْرِه كالجبان. ومن المحتمل أن يكون الابن الآخر أحبَّ من الابن الأول إلى الأب التَّوْقان، وهذا ليس بعجيب عند ذوي الأذهان، فإنه قد يتفق أن الأصغر من الأبناء يكون أحبّ إلى الآباء. ففكِّرْ في هذه الآراء، وفي إله هو ذو بنات وبنين. وسبحان ربنا عما يخرج من أفواه الظالمين.

ثم بعد ذلك نرى أن آدم كان أول أبناء الله في نوع الإنسان، وقد أقرّتْ أناجيل النصارى بهذا البيان، ومن المعلوم أن الفضل للمتقدم لا للذي جاء بعده كالمضاهئين. وقد خلق الله آدم بيده

وعلى صورته، ونفخ فيه روحه بكمال محبته، وأما المسيح فما كان لَبِنةَ أوّلِ الأساس، بل جاء في أخريات الناس، وكان من المتأخرين.

ثم العجب أن إله النصارى ولَد الابنَ ولم يلد البناتِ، كأنه عاف الأَخْتانَ أو كرِه أن يصاهر إلا الصِّفْتات، أوْ لم يجد كمثله الشرفاء السراة. فهل من أعجوبة في السكارى مثل أطروفة النصارى، أم هل رأيت مثلهم من المغلّسين؟ والأصل الموجب الجالب إلى هذه العقيدة الفاسدة والأمتعة الكاسدة، انهماكُهم في الدنيا مع هجوم أنواع العصيان وشوق نعماء الجِنان مع رِجس الجَنان. وأنت تعلم أن الشحّ يُعمِي عينَ رؤية الصواب، فلا يفتّش الشحيحُ العَجولُ مِن الوِهاد والحِداب، بل يسعى مستعجلا إلى ملامح السراب، بمجرد استماع قول الكذّاب، وإذا بلغها فلا يجد إلا وادي التباب، فتضطرم نار العطش وتثب عليه كالذياب، ويحترق القلب كاحتراق الجلباب، فيسقط على الأرض من غلبة الاضطراب، ويطير روحه كالطير ويلحق بالميّتين.

فمثلُ قوم اتّكأُوا على الكَفّارة من كمال الجهل والغرارة، كمثل حمقى الذين كانوا من قوم متنصرين. طحطَحَ بهم قلّةُ المال وكثرة العيال، حتى كان الفقر حَصادَهم والتُرْب مِهادَهم، وطعامهم بعض الأفاني وسَحْناؤهم كالشيخ الفاني، وكانوا من شدة بؤسهم مضطرين. فقيّض القدر لنَصَبِهم ووَصَبِهم أن جاءهم شيخ شَخْتُ الخِلْقة، دقيق الشَرَكة، حقير السَّحْنة، وكان توجد فيه آثار الخصاصة

والافتقار، ويبيّن حالَه الحِذاءُ المرقَّعُ وبِلَى الأطمارِ. فدخل وعليه بُرْدان رثّان، وفي يده سُبحة كسبحة الرُهبان، وكان سائلا معترًّا، وشَعِثًا مغبرًّا، قد لقِي متربةً وضرًّا، حتى انثنى محقوقفًا مصفرًّا. وكان لبسُه كثيرَ الانخراق باديَ الإخريراق، وكانت هيئته تشهد على أنه ما أصاب هِلّةً ولا بِلّةً، وإن هو إلا معروق العظم ومن الطالحين. فوَلَجَ حَلْقتَهم بسوء حاله وأفانينِ مقاله، ليخدَعهم بزخرفةِ محاله، فسلّم ثم كلّم، وقال هل أدلّكم إلى مكسب مال تنجيكم من إقلال، فتكونون ذوي أملاك ورياض، وترفَلون في ذيلٍ فضفاض، وتُفعِمون صناديقكم كما يفعم الماء في حياض، فتصبحون متنعمين؟ فرغبوا مِن حمقهم وشدة شحّهم في الأموال، وقالوا مرحبًا لك تعال تعال، ودُلَّنا إلى هذا المنوال، وإنا نفعل كل ما تأمر، ونحضر أينما تحضر، وستجدنا من المتمثلين الشاكرين. ففرِح الخُدَعةُ في قلبه على قيد الصيد وإصابة الكيد، وعرَف أنهم سقطوا في شبكته واغترّوا بخديعته، وجاءوا تحت فخّه بصفيره وزفرته، فكلّمهم بأحاديث ملفّقة، وأكاذيب مزخرَفة، وقال ما لي يأخذني رقّةٌ عليكم، ويهوي قلبي إليكم؟ لعل الله قدّر لكم حظًّا في منهلي، ونُــــزُلاً في منــــزلي، وأراد أن يجعلكم من المتمولين. وقد كنت أعلم أنكم مِن أكرمِ جرثومةٍ وأطهرِ أرومة، ومِن أبناءِ بُناة المجد وأرباب الجد، والآن أراكم بصفر اليد، فأُلقِيَ في قلبي أن أرحمكم وأشفق عليكم، وأقوم لمواساتكم ودفع آفاتكم، وكذلك وقعتْ شِيمتي، واستمرّت عادتي.

وخيرُ الناس من ينفع الناس، ويعين ذوي الفاقات والمساكين. وستَعجُمون عُودَ دعواي وحلاوةَ جَناي، وإني لمن الصادقين. فكلوا هنيئًا مريئًا هذه المائدة الواردة، واستقبِلوا هذه الدولة الحاردة، وخذوا تلك الغنيمة الباردة شاكرين. فاذهبوا سارعين مبادرين إلى بيوتكم، لتُعطَوا أجرَ قنوتكم، وأْتوني بما كان عندكم من أثارةِ مال بقي من زوال، مِن نوع حِليةٍ من ذهب كان أو فضّة، أو حُلي جيرانكم وخلانكم، ولا تتركوا شيئا منها، وارجعوا مستعجلين. وإني أقرأ عليها كلمات كرُقْية، وأعكف على هذا العمل إلى بضع ساعة، فتهيج في الحلي ثورةٌ مَزِيَّة، وكلُّ حِلية تربو وتنمو، والزيادات فيها تبدو، حتى تكون الحلي مئةَ أمثالها، وتنـــزل عليها بركات بكمالها وتُعجِب الناظرين. ولا تعجبوا لهذا الحديث، فإن فيه سر كسرِّ التثليث، فلا تسألوني عن دلائل كفلسفيين. العمل عجيب، والوقت قريب، وتكونون من بعد قوما متنعّمين.

فاغترّوا بقول الكاذب المكّار، وحسبوا هذا العمل كالتثليث من الأسرار، بما لكَزهم حمارُ الجهل الجذّارُ، وبتَرهم سيفُ الشحِّ البتّارُ. فألقتْ في الضلالة الثانية الضلالاتُ الأولى، وتكونتْ مِن ظلمة ظلمة أخرى، فمالوا إليه كما كانوا مالوا إلى عقائد المسيحيين. قالوا ما نشقّ عصا أمرك، وما نلغي تلاوة شكرك، وقد أتيتَنا من الغيب كملائكة منجِّين. فبادَروا إلى بيوتهم في فكر قُوْتهم وتنضير سَبْروتهم،

وما شكّوا وما تقاعسوا، بل كلٌّ منهم ذهب ليأتي به الذهب•، وزاب ليزداب، وكانوا في سكرة حرصهم كالمجانين. فلما دخلوا ربوعهم مَراحًا، قالوا لأهلها أنعِموا صباحًا، ثم قصّوا عليهم القصّة، وهنّأوهم متبسمين. فصدّقوا قولهم الذين كانوا كمثلهم في الجهالة ونظيرهم في الضلالة، وكانوا يتغنون فرحين. فنـــزعوا الحلي من أعضاء نسائهم وآذان إمائهم وآناف بناهم وأيدي أخواهم وأرجل أمهاهم، وأشركوا في تلك التجارة نساءَ أصدقائهم وأزواج أحبّائهم، بل نسوانَ جيراهم وعذارى أقراهم، وغادروهن كأشجار خالية من ثمار. وغادر كل أحد بيته أنقَى من الراحة، طمعًا في كثرة المال وزيادة الراحة. ثم رجعوا مستبشرين، ونبذوا الحلي أمام يديه فرحين. فلما رأى المكّار امتلاءَ كيسه وانجلاء بؤسه، ورأى حمقهم وجهلهم، فرِح فرحا شديدا، ووجد نفسه غنيًّا صنديدًا، قال أعلم أنكم ذوو حظ عظيم ومن الفائزين، وستجتنون جَنَى عملكم وتعلُون مطا جمِلكم، وتذكرونني إلى أبد الآبدين.

ثم قال يا معشر الأخيار وأكباد هذه الديار، اعلموا أن هذا العمل من الأسرار، وقد وجب إخفاؤها من الأغيار، ومن أشراط هذه الرُّقْية قراءتُها في الزاوية على شاطئ الوادي عند هر جار في البادية، وكذلك عُلِّمت من المعلِّمين، فهل تأذنونّي أن أفعل كذا، وأرجع إليكم بذهب كأمثال الرُّبَى، لترجعوا إلى شركائكم بمال ما

• سهو، والصحيح: *"ليأتي بالذهب" أو "ليأتيه بالذهب". (الناشر)*

رأته عين الناظرين؟ وسترون قناطيرًا مقنطرة من الذهب الخالص والمال المليح، ولا ترون نظيره في التنجية إلا كفّارة المسيح، ويكفي لدينكم الكفّارةُ ولدنياكم هذه الإمارة، فنجوتم في الدارينِ من تحريك اليدين ومِن جهد الجاهدين. قالوا الأمر إليك والقلب لديك، وإنك اليوم لدينا مكين أمين. قال طوبى لكم ستُفتَح عليكم أبواب المسرّة وتعطى لكم مفاتيح الدولة، بل أعلّمكم رُقْيتي، لكيلا تضطربون◆ عند غيبتي، ولكي تكون لكم دولة عظمى ومُلكٌ لا يبلى. قالوا لا نستطيع إحصاء شكرك وإنك أكبر المحسنين. قال جَيْرَ، ما علّمتُ أحدًا هذا العمل من قبلكم، ولا أعلِّم بعدكم قومًا آخرين. فسألوا عنه سرَّ هذا التخصيص وحكمةَ تحديد هذا التبصيص، فأقسمَ بالأقنوم الذي يجير الجاني أنه ضاهَى في هذه العادة بالأقنوم الثاني، وجعلهم كالمسيح من المتفردين. ثم شمّر ذيله ليطير كالعقاب، فغدا بإزعام الذهاب ولا اغتداءَ الغراب، وقال لهم عند الفرار: يا سادات الأمصار وصناديد الديار، سآتيكم إلى نصف النهار، فانتظِروني قليلا من الانتظار، ولا تأخذكم◈ شيء من الاضطرار، فإن الرُقْية طويلة والبُغْية جليلة، والطبيعة عليلة، والمسافة بعيدة، والبرودة شديدة، وما كنت أن أشقّ على نفسي في هذا الضعف والنحافة، وما أجد في بدني قوّةَ قطع المسافة، وإني نبذت

◆ *سهو، والصحيح "تضطربوا" . (الناشر)*

◈ *سهو، والصحيح: "يأخذكم" . (الناشر)*

عُلَق الدنيا كلها، وتركت كُثْرَها وقُلَّها، وما يسرّني إلا ذكر المسيح رب العالمين – لعنة الله على الكاذبين – لكني كلّفت نفسي لكم بما رأيتكم من قبائل الشرفاء ووجدتكم كأطلال الأمراء وفي الضراء بعد النعماء، وبما تحققت المصافاة وانعقدت المودات، فهاجت رحمتي وماجت شفقتي، وجذبني بَخْتُكم المحمود ونجمكم المسعود، فأردت أن أجعلكم كالسلاطين. وسأرجع إليكم مع الجَنى الملتقط، فانتظِروا بالقلب المغتبط، سترون بيضاء وصفراء كحليلة جميلة زهراء، وأُوافيكم كالمبشّرين المستبشرين. فذهب وتركهم مغبونين. فما فهموا أنه غَرَّ وطلب المفرّ، وفرحوا بتصور حصول المراد، ولبثوا يرقبونه رِقبةَ أهلّة الأعياد، وينتظرونه انتظارَ أهل الوداد متنافسين، إلى أن تلبست الشمس كالمتندمين نقابَها، وسوّدت كالمحزونين ثيابها، وألغتْ كالمخدوعين حسابها، واختفتْ بوجه مصفرّ كالمنهوبين.

فلما طال أمد الانتظار، وتجاوز الوقت من موعد المكّار، وأضاعوا في رِقبةٍ الزمانَ، وبانَ أن الرجل قد مانَ، نهضوا كالمجانين، وسعوا إلى كل طرفٍ مفتّشين، وعدَوا إلى اليمين واليسار مرتعدين، بتصوُّر الحلي الكبار وفِكْرِ هتك الأستار. فلما استيأَسوا منه كالثكلى سقطوا كالموتى، وأكبّوا على وجوههم باكين، وعرفوا أنهم قد خُدعوا بل جُدعوا ومن القوم قُدعوا، فضربوا على خدودهم قائلين: يا ويلنا إنا كنا منهوبين مخدوعين. ثم ألقوا على رؤوسهم

غبار الصحراء، وصعدت صرخهم إلى السماء، وجمعوا الناس حولهم من شدة الجزع والفزع والبكاء. فجاءهم القوم مُهرَعين، فسألوا عن بلاءٍ نـــزل وجرحٍ ابتزل، وعن مصيبة مذيبة للقلوب وداهيةٍ مهيّجة للكروب، واستفسروا من تفاصيل المصيبة وكيفية القصة. فعافُوا أن يبيّنوا خوفًا من طعن الناس والخزي بين العوام والخواص، ومع ذلك كانوا صارخين. فقال القوم ما لكم لا ترقأ دمعتكم ولا تسكن زفرتكم، أظُلِمْتم من قوم عادين؟ لِم تسترون الحقيقة وتزيدون الكربة، ألا ترون إلى لوعةِ كرب المحبين؟ فصاحوا صيحة المغبون، واستحيوا مِن إظهار الكمد المكنون، ثم بيّنوا القصة وأبدوا الغصة، وما كادوا أن يبينوا، ولكن عجزوا عن إصرار المصرين. فلامَهم كلُّ أحد من العقلاء، ومطرت مِن كل جهة سهامُ العُذلاء، فنكّسوا رؤوسهم متندمين. وقال المعيّرون يا معشر الحمقاء وأئمة الجهلاء، ألستم علِمتم أنه جاءكم فقير بادي الخذلان، وعليه بُردانِ رثّانِ كالعُثان؟ فمن كان في أطمار كيف يهبكم رِياشَ أفخارٍ، وينجيكم من أسرِ أوطار؟ أما رأيتم عليه أثر الإفلاس، فكيف شُغفتم به.. أكنتم أنعاما أو من الناس؟ ثم كانت هذه الخرافات بعيدة من قانون القدرة وخارجة من السنن المستمرة، فكيف قبِلتموها وقائلَها إن كنتم عاقلين؟ وكيف نسيتم تجارب الحكماء، أكنتم أنعاما أو كنشوانِ الصهباء مخمورين؟ وكيف ظننتم أنه صدوق أمين مع أنه خالفَ الصادقين أجمعين؟ أما رأيتم أطماره؟ أما شاهدتم إزاره؟ أما

سمعتم من قبل قصصَ المكّارين؟ فلا تلوموا أحدًا ولوموا أنفسكم. إنكم قد أهلكتم نسوانكم وإخوانكم وخلانكم وجيرانكم، فليبكِ على فهمكم من كان من الباكين.

هذا مثل المسيحيين وكفّارهم وجهلهم وغرارهم، وما قلنا ذلك إلا نصاحةً لله لقوم جاهلين. ولكن المسيح والصالحين من أصحابه مبرَّؤون من ذلك المثل وخطابه، وما نتوجه إلا إلى الخائنين الذين سيرهم سيرة السرحان ولبوسهم لبوس الرهبان، وقد تبينَ انكفاؤهم وبَرْحُ ليلائهم، وتبين أنهم من الضالين المضلين. ومن وقاحتهم أنهم مع جهلهم يصولون على الإسلام، ويضلّون طوائف الأنام، ويشيعون أنواع الآثام، وكانوا قوما دجالين. فليندموا على بادرة الاعتقاد، وليخافوا خسراهم يوم المعاد، وما أنا إلا نذير من رب العالمين.

إني من الله العــزيز الأكبرِ حقٌّ فهل من خائف مُتدبّرِ
جاءت مرابيع الهدى ورِهامُها نزلتْ وجَوْدٌ بعدها كالعسكرِ
جُعلت ديار الهند أرضَ نــزولها نصرًا بما صارت محلَّ تنصُّرِ
فيها جموع يشتمون نبيَّنا فيها زروع من ضلال مُوثَرِ
قوم يعادون التُّقى مِن خبثهم ويؤيدون أمورَ ضِدٍّ تطهُّرِ
وتكنّستْ ذاتَ المِرار ظبيُّهمْ إذ صُلتُ عند تناضُلٍ كغضنفرِ
منهم خبيث مفسد متفاحش أُخبرتُ عنه وليتني لم أُخبَرِ
غُولٌ يسبّ نبــيَّنا خيرَ الورى لُكَعٌ وليس بعالم متبحّرِ
يا غُولَ باديةِ الضلالة والهوى تهذي هوًى مِن غير عينٍ تبصُّرِ
قطّعتَ قلبَ المسلمين جميعهم كم صارم لك يا عَبِيطُ وخنجرِ
إنــا تصبَّــرْنا على إيــذائكم والنفس صارخة ولم تتصبرِ
إنا نرى فتــنًا تذيب قلــوبنا إنا نرى صــورًا تهولُ بمــنظرِ
جاءوا كمفترس بنابٍ داعسٍ دحــسًا ككلب نابح متشذّرِ
كانوا ذيابًا ثم وجدوا سَخْلةً في البرّ منفــردًا أسيرَ تحــسُّرِ
وترى بطون المفسدين كأنها قِربٌ بما نالــوا كمالَ تعَجُّرِ
حاذت مطاياهم على أعناقنا حتى تكــسّرنَ كعظــمٍ أنخَرِ
فاض العيون من العيون كأنها ماء جرى من عَنْدَمٍ متعــصّرِ
فنهضتُ أنصَحهم وكيف نصاحتي قومًا أوابدَ معجَــبين كضيطَرِ
قد غُودِرَ الإسلام مِن جهلاتهم وخلَتْ أماعزُ عن سحابٍ ممطرِ
شاقت قلوبَ الناس ظُعْنُ جِيائهم فتأبّطوا بُرَحاءَهــم بتحَــيُّرِ

زُجَلٌ عمون منجّسو عرصاتِنا فَجَأَتْ طوائحُهم كذَيْبٍ مُبكِرِ
والعين باكية وليس بكاؤنا شيئًا سِوى الفضل المنير المسفرِ
إن البــلايا لا يــرُدُّ رِكابَــها إلا يدا مــلك قــدير أكــبرِ
إن المهيــمن لا يُضِــيع عباده فَافْرَحْ ولا تَحزَنْ بوقتٍ مُضجرِ

أيها المتنصرون والعادون العمون! لقد جئتم شيئًا إدًّا، وجُزتم عن القصد جدًّا. تعبدون من مات وفاتَ، وعظّمتم العظام الرُّفاتَ، وغمصتم الصادقين. وفيكم مَن إذا كُلِّمَ كَلَّمَ، وإذا سُلِّمَ ثَلَّمَ. تقولون إنا لُقِّنّا الحلمَ، وعُلِّمْنا السلمَ، ولكنا لا نجد فيكم قارع هذا❖ الصَّفاة وقريع هذه الصفات، بل نجدكم حريصين على الضرّ، وراغبين في إيصال الشرّ. تسبّون الأخيار، وتلعنون الأبرار، وتختالون من الزهو، وتنصبّون إلى اللهو، وما تنصرتم إلا لتكونوا ذوي جُرْدٍ مربوطة وجِدَةٍ مغبوطة، ولتميسوا في رياش، وتتخلصوا من فكر معاش، وتجدواً ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، ولتتجنّوا قطوف اللذات فارغين.

ووالله إن فسق النصارى قد عظم في الديار، وأخنوا على الناس بأنواع التبار. اتّسخت أبدانهم من أوساخ الذُنوب، فما مالوا إلى الذَنوب، وبلغ أمرهم من كثرة الأدران إلى الحِمام، فما عجُّوا إلى الحَمّام، وصاروا باديَ الجردة كالأنعام، فما آلوا إلى حلل الإنعام، وأحبوا الذهبَ، والإيمانُ فرَّ وذهَب، فأكبّوا على الدنيا خائنين. وكذلك زادت منهم سموم الطغيان، وركدت ريح الإيمان، حتى صار الزمان كليلة حالكة الجلباب هامية الرَّباب، تركوا طريق الخير المأثور، ودعَوا إلى الويل والثبور، ثم صار الكذب عادتهم، وإشاعة الفسق سيرتهم، وتوهين المقدسين خصلتهم، ومالُ الإعانات جَرّتهم.

❖ *سهو، والصحيح: "هذه". (الناشر)*

لا يبالون صغيرة ولا كبيرة، ولا يتقون جرأة ولا جريرة، ويفتِنون قلوب الناس بأنواع الوَسواس، أو ينطقون بالبهتان على رسل الرحمن. وشِنْشِنتُهم الانتقالُ مِن صيد إلى صيد، والرجوعُ من كيد إلى كيد، فتارةَ يُرُون النساءَ، وطورا بيضاءَ وصفراء، ومرةً مياهَهم الغِزار، وأخرى الأشجارَ والثمار. فنشَب الجهّالُ في شبكتهم، والفسّاق في هوّهم، ونسَلوا مِن كل حدب مصطادين.

أُنظُرْ إلى المتنــــصرين وذانِــــهِمْ ... وانظُرْ إلى ما بــــدأ مِن أدرانهمْ
مِن كل حدب ينسِلون تشذّرًا ... وينجّسون الأرض من أوثانهم
نشكو إلى الرحمن شرَّ زمانهم ... ونعوذ بالقدّوس من شيطانهم
هل مِن صَدوق يُوجدَنْ في قومهم ... أم هل عرفتَ الصدق في بلدانهم
هم يعبدون الآدمي كمثلهم ... هم ينشرون الفسق في أوطانهم
الماكرون الكائدون من الهوى ... والزور كالأثمار في أغصانهم
العين باكية على حالاتهم ... للعقل حسرات على هذيانهم
مكرٌ على مكر خيالُ قلوبهم ... كذبٌ على كذب بيانُ لسانهم
إني أراهم كالبنــــين لغُــــوْلِهم ... إن التطهر لا تحل° بخانهم
كيف الرجاء وقد تأبّطَ قلبُهم ... شرًّا أراه دخيلَ جَذْرِ جنانهم
بل كذّبوا بالحق لما جاءهم ... وتمايلوا حقدًا على بهتانهم
كم مِن سموم هبَّ عند ظهورهم ... كم مِن جَهول صِيدَ مِن أرسانهم
هم أنكروا بحر العلوم بخبثهم ... واستغزروا ما كان في كِيزانهم
لا يعلم النوكى دخيلةَ أمرهم ... مِن غيرِ رقّتهم ولينِ لسانهم
واللهِ لولا ضنكُ عيشٍ مُقلِقٍ ... ما مالَ مرتدّ إلى أديانهم
قد جاءهم قوم بحرصٍ لبانهم ... ولينفُضَنْ ما كان في أردانهم
كانوا كذئب البَرِّ مكلومِ الحشا ... مِن جوعهم فسعوا إلى عمرانهم
قوم سُقوا كأس الحتوف بوعظهم ... قوم خَروفٌ في يدَي سِرحانهم

° *سهو، والصحيح: "يحل"، أو هو من قبيل حمل اللفظ على معناه إذ المراد من التطهــــر الطهارة. (الناشر)*

عمّتْ بلاياهم وزاد فسادهم   واشتدّ سيل الفتن من طغيانهم

يا رَبِّ خُذْهم مثلَ أخذِك مفسدًا   قد أفسدَ الآفاقَ طولُ زمانهم

أدرِكْ رجالاً يا قديرُ ونسوةً   رحمًا ونَجِّ الخَلْق من طوفانهم

حلّتْ بأرض المسلمين جنودهم   فسرَتْ غوائلهم إلى نسوانهم

يا ربَّ أحمدَ يا إلهَ محمدٍ   **اعصِمْ عبادك من سموم** دخانهم

يا عونَنا انصُرْ مَن سواك ملاذنا؟   ضاقت علينا الأرض من أعوانهم

كَسِّرْ زُجاجتهم إلهي بالصفا   واعصِمْ عبادك من سموم بيانهم

سبُّوا نبيَّك بالعناد وكذّبوا   خيرَ الورى فانظرْ إلى عدوانهم

يا ربّ سحِّقْهم كسحقك طاغيًا   **وَانْزِلْ** بساحتهم لهدم مكانهم

يا ربِّ مَزِّقْهم وفَرِّقْ شَمْلَهم   يا ربِّ قَوِّدْهم إلى ذوبانهم

قد أزمعوا إضلالنا ووبالَنا   فاضرِبْ مكايدهم على أبدانهم

وإذا رميتَ فإن سهمك قاتلٌ   حَدٌّ كأسياف على شجعانهم

صِرْنا حَمولةَ جورِهم وجفائهم   زُمّتْ ركاب الهجر مِن وثبانهم

لولا تَعافَيْنا تعاقُبَ سَبِّهم   لرميتُ سهم النار عند عُثانهم

ما يظلم الأشرار إلا نفسهم   سترى بندم القلب عَضَّ بنانِهم

ظنّوا بأن الله مخلِفُ وعده   فبغوا بأرض الله من طغيانهم

وقبولُ أمر الحق عارٌ عندهم   صعبٌ على السفهاء عطفُ عِنانهم

سُودٌ كخافية الغراب قلوبهم   والخَلَقْ مخدوعون من لمعانهم

فارقُبْ إذا صاحبتَهم بمحبّةٍ   فتنًا بدينك عند اِسْتحسانهم

ولقد دعوتُ الرب عند تناضُلي   واللهُ تُرْسي عند ضرب سِنانهم

يا مستعاني ليس دونك مَلجأي فانصُرْ وأيِّدْنا لهدم قِناهم
يا من يعيّرني بموت إلههم أفلا ترى ما جَذَّ أصلَ إهاهم
واللهِ إن حياة عيسى حيّةٌ تسعى لتُهلِك كلَّ مَن في خانهم
جعَل المهيمن حكمةً من عنده في موت عيسى قَطْعَ عرقِ جِراهم
كيف الحياة وقد تُوُفّيَ مثله حزبٌ وخيرُ الخَلق بعد زماهم
هل غادرَ الحتفُ المفاجئ مرسلاً أم هل سمعتَ الحيّ من أقراهم
أتغيظُ ربَّك لابن مريم حشنةً وتحيد عن مولى إلى إنساهم
فاطلُبْ هُداه وما أخالُك تطلبُ فَاخْسَأْ وكُنْ منهم ومن إخواهم
يا مَن تظنّى البولَ ماءً باردًا أخطأتَ من جهلٍ باسْتِسْماهم
يا ربِّ أَرِني يومَ كسرِ صليبهم يا ربّ سَلِّطْني على جدراهم
فإذا تكلَّمْنا فسيفٌ قولُنا رمحٌ مبيد لا كمثل بياهم
ولقد أُمرتُ من المهيمن بعدما هاجت دخان الفتن من نيراهم
ما قلت بل قال المهيمن هكذا ما جئتُهم بل جاء وقت هواهم
طورًا أحارب بالسهام وتارةً أَهوي بأسياف إلى إثخاهم
بمهنّدٍ صافِ الحديد جذمتُهم وعصايَ قد أفنَتْ قُوَى ثعباهم
روحي بروح الأنبياء مضمَّخٌ جادتْ عليّ الجَودُ من فيضاهم
إنّا نرجّع صوتنا بغنائهم إنّا سُقينا من كؤوس دِناهم
قوم فنوا في سبلِ مَربَعِ ربّهم والعُمي لا يدرون مطلع شأهم
كم من شرير أُهلكوا بعنادهم ورأوا مُدَى نحرٍ وراء كُباهم
وسيُرغِم اللهُ القدير أنوفهم ويُري المهيمن ذُلَّ داءِ خُناهم

اليوم قد فرحوا برجسٍ تنصُّرٍ — والحق لا يخطو إلى آذانهم
قوم تميل مع الهوى أفكارهم — وعفَتْ نقوشُ الصدق من حيطانهم
ظهرت كأثر السم ثورةُ وعظهم — رحلتْ تُقاة الخَلق من إدجانهم
هل شاهدتْ عيناك قومًا مثلهم — أم هل سمعتَ نظيرهم في ذاتهم
بطريقة سنّتْ لهم آباؤهم — يدعو إلى الجَهْلات صوت كِراهم
فكأنّ أبواب المكائد كلها — فُتحتْ لفتنتنا على رهبانهم
قد آثروا طرق الضلال تعمّدًا — ما زاد خسران على خُسرانهم
إن الصليب سيُكْسَرَنْ ويُدَقّقَنْ — جاء الجِيادُ وزهَق وقتُ أتانهم
الكـــذب مجبنةٌ لكل مُبـــاحث — لكنهم تركوا حياء جنانهم
سمٌّ مبيـــد مهلكٌ في لبنهم — مَكْرٌ مُضِلُّ الخَلقِ في هَدَجانهم
فارْبَأْ بدينك عند رؤية وجههم — واقنَعْ بشَوكٍ مِن جَنى بستانهم
الموت خير للفتى من خبزهم — فاصبرْ ولا تجنَحْ إلى تَهْتانهم
ونضارة الدنيا تزول بطرفةٍ — فاقنَعْ ولا تنظُرْ إلى أفنانهم
النار تسقط كالصواعق عندهم — فتجافَ يا مغرورُ عن أحضانهم
أين المفرّ من القضاء إذا دنا — إلا إلى رَبٍّ مُزيلِ قِنانهم
يَسْبون جهّالاً برقّة لفظهم — يُصْبون قلب الخَلق من إحسانهم
فلذا يُحِبُّ مزوِّرٌ أديارَهم — مِن شحّه ميلاً إلى مرجانهم
ولو انتقدتَ جموعهم في دَيرهم — لوجدتَ سقطًا شيخهم كعَوَانهم
ما الفرق بين المشركين وبينهم — بل هم بنوا قصرًا على بنيانهم
يهوي إليهم كلُّ نِكْسٍ فاسقٍ — ليبيت شَبْعانًا بلحم جِفانهم

في قلبنا وجعٌ وشوكُ دعابة — من نَخْزِهم خبثًا وطولِ لسانهم

ما إنْ أرى أثر الدلائل عندهم — أصبَوا قلوبَ الخلق من عِقيانهم

قد عاث في الأقوام ذئب شيوخهم — حدثتْ فنون الفسق مِن حدثانهم

تعريسهم آثارُ عزمِ رحيلهم — يُخفُون في الأرْدان حبلَ ظِعانهم

عارٌ على الفَطِن الزكيّ طعامُهم — ضارٌ لخلق الله ماءُ شِنانهم

للمرء قربُ المؤذيات جميعها — خيرٌ لحفظ الدين من قربانهم

لك كلَّ يومٍ ربِّ شأنٌ معجِبٌ — فانصُرْ عبادك ربّ في ميدانهم

نَقنِي التضرّعَ والبكاء تصبرًا — نأوي إلى الرحمن من رُكبانهم

لله سهمٌ لا يطيش إذا رمى — للحقِّ سلطان على سلطانهم

أَنزِلْ جنودك يا قديرُ لنصرنا — إنا لقِينا الموت من لُقْيانهم

يا ربّ قد بلَغ القلوب حناجرا — يا ربّ نَجِّ الخَلق من ثعبانهم

إن القلوب من الكروب تقطعتْ — فارحَمْ وخَلِّصْ روحنا من جانهم

ودَعِ العِدا جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهم — واشفِ القلوب بخزيهم وهوانهم

وأعجبَني طريق المعترض الفتّان أنه لا يمتنع من الهذيان، ويهذي كمثل النشوان، ويقول إن عيسى هو الروح الذي يوجد ذكره في جميع مقامات القرآن، وفي كتب أخرى التي هي من الله الرحمن، وما هو إلا من الكاذبين.

فاعلموا يا معشر الطلاب أنه يسعى إلى السراب ولا يخطو إلى الصواب، وإن في كلامه دجل عجيب وتمويه غريب وكذب مبين. ألا يعلم أن الروح نـــزل على عيسى كما نـــزل على موسى ونبيّين آخرين؟ لِم يلبس الحق بالباطل كالدجّال الغالث؟ ألا يقرأ في الإنجيل (متّى الإصحاح الثالث): "وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روحَ الله نازلةً مثل حمامة وآتيًا عليه" .... "ثم أُصعدَ يسوع إلى البرية من الروح ليجرَّب من الشيطان اللعين"*. فثبت أن روح القدس نـــزل على المسيح كما نـــزل على إبراهيم وإسماعيل الذبيح وغيره من المرسلين. فاتق ربَّ العباد وفكِّرْ لطلب السَّداد، مجتهدًا لتحصيل الرشاد، وتاركًا سبل الرقاد وجاهدًا، هل يكون النازل والمنـــزَل عليه شيئا واحدا؟ كلا.. بل لا بد من أن يكونا شيئين متغايرين، كما لا يخفى على ذي العينين، وعلى سائر العاقلين. فأيّ دليل أكبر من هذا لقوم منصفين، الذين ينثالون إلى الحق موجفين، ولا يتركون الصراط كعمين؟ وأيّ فرق في الروح النازل على عيسى والروح الذي أُعطِيَ لموسى كليم رب العالمين؟ ألا تتفكرون يا معشر

* *العبارة التي تحتها الخط وردت في متّى الإصحاح: ٤. (الناشر)*

الظالمين وتسقطون على أراجيف الكاذبين؟ ألا تقرأون في التوراة الإصحاح الحادي عشر ما قيل إنه قول أصدق القائلين، وهو أن الرب قال لموسى: فأنـــزلُ وأنا أتكلم معك، وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم، أَيْ على أكابر أمته، وهم كانوا سبعين. وكذلك نـــزل هذا الروح على جد عيسى ومرشده داود ويحيى وغيرهما من النبيين. ولا حاجة إلى أن نطوّل الكلام ونضيع الأوقات ونـــزيد الخصام، فإن الخواص من النصارى والعوام يعرفونه وما كانوا منكرين. فلم لا تَسْتشفّ أيها الجهول والغبي المعذول في كتب الأولين؟ ولم لا تقبل النصيحة، وتعادي العقيدة الصحيحة، ولا تكون من المسترشدين؟ نعطيك شهدًا يَنْقَع، وتعدو إلى سمّ مُنقَع، أتريد أن تكون من الهالكين؟

وأما ما ظننتَ أن الله يسمّي المسيح في القرآن روحًا من الله الرحمن، ولا يسميه بشرًا ومن نوع الإنسان، فأعجبني أنكم لم لا تأنفون من البهتان، ولم لا تستحيون من خرافات وتنضنضون نضنضة الثعبان، وما كنتم منتهين. وتميسون كالسكارى وجدانًا ووجدًا، ولا ترون غَورًا ولا نَجْدًا، ولا تخافون هوّة السافلين. أجعلتم قرّة عيونكم ومسرّة قلوبكم في الأكاذيب، وطبتم نفسًا بإلغاء طلب الحق وإلقاء حبل الله القريب، وكنتم قوما عادين؟ ويل لكم.. إنكم سقطتم على دِمْنَة، وأعرضتم عن روضة، بل تركتم شجراءَ وآثرتم مَرْداءَ، ونـــزلتم عن متن الركوبة، واخترتم طريق الصعوبة، وقفوتم أثر المبطلين.

وإن كنتم تظنون أن القرآن صدّق قولكم وأعان، وقال في شأن عيسى: ﴿ورُوحٌ منه﴾◉ وقبِل أنه خرَج مِن لدنه، فما هذا إلا جهل صريح ووهم قبيح وخطأ مبين. ثم إن فُرِضَ أن قوله تعالى: ﴿ورُوحٌ منه﴾ يزيد شأنَ ابن مريم، ويجعله ابن الله وأعلى وأكرم، فيجب أن يكون مقام آدم أرفع منه وأعظم، ويكون آدم أول أبناء ربّ العالمين؛ فإن في شأن آدم بيان أكبر من شأن عيسى، فتفكَّرْ في آية: ﴿فقعوا له ساجدين﴾❁، وتدبَّرْ كأولي النهى، وفكِّرْ في لفظ: ﴿خلقتُ بيدي﴾✩ ولفظ: ﴿سوّيتُه ونفختُ فيه من روحي﴾● وألفاظ أخرى، ليظهَر عليك جلالةُ آدم وشأنه الأعلى. فإن منطوق الآية يدل على أن روح الله نــزل في آدم بنــزول أجلى، حتى جعله مسجودَ الملائكة ومظهرَ تجليات وأقربَ إلى الله الأغنى، وأعلمَ وأفضلَ من الملائكة أجمعين، وخليفةً الله على الأرضين. وأما الآية التي نــزلت في شأن عيسى فما تجعله أرفع وأعلى ولا أصفى وأزكى، بل يثبت منه أن عيسى روحٌ من الله وعبدُه العاجز كأشياء أخرى ومن المخلوقين. ما سجَده◈ إبليس، بل أمره أن يسجد له، ومع ذلك جرّبه ذلك الخبيث، وسجد لآدم الملائكة كلهم أجمعين. وإن آدم أنبأ الملائكةَ بأسماء سائر الأشياء، فثبت أنه أعلم وسِرُّه محيط على الأرض والسماء، ولكن عيسى أقرّ بأنه لا يعلم الساعة، وأشار

◉ النساء: ١٧٢ ❁ الحجر: ٣٠ ✩ ص: ٧٦ ● ص ٧٣

◈ سهو، والصحيح: "سجد له". (الناشر)

إلى أن الملائكة قد فاقوه علمًا وأكملوا الخوف والطاعة، فتفكروا في هذا ولا تمشوا كقوم عمين.

ثم إذا دقّقتَ النظر وأمعنت فيما حضر، فيظهر عليك أن قوله تعالى: ﴿رُوحٌ منه﴾ يشابه قوله تعالى: ﴿جميعًا منه﴾، فمن الغباوة أن تُثبت من لفظ ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ ألوهيةَ عيسى، ولا تُقِرّ من لفظ ﴿جميعًا منه﴾ بألوهية أرواح الكلاب والقردة والخنازير وأشياء أخرى، فإن منطوق الآية يشهد على أنها جميعا منه، فمُتْ من الندامة إن كنت من المستحيين. وتفكروا يا معشر النصارى.. أليس فيكم رجل من المتفكرين؟ وليس لك أن ترفع في جوابنا الصوتَ وأن تلاقي من فكرك الموتَ، فإن مثل الكاذب كخُذْروفٍ مُدَحْرَجٍ ولا قرار له عند الصادقين.

ومن اعتراضات هذا الخائن الضنين أنه ذكر في "توزينه" الذي هو عُشُّ الشياطين، أن وحي القرآن كان من الشيطان، وما كان من الروح الأمين، وأَوَّلَ لفظَ ﴿**شَدِيدُ الْقُوَى**﴾✪ ولفظ ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾✪ بالخُبث واتّباع الهوى وبتأويلات بعيدة ومكائد عُظمى، وآذى قلوب المؤمنين، وكذلك ترَك الحياء، ووَدَّعَ الارْعِواء، وحسِب أفضلَ الرسل كالمجنون، وتباعدَ عن الحق تباعُدَ الضبِّ من النون، وعادَى المصلحين اللامّين. واعترض على فصاحة صحف الله القرآن وبلاغة حبل الله الفرقان، ظلمًا وزورًا، ليرضي قومًا بورًا، مع أنه كان من الجاهلين العمين. ووالله إنه جهول لا يعلم لسان العرب

✪ *النجم:٦ ، ٧*

وطرق بيانه، وليس فيه جوهر سوى حصائد لسانه، ولأجل ذلك لا يوجد في كتبه شيء من غير سبه وهذيانه، وما وسِعه كتمانُ الحق وتخطئةُ الأَولى الأحقِّ، فعدا كالعِدا إلى التوهين. وما قرأنا كتابًا أغيَظَ من كتبه، وما رأينا عُبابًا أكثرَ مِن عَبَبِ كذبه، وما سمعنا سبًّا أكبر من سبّه، ولا خَبًّا كخبِّه، فنأوي إلى الله مِن جُبِّه وهو خير الناصرين. ونعوذ به من غوائله، ونشكو إليه من رذائله، وما نرى أن ينـــزع عن الغي بغير الكيّ، وكذلك كانت سِير المفسدين.

وقد صدق فيه أخوه الحَفِيُّ والودود الوليُّ، القسيس **رجب علي**، قال: قد صنّف أخونا "عماد الدين" كتبًا في ردّ الإسلام، وأشاع دلائل التثليث في الخواص والعوام، فبما كانت دلائله مجموعة الأباطيل بعيدة من تنقيد الدليل، ندمنا غاية الندامة، وصِرْنا هدف الملامة، وما وسِعنا بعدها استحياءً أن نُرِيَ وجوهَنا المسلمين*.

---

* وإنا نرى أن نكتب ههنا بعض مقالات أهـــل الآراء وآراء أهـــل الـــدهاء في تصانيف "عماد الدين"، فنكتبها بعباراتهم الأصلية في اللسان الهندية أعني "أردو"، ناقلين من رسالة "عقوبة الضالين" المطبوعة في نصرة المطابع دهلي في ردّ "هدايـــة المسلمين"، وهو هذا يا معشر المنصفين.

[1] ***رأي جريدتي "رائي هندو بركاش" الـــصادرة في أمرتـــسار و"آفتـــاب بنجاب" الصادرة في لاهور يملكهما شخصان من الهندوس***

لقد كتبت جريدة "هندو بركاش" المجلد ٤ العدد ٤٠ صفحة ١٠- ١١ بتـــاريخ ١٤ تشرين الأول عام ١٨٧٤م، الصادرة من قبل الهندوس في أمرتـــسار، وهـــي المدينة التي يشتغل فيها عماد الدين كقسيس، أن تأليفات القس عمـــاد الـــدين

الأمرتساري ككتابه "تاريخ محمدي" وغيره - المراد من غيره هنا هو كتابه: هداية المسلمين - ليست أقل إثارة للفتن من الكتاب الذي حوّل الحبَّ والوئام القائم بين المسلمين والصابئين في مومبائي منذ مئات السنين إلى النفاق والخصام، ودفَع الفئتين فجأة إلى التهلكة. إلا أن تأليفات هذا القسيس مثل "تاريخ محمدي" و"هداية المسلمين" و"تفسير المكاشفات" فشلت في الإخلال بالأمن هنا، لأن المسلمين في إقليم بنجاب فقراء وضعفاء العزيمة، ومعظمهم غير مثقفين أو لا يدركون مكائد مؤلفها، أو قد أُلِّفت تلك الكتب بغية إدخال سوء الظن في قلوب المسلمين بالنسبة إلى الحكومة الإنجليزية.

ولو سلمنا جدلا أن جميع الاتهامات الواردة في مؤلفاته كانت في محلها فمع ذلك إن أعمال هذا القسيس المسكين تخالف المادَة رقم ٤٩٤ من القوانين الجنائية في الهند، التي تنص على أن استثناء أي فعل من هذا القانون مشروط بأن يكون مبنيا على نية الفائدة العامة.

لقد اقتبسنا الجُمل المذكورة أعلاه من الجريدة "آفتاب بنجاب" المجلد ٢ العدد ٣٩. ونحن نتفق مع محرر الجريدة على الجُمل المقتَبسة فقط في بيان السبب الذي من أجله كتب المقال كله. أما الشكوى التي رفعها صاحب المقال بالنسبة لتأليفات القسيس عماد الدين فنضيف إليها - نظرا إلى مصلحة البلاد - بأنه من الممكن أن تؤدي تأليفاته المشار إليها إلى الإخلال بأمن الدولة. ولقد دُوِّنت بطريقة عجيبة ملتوية بحيث ليس من الخطأ القول إنها مثيرة للفتنة بل تؤجج نيرانها. وبحسب رأي مراسل الجريدة يتحتم على الحكومة أن تتخذ إجراءات مناسبة تجاه الفتن والفوضى التي قد تحدث في البلاد بسبب كتب كهذه. ويمكننا أن نؤكد أن الحكومة الحكيمة قد تدخلت من قبل أيضا في مثل هذه الأمور، فقد قام اللورد "ولز لي" الحاكم العام الأسبق بحظر التقليد الهندوسي "جَلْ بَرْوا" [2] في الهند. في عام ١٧٩٨م. وفي عام ١٨٢٧م سنَّ اللورد "وليام نبتنغ" الحاكم العام الأسبق قانونًا يحظر التقليد الهندوسي القديم الذي يقول بانتحار الأرملة حرقا في محرقة

وأما استدلاله من لفظ: ﴿شديد القوى﴾ على الشيطان، ووهمُه أن القوة كله لهذا السرحان، لا لله ولا لِمَلَكِ الرحمن، فلأجل ذلك خُصّ بهذا الاسم في القرآن، فلا نفهم سرّ هذه الأقاويل، ولا نجد

زوجها. على الحكومة أن تتحرى السبب وراء كون أصابع الجميع تشير نحو القسيس عماد الدين من بين جميع المؤلفين المسيحيين. إنما سببه أنه يستهدف في مؤلفاته إثارة عامة الناس ليتصرفوا تصرفًا غير صائب مندفعين بحماس ديني، وبالتالي يُعَدُّوا عند الحكومة من المفسدين. ولقد سمعنا أن لجنة الطباعة والنشر لمنظمة المطبوعات في بنجاب قد منعت نشر الجزء الثاني للكتاب المذكور المثير للفتن لأنه يحتوي على مادة هي أكثر جرحًا للمشاعر من الجزء الأول منه. فإذا كان ذلك صحيحا فلقد أحسنت اللجنة." انتهى كلام الجريدة "هندو بركاش".

*كما ورد في جريدة القساوسة المسماة بـ **"شمس الأخبار"** الصادرة في لكهناؤ والمطبوعة تحت إشراف القس كريون في مطبعة "أمريكن مشن" بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٨٧٥م العدد ١٥ المجلد ٧ الصفحة ٩ ما يلي: إن كتاب "نياز نامه" - ومصنِّفه صفدر علي صاحب بهادر المسيحي النائب الإضافي لحاكم محافظة "ساغر" - ليس كتابا منفّرًا ككتب عماد الدين المليئة بالسباب والشتائم. وإن حصلت ثورة أخرى على شاكلة ثورة عام ١٨٥٧م فإنما تحصل جرّاء بذاءة هذا الشخص المذكور (أي القسيس عماد الدين) وإساءاته. وماذا عسى أن نقول للطمّاعين أمثاله الذين لا يجدون من يوظّفهم بمرتّب ١٥ روبية شهريا بينما يتلقون ٧٠ روبية شهريا من مراكز المسيحيين إضافةً إلى مسكن واسع لدرجة بإمكانهم أن ينصبوا في فنائه معصرة لاستخراج الزيت. انتهى. النقل طبق الأصل بعينه.*

====================

[1] *العبارة التي تحتها الخط هي ترجمة للنص الأردي الوارد هنا في الأصل. (الناشر)*

[2] *هو إلقاء الهندوس بعض أولادهم في نهر "الغانج" نذرًا لآلهتهم. (الناشر)*

فيها رائحة من الدليل؛ فلعله كذلك قرأ في الإنجيل، أو استنبط من قصّة إبليس إذا أتى المسيح كالفيل، وقاده بقوتها❖ العظمى إلى بعض جبال الجليل، وجرّبه بالأباطيل، وما استطاع المسيح أن لا يميل إليه مِن قَوْده، ولا يخطو إلى طَوده، ويأخذ بفَوده، ويزيل لظاه بجَوده، بل مشى تِلْوَه كالضعفاء المستضعفين. فإن كان مبدأ الوهم هذا الخيال، كما أني أخال، فلا نُنكر واقعة المسيح، ونؤمن به كالأمر الصحيح، ونقرّ بأن شيطان ذلك المسيح كان شديد القوى، فلذلك قاده إلى جبال عُلى، وقال اسجدني✦، أعطيك دولة عظمى، ومُلكًا لا يبلى، وطمِع في إيمان ضعيفٍ غريب، ووثب عليه كذئب رغيب، وما تركه إلا إلى حين. ولفظ الحين موجود في إنجيل لوقا باليقين✹، فلينظر من كان من المرتابين. ولا شك أن الشيطان إذا أتى بعد زمان، فعلّم التثليثَ عند لقاءٍ ثان، وأهلك الهالكين، لأن اللقاء كان من مواعيد الشيطان اللعين.

وأما قياسه على أفضل الرسل وخير الأنبياء، فقياس مع الفارق وبعيد عن الحياء. وقد قال نبينا ﷺ لِعُمَرَ: ما لقِيك الشيطان في فَجٍّ إلا سلَك فجًّا غير فجّك، ويثبت من هذا الدليل أن الشيطان يفرّ من عمر كالجبان الذليل، وأما المسيح فيسمّي أفضل صحابته "شيطانا"

❖ سهو، والصحيح: "بقوته". (الناشر)

✦ سهو، والصحيح: "اسجد لي". (الناشر)

✹ انظر لوقا ٤: ١٣. (الناشر)

في الإنجيل●، فانظر الفرقَ بينهما خائفا من الرب الجليل، ولا تبادر إلى سبل الشياطين.

ثم إذا كانت القوة كله للشيطان فما بال إلهكم الضعيف الذي ما له قِبَلٌ بهذا السرحان، بل تبِعه كالمغلوب أو كمحتاج ذي الكروب، وقاده الشيطان بمكر عجيب، ودعاه إلى إغرار غريب. والعجب أنه مع دعاوي الألوهية وإدلال الإبنيّة، تبِعه بحسن الظن وما فهِم أنه حُوَّلٌ قُلَّبٌ، ووعده بَرْقٌ خُلَّبٌ، وهو رئيس الكاذبين. وأنتم تعلمون اليهود كانوا يقولون للمسيح إنك ما تُري الخوارق من الرحمن بل من الشيطان، ومعك شيطان من الشياطين. ثم إن كان هذا هو الحق.. أعني إذا فرضنا أن القوة كله للشيطان الذليل، فما جاء في الإنجيل بكمال التفصيل أن يسوع رجع بقوة الروح إلى الجليل لا يكون صحيحا، بل كذبًا صريحا وتحريف المحرفين، ويكون المراد من الروح شيطانا من الشياطين.

ثم إنك ظننت أن القرآن ليس في بلاغته إلى حد الإعجاز، بل يوجد فيه رائحة التكلف والارتماز، ولا يميز رقيقَ اللفظ من الجَزْل، والجِدَّ من الهزل، وفيه ألفاظ وحشية وكلمات أجنبية، وليس بعربي مبين.

أما الجواب فاعلم أن هذا القول منك ومن أمثالك أعجبُ العجائب وأعظم الغرائب، ولا يرضى به أحد من المنْصِفين. ألا تعلم

● *انظر مرقس ٨: ٣٣. (الناشر)*

يا مسكين أنك رجل من الجهّال، وما تدري إلا مكائد الضلال، ولا تعلم أساليب لسان العرب وطرق بلاغة المقال؟ بل أظن أنك لا تعرف حرفا من العربية، فكيف اجترأت على هذه الغَذْمرة الكريهة؟ أتصول أيها الجاهل الكاهل على الذي أفحمَ أكابرَ بلغاء الزمان، وأتمّ الحجة على فصحاء أهل اللسان، وخضعتْ له أعناق الأدباء، وآمن به نوابغ الشعراء، وجاءوا خاضعين مقرّين؟ أأنت أسبَقُ منهم في معرفة مواد الأقاويل وتمييز الصحيح من العليل، أو أنت من المجنونين؟ ألا تعلم أنهم كانوا أهل اللسان، وقد غُذُّوا بلبان البيان، وكان* يُصبون القلوب بأفانين العبارات ومُلح الأدب ونوادر الإشارات، وكانوا في هذه السكك وعلمِ محاسنها من الماهرين؟ ألستَ تعلم أن القرآن ما ادّعى إعجاز البلاغة إلا في الرياغة، فإن العرب في زمانه كانوا فصحاء العصر وبلغاء الدهر، وكان مدار تفاخُرهم على غُرَر البيان ودُرَرِه وثمار الكلام وزهره، وكانوا يناضلون بالقصائد المبتكَرة والخطب المحبَّرة، ولكن ما كان لهم أن يتكلموا في اللطائف الحكْمية، وما مسّتْ بيانَهم رائحةُ المعارف الإلهيّة، بل كان مسرح أَفكارهم إلى الأبيات العشقية، والأضاحيك الملهية، وما كانوا على ترصيعِ مضامين الحِكم قادرين. وكانوا قد مرنوا من سنين على أنواع النظم والنثر ولطائف البيان، وسُلِّموا وقُبِلوا في الأقران، وكانوا أهل اللسان وسوابق الميادين. فخاطبهم

---

* *سهو، والصحيح: "كانوا". (الناشر)*

الله وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَــزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِه .... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾°، وقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾،* فعجز الكفار عن المقابلة وولّوا الدبر كالمغلوبين. ولما عجزوا عن النضال في البيان، مالوا إلى السيف والسنان، متندمين مغتاظين. وكثير منهم أسلموا نظرًا على هذه المعجزة كلبيد بن ربيعة العامري، صاحبِ المعلقة الرابعة، فإنه أدرك الإسلام وتشرّفَ به وأرى الإخلاصَ التام، ومات سنة إحدى وأربعين. وكذلك كثير منهم أقرّوا بأنّ القرآن مملوٌّ من العبارات المهذَّبة، والاستعارات المستعذَبة، والأفانين المستملَحة، والمضامين الحِكمية الموشَّحة، بل مَن أمعنَ منهم النظرَ فسعى إلى الإسلام وحضر ودخل في المؤمنين. فلو كان القرآن متنــزلاً من أعلى مدارج الكمال في فصاحة المقال وبلاغة الأقوال، لكان الأمر أسهل على المخالفين، ولقالوا أيها الرجل.. إن الكلام الذي عرضتَ علينا والحديث الذي أتيتَه لدينا ليس بفصيح بل ليس بصحيح، ولا نجد فيه غير المعاني المطروقة الموارد والكلام الرقيق البارد، وما جئت بأطيب وأحلى، وفيه ألفاظ كذا وكذا، وإنك أسقطتَ في كلامك وباعدتَ عن مرامك، ولست من المُجيدين؛ فلا حاجة إلى أن نأتي

° البقرة: ٢٤-٢٥ * الإسراء: ٨٩

بمثله من الأقوال، أو نتوازن في المقال، ونتحاذى حذو النعال، فإليك عنّا وتجافَ، واترُك الأوصاف، فإن كلامك سَقَط عند الأدباء المشهورين والفصحاء الماهرين. ولكنهم ما سرَوا ذلك المسرى، وما قدحوا في هذا الدعوى، بل قبِلوا أعلى مراتب بلاغته، وعجبوا لعلوِّ شأنِ فصاحته، وقالوا إنْ هذا إلا سحرٌ مبين. وأكثرهم آمنوا بإعجازه وأقرّوا بتناوُش بازِه، وعجزوا عن دركِ هِنْدازِه، وقالوا كلامٌ فاقَ كلماتِ البشر، وكلُّه لُبٌّ وليس معه شيء من القشر، وعليه طلاوة، وفيه حلاوة، وهو غَدَقٌ لا ينفد مِن شرب الشاربين. وما نبسوا بكلمة في قدح شأنه، وما فاهُوا بكلامٍ في جرح بيانه، ونسوا جمال الفكر في ميدانه، ثم رجعوا مرعوبين نادمين، وأكثرهم كانوا يبكون عند سماعه ويسجدون باكين.

هذا ما نجد في القرآن الكريم وأحاديث النبيّ الرؤوف الرحيم، إيمانًا وديانةً وصدقًا وأمانةً، وما نجد كلمةً خلاف ذلك من أسلاف النصارى أو المشركين، وكانوا خيرا منكم في تنقيد الكلمات يا معشر الجاهلين.

وأما ما ظننتَ أن في القرآن بعض ألفاظ غير لسان قريش، فقد قلتَ هذا اللفظ من جهل وطيش، وما كنت من المتبصرين.

اعلم أيها الغبي والجهول الدنيّ، أن مدار الفصاحة على ألفاظ مقبولة سواء كانت من لسان القوم أو مِن كلمٍ منقولة مستعمَلة في بلغاءِ القومِ غيرِ مجهولة، وسواء كانت من لغة قوم واحد ومن

محاوراهم على الدوام، أو خالطَها ألفاظٌ استحلاها بلغاءُ القوم، واستعملوها في النظم والنثر من غير مخافة اللَّوْم، مختارين غير مضطرين. فلما كان مدار البلاغة على هذه القاعدة فهذا هو معيار الكلمات الصاعدة في سماء البلاغة الراعدة، فلا حرج أن يكون لفظٌ من غير اللسان مقبولاً في أهل البيان، بل ربما يزيد البلاغة من هذا النهج في بعض الأوقات، بل يستملحونه في بعض المقامات، ويتلذذون به أهلُ الأفانين. ولكنك رجلٌ غَمْرٌ جَهولٌ، ومع ذلك معاندٌ وعَجولٌ، فلأجل ذلك ما تعلم شيئا غير حقدك وجهلك، وما تضع قدمًا إلا في دَحْلِك، ولا تدري ما لسان العرب وما الفصاحة، ولا تصدر منك إلا الوقاحة، وما لُقِّنْتَ إلا سبّ المطهَّرين.

فاترُكْ أيها الغافل سيرة الأشرار، واستحِ وانظرْ وجهك في مرآة الأفكار. هل قرأتَ شيئا في مدّة عمرك من فن الأدب، أو عرفت في طرقه أفانينَ الوهد والحدب، أو ألّفتَ قطُّ بين كلمتين، ونظمتَ بيتًا أو بيتين؟ فَإِنْ ادّعيتَ فَأْتِ ببرهان مبين. وأنت تعلم أني خاطبتك في "البراهين" إذ صُلتَ على القرآن والدين المتين، وما كان خطابي إلا لأُبْدِيَ على الناس جهلَك الشديد، وذهنَك البليد، فقلتُ إن كنتَ تزعم أنك تعلم العربية فأَرِنا مهارتك الأدبية، ونحن نقصّ عليك قصةً في لسان فتَرْجِمْه في العربية بأحسن بيان إن كنت فيها من الماهرين. وإن ترجمتَ فلك خمسون روبية إنعاما، ثم نقرّ بفضلك ونكرمك إكرامًا، ونحسُبك من الفضلاء المسلمين المرتدّين. ولكنك

سكتَّ كالأنعام، وما مِلتَ إلى الإنعام، وما نبست بكلمة الخير والشرّ خوفًا من هتك السَتر وفضوح الحصر، فثبت أنك غبي قصير الرسن، وما أصابك حظّ من اللسن، وما حرصتَ في الإنعام لأنك كنت جاهلا كالأنعام، وما كان لك حظّ من العربية بل ما كنت من الماسّين. فعلمتُ بعلمٍ قطعي أنك لا تعلم العربية، ولا تستطيع أن تخترق في مسالكها وتنصلت في سبلها وسِككها، وما فيك إلا حُمَةُ لاسعٍ، لا حميم فهمٍ واسعٍ، فلا تَفْجُسْ ولَا تَعْلُ يا أسفل السافلين. أأنت مع جهلك هذا تقدَح في القرآن، وتزري على كتاب فاق فصاحةَ نوع الإنسان، ولا ترى صورتك ولا تنظر إلى مبلغ علمك يا مضيّعَ العقل والدين؟ وإن كنت تحسب نفسك شيئا من الأشياء، وتظن أنك من الأدباء، فها أنا قمتُ لاستبراء زَنْدِك، واستشفافِ فِرِنْدِك، وابتدعتُ هذه الرسالة العُجالة في العربية لهذه الأغراض الضرورية، وهي تحتوي على غُرر البيان ودُرره، ومُلح الأدب ونوادره، ووشّحتُها بمحاسن الكنايات وبترصيع لآلئ النكات في العبارات، وفيها كثير من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية، والأشعار المبتكَرة، والقصائد المحبَّرة، و لم أودعْها من الأشعار الأجنبية بل كلها نتائج خاطري وثمار شجراء فكري؛ وما فعلتُ هذا إلا لأسبُر به غَوْرَ عقلك ومقدار فضلك، وأرى مبلغ علمك وعذوبة منطقك، وأُرِيَ الخَلْقَ أإنّك صادق في دعواك وأهلٌ لبلواك، وهل لك حق أن تصول على كتاب الله القرآن وبلاغته وسِفْرِ الله الرحمن

ورياغته كما أنت زعمت، أو من الكاذبين الدجالين. وإني أُلهمتُ من ربي أنك لا تقدر على هذا النضال، ويبدي الله عجزك ويخزيك ويُثبت أنك أسير في الجهل والضلال، ولو اجتمعتْ قومك معك على هذا الخيال، فترجعون مغلوبين. هذا مع اعترافي بأن هذه الرسالة ليست سبّاقَ الغايات في توشيح المقال، بل اقتضبتُها على جناح الاستعجال، وأعلم أن الإتيان بمثلها أمرٌ هيّن على الأدباء، بل يكفي في هذا أدنى التفاتِ البلغاء. فإن اتّسعتَ في الأدب فليس من التعجب أن تقول أحلَى وأَفصحَ مما قلتُ إلى أسبوع، مع أنك تؤلّف بتأييدِ جموع، لأنك لست من إعانتهم بممنوع. وإنّي ما اتخذت معينا في رسالتي هذه، وقلتُ ما قلتُ من عند نفسي من فضل ربّي في أيّام معدودة كالمقتضبين. ومع ذلك إني أُمهِلك وإخوانَك وجميع خلانك وقومك وأعوانك الذين يقولون إنا نحن المولويون، إلى شهرين كاملين من يوم الإشاعة، لتُرِيَ كمال البراعة، فإن أتيتم بمثلها في هذه المدة التي هي أقل الآجال، وتوازنتم في كل أنواع المقال، ونرى أن قولكم تحاذَى حذو النعال، فلكم **خمسة آلاف** روبية إنعامًا منّا وعدًا مؤكّدًا بقسم الله ذي الجلال. وإن لم تطمئن بالأيمان الإيمانية فنجمع ذهب الشَرْطِ في خزينة الحكومة البريطانية لتكون من المطمئنين. ونُعاهد الله بحلفةٍ أن نعطي العدوّ حقّه عند ظهور غلبةٍ، ولو تخلّفْنا فكنّا كاذبين. ونجعل الحكومة البرطانية حَكَمًا لهذه القضية، ومخيَّرًا في هذه الخطّة، ولها أن تعطي إنعامنا كلَّ

مَن بارى كلامَنا وأرى بوفق شرطنا نثرًا كنثر ونظمًا كنظم في القدر والعدّة والبلاغة والفصاحة والتزام الجدّ والحكمة، هذا عهد منا، ولعنة الله على الناكثين. وللنصارى أن يتعاونوا لهذه المقابلة ويقوموا متفقين لتلك المعركة، ويكون بعضهم لبعض ظهيرا، وليستفسر الجاهل خبيرا، وليطلبوا لأنفسهم كل نصير ومعين، وبعيد وقرين، ومسيحَهم الذي هو ربٌّ في أعينهم ولا رَبَّ إلا الله قيّوم العالمين، وليستمِدّوا مِن روحهم الذي كان يعلم الألسنة إن كانوا صادقين.

هذا ما رضينا عليه مِن طيب نفسنا وانشراح صدرنا، ورضينا بالحكومةِ البريطانيّةِ أن تكون حَكَمًا بيننا وبينهم، فإن تجد هؤلاء - الذين يصولون على بلاغة القرآن وفصاحته، ويقولون إنا نحن المولويون كعلماء المسلمين ولسنا مِن السفهاء الجاهلين ولنا يد طولى في تنقيد جِدّ القول وهزله وتنقيح رقيق اللفظ وجزله - صادقين في هذا الامتحان وسابقين في هذا الميدان، فلتُعْطِهم إنعامنا، وليُكذِّبْ كلامنا، وليُشَعْ كمالُ علمهم في الديار والبلدان، وليشتهرْ فضائلهم إلى أقاصي البلدان، ولتُكتَب أسماؤهم في الفاضلين. وإن لم تجدهم من العلماء والأدباء، بل وجدتْهم معشرَ الجهلاء والسفهاء، بعيدِين من هذا الزُّلال مُبْعَدين عن مثل هذا الكمال، فنرجو من عدل الحكومة البريطانية أن تمنع بعدُ هؤلاء الكذّابين مِن أن يسمّوا أنفسهم مولوِيّين، ويصولوا على بلاغة كلام الله مع كونهم جاهلين.

وأوّلُ مخاطَبِنا في هذه الدعوة، ومَدْعوُّنا لهذه المعركة، صاحبُ "التوزين" عماد الدين، فإنه ينكر بلاغة القرآن وفصاحته، ويُزرِي في كلّ كتابٍ وقاحته، ويقول إنّي عالم جليل ذهين، وإن القرآن ليس بفصيح بل ليس بصحيح، وما أرى فيه بلاغةً، ولا أجد براعةً، كما هو زعم الزاعمين. ويقول إني سأكتب تفسيره، وكذلك نسمع تقاريره، فهو يدّعي كماله في العربية، ويسبّ رسول الله ﷺ بكمال الوقاحة والفِرْية، ويتزرّى على كتاب الله وعلى فصاحته، كأنه عمُّ امرئ القيس أو ابن خالته، ويسمّي نفسه مولويًا ويمشي كالمستكبرين.

ثم بعد ذلك نخاطب كلَّ متنصّر ملقَّب بالمولوي، الذي كتبْنا اسمه في الهامش⊙، وندعو كلّهم للمقابلة ولهم خمسة آلاف إنعامًا منّا إذا أَتوا بكتاب كمثل هذا الكتاب، كما كتبنا من قبل في هذا الباب، والمهلةُ منّا ثلاثة أشهر للمعارضين، فإن لم يبارزوا، ولن يبارزوا، فاعلموا أنهم كانوا من الكاذبين.

واعلموا أن هذا الإنعام في صورة إذا أتوا برسالة كمثل رسالتنا، وعُجالة كمثل عجالتنا، وأثبتوا أنفسهم كمماثلين ومشابهين، وأمّا إذا أبوا وولّوا الدبر كالثعالب، وما استطاعوا على هذه المطالب، وما

⊙ مولوي كرم الدين، مولوي نظام الدين، مولوي إلهي بخش، مولوي حميد الله خان، مولوي نور الدين، مولوي سيد علي، مولوي عبد الله بيك، مولوي حسام الدين بمبئي، مولوي حسام الدين، مولوي نظام الدين، مولوي قاضي صفدر علي، مولوي عبد الرحمن، مولوي حسن علي وغيره وغيره.

تركوا عادة توهين القرآن، وما امتنعوا من قَدْحِ كتاب الله الفرقان، وما تابوا من أن يسمّوا أنفسهم مولويين، وما ازدجروا مِن سبّ رسول الله ﷺ خاتم النبيّين، وما ازدجروا من قولهم أن القرآن ليس بفصيح، وما تركوا سبيل التحقير والتوهين، فعليهم من الله **ألف لعنة** فَلْيَقُلِ القوم **كلهم آمين**.

١ لعنة، ٢ لعنة، ٣ لعنة، ٤ لعنة، ٥ لعنة، ٦ لعنة، ٧ لعنة، ٨ لعنة، ٩ لعنة، ١٠ لعنة، ١١ لعنة، ١٢ لعنة، ١٣ لعنة، ١٤ لعنة، ١٥ لعنة، ١٦ لعنة، ١٧ لعنة، ١٨ لعنة، ١٩ لعنة، ٢٠ لعنة، ٢١ لعنة، ٢٢ لعنة، ٢٣ لعنة، ٢٤ لعنة، ٢٥ لعنة، ٢٦ لعنة، ٢٧ لعنة، ٢٨ لعنة، ٢٩ لعنة، ٣٠ لعنة، ٣١ لعنة، ٣٢ لعنة، ٣٣ لعنة، ٣٤ لعنة، ٣٥ لعنة، ٣٦ لعنة، ٣٧ لعنة، ٣٨ لعنة، ٣٩ لعنة، ٤٠ لعنة، ٤١ لعنة، ٤٢ لعنة، ٤٣ لعنة، ٤٤ لعنة، ٤٥ لعنة، ٤٦ لعنة، ٤٧ لعنة، ٤٨ لعنة، ٤٩ لعنة، ٥٠ لعنة، ٥١ لعنة، ٥٢ لعنة، ٥٣ لعنة، ٥٤ لعنة، ٥٥ لعنة، ٥٦ لعنة، ٥٧ لعنة، ٥٨ لعنة، ٥٩ لعنة، ٦٠ لعنة، ٦١ لعنة، ٦٢ لعنة، ٦٣ لعنة، ٦٤ لعنة، ٦٥ لعنة، ٦٦ لعنة، ٦٧ لعنة، ٦٨ لعنة، ٦٩ لعنة، ٧٠ لعنة، ٧١ لعنة، ٧٢ لعنة، ٧٣ لعنة، ٧٤ لعنة، ٧٥ لعنة، ٧٦ لعنة، ٧٧ لعنة، ٧٨ لعنة، ٧٩ لعنة، ٨٠ لعنة، ٨١ لعنة، ٨٢ لعنة، ٨٣ لعنة، ٨٤ لعنة، ٨٥ لعنة، ٨٦ لعنة، ٨٧ لعنة، ٨٨ لعنة، ٨٩ لعنة، ٩٠ لعنة، ٩١ لعنة، ٩٢ لعنة، ٩٣ لعنة، ٩٤ لعنة، ٩٥ لعنة، ٩٦ لعنة، ٩٧ لعنة، ٩٨ لعنة، ٩٩

لعنة، ١٠٠ لعنة، ١٠١ لعنة، ١٠٢ لعنة، ١٠٣ لعنة، ١٠٤ لعنة، ١٠٥ لعنة، ١٠٦ لعنة، ١٠٧ لعنة، ١٠٨ لعنة، ١٠٩ لعنة، ١١٠ لعنة، ١١١ لعنة، ١١٢ لعنة، ١١٣ لعنة، ١١٤ لعنة، ١١٥ لعنة، ١١٦ لعنة، ١١٧ لعنة، ١١٨ لعنة، ١١٩ لعنة، ١٢٠ لعنة، ١٢١ لعنة، ١٢٢ لعنة، ١٢٣ لعنة، ١٢٤ لعنة، ١٢٥ لعنة، ١٢٦ لعنة، ١٢٧ لعنة، ١٢٨ لعنة، ١٢٩ لعنة، ١٣٠ لعنة، ١٣١ لعنة، ١٣٢ لعنة، ١٣٣ لعنة، ١٣٤ لعنة، ١٣٥ لعنة، ١٣٦ لعنة، ١٣٧ لعنة، ١٣٨ لعنة، ١٣٩ لعنة، ١٤٠ لعنة، ١٤١ لعنة، ١٤٢ لعنة، ١٤٣ لعنة، ١٤٤ لعنة، ١٤٥ لعنة، ١٤٦ لعنة، ١٤٧ لعنة، ١٤٨ لعنة، ١٤٩ لعنة، ١٥٠ لعنة، ١٥١ لعنة، ١٥٢ لعنة، ١٥٣ لعنة، ١٥٤ لعنة، ١٥٥ لعنة، ١٥٦ لعنة، ١٥٧ لعنة، ١٥٨ لعنة، ١٥٩ لعنة، ١٦٠ لعنة، ١٦١ لعنة، ١٦٢ لعنة، ١٦٣ لعنة، ١٦٤ لعنة، ١٦٥ لعنة، ١٦٦ لعنة، ١٦٧ لعنة، ١٦٨ لعنة، ١٦٩ لعنة، ١٧٠ لعنة، ١٧١ لعنة، ١٧٢ لعنة، ١٧٣ لعنة، ١٧٤ لعنة، ١٧٥ لعنة، ١٧٦ لعنة، ١٧٧ لعنة، ١٧٨ لعنة، ١٧٩ لعنة، ١٨٠ لعنة، ١٨١ لعنة، ١٨٢ لعنة، ١٨٣ لعنة، ١٨٤ لعنة، ١٨٥ لعنة، ١٨٦ لعنة، ١٨٧ لعنة، ١٨٨ لعنة، ١٨٩ لعنة، ١٩٠ لعنة، ١٩١ لعنة، ١٩٢ لعنة، ١٩٣ لعنة، ١٩٤ لعنة، ١٩٥ لعنة، ١٩٦ لعنة، ١٩٧ لعنة، ١٩٨ لعنة، ١٩٩ لعنة، ٢٠٠ لعنة، ٢٠١ لعنة، ٢٠٢ لعنة، ٢٠٣ لعنة، ٢٠٤ لعنة، ٢٠٥ لعنة، ٢٠٦ لعنة، ٢٠٧ لعنة، ٢٠٨ لعنة، ٢٠٩

لعنة، ٢١٠ لعنة، ٢١١ لعنة، ٢١٢ لعنة، ٢١٣ لعنة، ٢١٤ لعنة، ٢١٥ لعنة، ٢١٦ لعنة، ٢١٧ لعنة، ٢١٨ لعنة، ٢١٩ لعنة، ٢٢٠ لعنة، ٢٢١ لعنة، ٢٢٢ لعنة، ٢٢٣ لعنة، ٢٢٤ لعنة، ٢٢٥ لعنة، ٢٢٦ لعنة، ٢٢٧ لعنة، ٢٢٨ لعنة، ٢٢٩ لعنة، ٢٣٠ لعنة، ٢٣١ لعنة، ٢٣٢ لعنة، ٢٣٣ لعنة، ٢٣٤ لعنة، ٢٣٥ لعنة، ٢٣٦ لعنة، ٢٣٧ لعنة، ٢٣٨ لعنة، ٢٣٩ لعنة، ٢٤٠ لعنة، ٢٤١ لعنة، ٢٤٢ لعنة، ٢٤٣ لعنة، ٢٤٤ لعنة، ٢٤٥ لعنة، ٢٤٦ لعنة، ٢٤٧ لعنة، ٢٤٨ لعنة، ٢٤٩ لعنة، ٢٥٠ لعنة، ٢٥١ لعنة، ٢٥٢ لعنة، ٢٥٣ لعنة، ٢٥٤ لعنة، ٢٥٥ لعنة، ٢٥٦ لعنة، ٢٥٧ لعنة، ٢٥٨ لعنة، ٢٥٩ لعنة، ٢٦٠ لعنة، ٢٦١ لعنة، ٢٦٢ لعنة، ٢٦٣ لعنة، ٢٦٤ لعنة، ٢٦٥ لعنة، ٢٦٦ لعنة، ٢٦٧ لعنة، ٢٦٨ لعنة، ٢٦٩ لعنة، ٢٧٠ لعنة، ٢٧١ لعنة، ٢٧٢ لعنة، ٢٧٣ لعنة، ٢٧٤ لعنة، ٢٧٥ لعنة، ٢٧٦ لعنة، ٢٧٧ لعنة، ٢٧٨ لعنة، ٢٧٩ لعنة، ٢٨٠ لعنة، ٢٨١ لعنة، ٢٨٢ لعنة، ٢٨٣ لعنة، ٢٨٤ لعنة، ٢٨٥ لعنة، ٢٨٦ لعنة، ٢٨٧ لعنة، ٢٨٨ لعنة، ٢٨٩ لعنة، ٢٩٠ لعنة، ٢٩١ لعنة، ٢٩٢ لعنة، ٢٩٣ لعنة، ٢٩٤ لعنة، ٢٩٥ لعنة، ٢٩٦ لعنة، ٢٩٧ لعنة، ٢٩٨ لعنة، ٢٩٩ لعنة، ٣٠٠ لعنة، ٣٠١ لعنة، ٣٠٢ لعنة، ٣٠٣ لعنة، ٣٠٤ لعنة، ٣٠٥ اللعنة، ٣٠٦ اللعنة، ٣٠٧ اللعنة، ٣٠٨ اللعنة، ٣٠٨ اللعنة، ٣٠٩ اللعنة، ٣١٠ اللعنة، ٣١١ اللعنة، ٣١٢ اللعنة، ٣١٣ اللعنة، ٣١٤ اللعنة، ٣١٥ اللعنة،

٣١٦ اللعنة، ٣١٧ اللعنة، ٣١٨ اللعنة، ٣١٩ اللعنة، ٣٢٠ اللعنة،
٣٢١ اللعنة، ٣٢٢ اللعنة، ٣٢٣ اللعنة، ٣٢٤ اللعنة، ٣٢٥ اللعنة،
٣٢٦ اللعنة، ٣٢٧ اللعنة، ٣٢٨ اللعنة، ٣٢٩ اللعنة، ٣٣٠ اللعنة،
٣٣١ اللعنة، ٣٣٢ اللعنة، ٣٣٣ اللعنة، ٣٣٤ اللعنة، ٣٣٥ اللعنة،
٣٣٦ اللعنة، ٣٣٧ اللعنة، ٣٣٨ اللعنة، ٣٣٩ اللعنة، ٣٤٠ اللعنة،
٣٤١ اللعنة، ٣٤٢ اللعنة، ٣٤٣ اللعنة، ٣٤٥ اللعنة، ٣٤٦ اللعنة،
٣٤٧ اللعنة، ٣٤٨ اللعنة، ٣٤٩ اللعنة، ٣٥٠ اللعنة، ٣٥١ اللعنة،
٣٥٢ اللعنة، ٣٥٣ اللعنة، ٣٥٤ اللعنة، ٣٥٥ اللعنة، ٣٥٦ اللعنة،
٣٥٧ اللعنة، ٣٥٨ اللعنة، ٣٥٩ اللعنة، ٣٦٠ اللعنة، ٣٦١ اللعنة،
٣٦٢ اللعنة، ٣٦٣ اللعنة، ٣٦٤ اللعنة، ٣٦٥ اللعنة، ٣٦٦ اللعنة،
٣٦٧ اللعنة، ٣٦٨ اللعنة، ٣٦٩ اللعنة، ٣٧٠ اللعنة، ٣٧١ اللعنة،
٣٧٢ اللعنة، ٣٧٣ اللعنة، ٣٧٤ اللعنة، ٣٧٥ اللعنة، ٣٧٦ اللعنة،
٣٧٧ اللعنة، ٣٧٨ اللعنة، ٣٧٩ اللعنة، ٣٨٠ اللعنة، ٣٨١ اللعنة،
٣٨٢ اللعنة، ٣٨٣ اللعنة، ٣٨٤ اللعنة، ٣٨٥ اللعنة، ٣٨٦ اللعنة،
٣٨٧ اللعنة، ٣٨٨ اللعنة، ٣٨٩ اللعنة، ٣٩٠ اللعنة، ٣٩١ اللعنة،
٣٩٢ اللعنة، ٣٩٣ اللعنة، ٣٩٤ اللعنة، ٣٩٥ اللعنة، ٣٩٦ اللعنة،
٣٩٧ اللعنة، ٣٩٨ اللعنة، ٣٩٩ اللعنة، ٤٠٠ اللعنة، ٤٠١ اللعنة،
٤٠٢ اللعنة، ٤٠٣ اللعنة، ٤٠٤ اللعنة، ٤٠٥ اللعنة، ٤٠٦ اللعنة،
٤٠٧ اللعنة، ٤٠٨ اللعنة، ٤٠٩ اللعنة، ٤١٠ اللعنة، ٤١١ اللعنة،
٤١٢ اللعنة، ٤١٣ اللعنة، ٤١٤ اللعنة، ٤١٥ اللعنة، ٤١٦ اللعنة،

٤١٧ اللعنة، ٤١٨ اللعنة، ٤١٩ اللعنة، ٤٢٠ اللعنة، ٤٢١ اللعنة،
٤٢٢ اللعنة، ٤٢٣ اللعنة، ٤٢٤ اللعنة، ٤٢٥ اللعنة، ٤٢٦ اللعنة،
٤٢٧ اللعنة، ٤٢٨ اللعنة، ٤٢٩ اللعنة، ٤٣٠ اللعنة، ٤٣١ اللعنة،
٤٣٢ اللعنة، ٤٣٣ اللعنة، ٤٣٤ اللعنة، ٤٣٥ اللعنة، ٤٣٦ اللعنة،
٤٣٧ اللعنة، ٤٣٨ اللعنة، ٤٣٩ اللعنة، ٤٤٠ اللعنة، ٤٤١ اللعنة،
٤٤٢ اللعنة، ٤٤٣ اللعنة، ٤٤٤ اللعنة، ٤٤٥ اللعنة، ٤٤٦ اللعنة،
٤٤٧ اللعنة، ٤٤٨ اللعنة، ٤٤٩ اللعنة، ٤٥٠ اللعنة، ٤٥١ اللعنة،
٤٥٢ اللعنة، ٤٥٣ اللعنة، ٤٥٤ اللعنة، ٤٥٥ اللعنة، ٤٥٦ اللعنة،
٤٥٧ اللعنة، ٤٥٨ اللعنة، ٤٥٩ اللعنة، ٤٦٠ اللعنة، ٤٦١ اللعنة،
٤٦٢ اللعنة، ٤٦٣ اللعنة، ٤٦٤ اللعنة، ٤٦٥ اللعنة، ٤٦٦ اللعنة،
٤٦٧ اللعنة، ٤٦٨ اللعنة، ٤٦٩ اللعنة، ٤٧٠ اللعنة، ٤٧١ اللعنة،
٤٧٢ اللعنة، ٤٧٣ اللعنة، ٤٧٤ اللعنة، ٤٧٥ اللعنة، ٤٧٦ اللعنة،
٤٧٧ اللعنة، ٤٧٨ اللعنة، ٤٧٩ اللعنة، ٤٨٠ اللعنة، ٤٨١ اللعنة،
٤٨٢ اللعنة، ٤٨٣ اللعنة، ٤٨٤ اللعنة، ٤٨٥ اللعنة، ٤٨٦ اللعنة،
٤٨٧ اللعنة، ٤٨٨ اللعنة، ٤٨٩ اللعنة، ٤٩٠ اللعنة، ٤٩١ اللعنة،
٤٩٢ اللعنة، ٤٩٣ اللعنة، ٤٩٤ اللعنة، ٤٩٥ اللعنة، ٤٩٦ اللعنة،
٤٩٧ اللعنة، ٤٩٨ اللعنة، ٤٩٩ اللعنة، ٥٠٠ اللعنة، ٥٠١ اللعنة،
٥٠٢ اللعنة، ٥٠٣ اللعنة، ٥٠٤ اللعنة، ٥٠٥ اللعنة، ٥٠٦ اللعنة،
٥٠٧ اللعنة، ٥٠٨ اللعنة، ٥٠٩ اللعنة، ٥١٠ اللعنة، ٥١١ اللعنة،
٥١٢ اللعنة، ٥١٣ اللعنة، ٥١٤ اللعنة، ٥١٥ اللعنة، ٥١٦ اللعنة،

٥١٧ اللعنة، ٥١٨ اللعنة، ٥١٩ اللعنة، ٥٢٠ اللعنة، ٥٢١ اللعنة، ٥٢٢ اللعنة، ٥٢٣ اللعنة، ٥٢٤ اللعنة، ٥٢٥ اللعنة، ٥٢٦ اللعنة، ٥٢٧ اللعنة، ٥٢٨ اللعنة، ٥٢٩ اللعنة، ٥٣٠ اللعنة، ٥٣١ اللعنة، ٥٣٢ اللعنة، ٥٣٣ اللعنة، ٥٣٤ اللعنة، ٥٣٥ اللعنة، ٥٣٦ اللعنة، ٥٣٧ اللعنة، ٥٣٨ اللعنة، ٥٣٩ اللعنة، ٥٤٠ اللعنة، ٥٤١ اللعنة، ٥٤٢ اللعنة، ٥٤٣ اللعنة، ٥٤٤ اللعنة، ٥٤٥ اللعنة، ٥٤٦ اللعنة، ٥٤٧ اللعنة، ٥٤٨ اللعنة، ٥٤٩ اللعنة، ٥٥٠ اللعنة، ٥٥١ اللعنة، ٥٥٢ اللعنة، ٥٥٣ اللعنة، ٥٥٤ اللعنة، ٥٥٥ اللعنة، ٥٥٦ اللعنة، ٥٥٧ اللعنة، ٥٥٨ اللعنة، ٥٥٩ اللعنة، ٥٦٠ اللعنة، ٥٦١ اللعنة، ٥٦٢ اللعنة، ٥٦٣ اللعنة، ٥٦٤ اللعنة، ٥٦٥ اللعنة، ٥٦٦ اللعنة، ٥٦٧ اللعنة، ٥٦٨ اللعنة، ٥٦٩ اللعنة، ٥٧٠ اللعنة، ٥٧١ اللعنة، ٥٧٢ اللعنة، ٥٧٣ اللعنة، ٥٧٤ اللعنة، ٥٧٥ اللعنة، ٥٧٦ اللعنة، ٥٧٧ اللعنة، ٥٧٨ اللعنة، ٥٧٩ اللعنة، ٥٨٠ اللعنة، ٥٨١ اللعنة، ٥٨٢ اللعنة، ٥٨٣ اللعنة، ٥٨٤ اللعنة، ٥٨٥ اللعنة، ٥٨٦ اللعنة، ٥٨٧ اللعنة، ٥٨٨ اللعنة، ٥٨٩ اللعنة، ٥٩٠ اللعنة، ٥٩١ اللعنة، ٥٩٢ اللعنة، ٥٩٣ اللعنة، ٥٩٤ اللعنة، ٥٩٥ اللعنة، ٥٩٦ اللعنة، ٥٩٧ اللعنة، ٥٩٨ اللعنة، ٥٩٩ اللعنة، ٦٠٠ اللعنة، ٦٠١ اللعنة، ٦٠٢ اللعنة، ٦٠٣ اللعنة، ٦٠٤ اللعنة، ٦٠٥ اللعنة، ٦٠٦ اللعنة، ٦٠٧ اللعنة، ٦٠٨ اللعنة، ٦٠٩ اللعنة، ٦١٠ اللعنة، ٦١١ اللعنة، ٦١٢ اللعنة، ٦١٣ اللعنة، ٦١٤ اللعنة، ٦١٥ اللعنة، ٦١٦ اللعنة،

٦١٧ اللعنة، ٦١٨ اللعنة، ٦١٩ اللعنة، ٦٢٠ اللعنة، ٦٢١ اللعنة،
٦٢٢ اللعنة، ٦٢٣ اللعنة، ٦٢٤ اللعنة، ٦٢٥ اللعنة، ٦٢٦ اللعنة،
٦٢٧ اللعنة، ٦٢٨ اللعنة، ٦٢٩ اللعنة، ٦٣٠ اللعنة، ٦٣١ اللعنة،
٦٣٢ اللعنة، ٦٣٣ اللعنة، ٦٣٤ اللعنة، ٦٣٥ اللعنة، ٦٣٦ اللعنة،
٦٣٧ اللعنة، ٦٣٨ اللعنة، ٦٣٩ اللعنة، ٦٤٠ اللعنة، ٦٤١ اللعنة،
٦٤٢ اللعنة، ٦٤٣ اللعنة، ٦٤٤ اللعنة، ٦٤٥ اللعنة، ٦٤٦ اللعنة،
٦٤٧ اللعنة، ٦٤٨ اللعنة، ٦٤٩ اللعنة، ٦٥٠ اللعنة، ٦٥١ اللعنة،
٦٥٢ اللعنة، ٦٥٣ اللعنة، ٦٥٤ اللعنة، ٦٥٥ اللعنة، ٦٥٦ اللعنة،
٦٥٧ اللعنة، ٦٥٨ اللعنة، ٦٥٩ اللعنة، ٦٦٠ اللعنة، ٦٦١ اللعنة،
٦٦٢ اللعنة، ٦٦٣ اللعنة، ٦٦٤ اللعنة، ٦٦٥ اللعنة، ٦٦٦ اللعنة،
٦٦٧ اللعنة، ٦٦٨ اللعنة، ٦٦٩ اللعنة، ٦٧٠ اللعنة، ٦٧١ اللعنة،
٦٧٢ اللعنة، ٦٧٣ اللعنة، ٦٧٤ اللعنة، ٦٧٥ اللعنة، ٦٧٦ اللعنة،
٦٧٧ اللعنة، ٦٧٨ اللعنة، ٦٧٩ اللعنة، ٦٨٠ اللعنة، ٦٨١ اللعنة،
٦٨٢ اللعنة، ٦٨٣ اللعنة، ٦٨٤ اللعنة، ٦٨٥ اللعنة، ٦٨٦ اللعنة،
٦٨٧ اللعنة، ٦٨٨ اللعنة، ٦٨٩ اللعنة، ٦٩٠ اللعنة، ٦٩١ اللعنة،
٦٩٢ اللعنة، ٦٩٣ اللعنة، ٦٩٤ اللعنة، ٦٩٥ اللعنة، ٦٩٦ اللعنة،
٦٩٧ اللعنة، ٦٩٨ اللعنة، ٦٩٩ اللعنة، ٧٠٠ اللعنة، ٧٠١ اللعنة،
٧٠٢ اللعنة، ٧٠٣ اللعنة، ٧٠٤ اللعنة، ٧٠٥ اللعنة، ٧٠٦ اللعنة،
٧٠٧ اللعنة، ٧٠٨ اللعنة، ٧٠٩ اللعنة، ٧١٠ اللعنة، ٧١١ اللعنة،
٧١٢ اللعنة، ٧١٣ اللعنة، ٧١٤ اللعنة، ٧١٥ اللعنة، ٧١٦ اللعنة،

٧١٨ اللعنة، ٧١٩ اللعنة، ٧٢٠ اللعنة، ٧٢١ اللعنة، ٧٢٢ اللعنة،
٧٢٣ اللعنة، ٧٢٤ اللعنة، ٧٢٥ اللعنة، ٧٢٦ اللعنة، ٧٢٧ اللعنة،
٧٢٨ اللعنة، ٧٢٩ اللعنة، ٧٣٠ اللعنة، ٧٣١ اللعنة، ٧٣٢ اللعنة،
٧٣٣ اللعنة، ٧٣٤ اللعنة، ٧٣٥ اللعنة، ٧٣٦ اللعنة، ٧٣٧ اللعنة،
٧٣٨ اللعنة، ٧٣٩ اللعنة، ٧٤٠ اللعنة، ٧٤١ اللعنة، ٧٤٢ اللعنة،
٧٤٣ اللعنة، ٧٤٤ اللعنة، ٧٤٥ اللعنة، ٧٤٦ اللعنة، ٧٤٧ اللعنة،
٧٤٨ اللعنة، ٧٤٩ اللعنة، ٧٥٠ اللعنة، ٧٥١ اللعنة، ٧٥٢ اللعنة،
٧٥٣ اللعنة، ٧٥٤ اللعنة، ٧٥٥ اللعنة، ٧٥٦ اللعنة، ٧٥٧ اللعنة،
٧٥٨ اللعنة، ٧٥٩ اللعنة، ٧٦٠ اللعنة، ٧٦١ اللعنة، ٧٦٢ اللعنة،
٧٦٣ اللعنة، ٧٦٤ اللعنة، ٧٦٥ اللعنة، ٧٦٦ اللعنة، ٧٦٧ اللعنة،
٧٦٨ اللعنة، ٧٦٩ اللعنة، ٧٧٠ اللعنة، ٧٧١ اللعنة، ٧٧٢ اللعنة،
٧٧٣ اللعنة، ٧٧٤ اللعنة، ٧٧٥ اللعنة، ٧٧٦ اللعنة، ٧٧٧ اللعنة،
٧٧٨ اللعنة، ٧٧٩ اللعنة، ٧٨٠ اللعنة، ٧٨١ اللعنة، ٧٨٢ اللعنة،
٧٨٣ اللعنة، ٧٨٤ اللعنة، ٧٨٥ اللعنة، ٧٨٦ اللعنة، ٧٨٧ اللعنة،
٧٨٨ اللعنة، ٧٨٩ اللعنة، ٧٩٠ اللعنة، ٧٩١ اللعنة، ٧٩٢ اللعنة،
٧٩٣ اللعنة، ٧٩٤ اللعنة، ٧٩٥ اللعنة، ٧٩٦ اللعنة، ٧٩٧ اللعنة،
٧٩٨ اللعنة، ٧٩٩ اللعنة، ٨٠٠ اللعنة، ٨٠١ اللعنة، ٨٠٢ اللعنة،
٨٠٣ اللعنة، ٨٠٤ اللعنة، ٨٠٥ اللعنة، ٨٠٦ اللعنة، ٨٠٧ اللعنة،
٨٠٨ اللعنة، ٨٠٩ اللعنة، ٨١٠ اللعنة، ٨١١ اللعنة، ٨١٢ اللعنة،
٨١٣ اللعنة، ٨١٤ اللعنة، ٨١٥ اللعنة، ٨١٦ اللعنة، ٨١٧ اللعنة،

٨١٨ اللعنة، ٨١٩ اللعنة، ٨٢٠ اللعنة، ٨٢١ اللعنة، ٨٢٢ اللعنة،
٨٢٣ اللعنة، ٨٢٤ اللعنة، ٨٢٥ اللعنة، ٨٢٦ اللعنة، ٨٢٧ اللعنة،
٨٢٨ اللعنة، ٨٢٩ اللعنة، ٨٣٠ اللعنة، ٨٣١ اللعنة، ٨٣٢ اللعنة،
٨٣٣ اللعنة، ٨٣٤ اللعنة، ٨٣٥ اللعنة، ٨٣٦ اللعنة، ٨٣٧ اللعنة،
٨٣٨ اللعنة، ٨٣٩ اللعنة،٨٤٠ اللعنة، ٨٤١ اللعنة، ٨٤٢ اللعنة،
٨٤٣ اللعنة، ٨٤٤ اللعنة، ٨٤٥ اللعنة، ٨٤٦ اللعنة، ٨٤٧ اللعنة،
٨٤٨ اللعنة، ٨٤٩ اللعنة، ٨٥٠ اللعنة، ٨٥١ اللعنة، ٨٥٢ اللعنة،
٨٥٣ اللعنة، ٨٥٤ اللعنة، ٨٥٥ اللعنة، ٨٥٦ اللعنة، ٨٥٧ اللعنة،
٨٥٨ اللعنة، ٨٥٩ اللعنة، ٨٦٠ اللعنة، ٨٦١ اللعنة، ٨٦٢ اللعنة،
٨٦٣ اللعنة، ٨٦٤ اللعنة، ٨٦٥ اللعنة، ٨٦٦ اللعنة، ٨٦٧ اللعنة،
٨٦٨ اللعنة، ٨٦٩ اللعنة، ٨٧٠ اللعنة، ٧٧١ اللعنة، ٧٧٢ اللعنة،
٧٧٣ اللعنة، ٧٧٤ اللعنة، ٧٧٥ اللعنة، ٧٧٦ اللعنة، ٧٧٧ اللعنة،
٧٧٨ اللعنة، ٧٧٩ اللعنة، ٧٨٠ اللعنة، ٧٨١ اللعنة، ٧٨٢ اللعنة،
٧٨٣ اللعنة، ٧٨٤ اللعنة، ٧٨٥ اللعنة، ٧٨٦ اللعنة، ٧٨٧ اللعنة،
٧٨٨ اللعنة، ٧٨٩ اللعنة، ٧٩٠ اللعنة، ٧٩١ اللعنة، ٧٩٢ اللعنة،
٧٩٣ اللعنة، ٧٩٤ اللعنة، ٧٩٥ اللعنة، ٧٩٦ اللعنة، ٧٩٧ اللعنة،
٧٩٨ اللعنة، ٧٩٩ اللعنة، ٨٠٠ اللعنة، ٨٠١ اللعنة، ٨٠٢ اللعنة،
٨٠٣ اللعنة، ٨٠٤ اللعنة، ٨٠٥ اللعنة، ٨٠٦ اللعنة، ٨٠٧ اللعنة،
٨٠٨ اللعنة، ٨٠٩ اللعنة، ٨١٠ اللعنة، ٨١١ اللعنة، ٨١٢ اللعنة،
٨١٣ اللعنة، ٨١٤ اللعنة، ٨١٥ اللعنة، ٨١٦ اللعنة، ٨١٧ اللعنة،

٨١٨ اللعنة، ٨١٩ اللعنة، ٨٢٠ اللعنة، ٨٢١ اللعنة، ٨٢٢ اللعنة، ٨٢٣ اللعنة، ٨٢٤ اللعنة، ٨٢٥ اللعنة، ٨٢٦ اللعنة، ٨٢٧ اللعنة، ٨٢٨ اللعنة، ٨٢٩ اللعنة، ٨٣٠ اللعنة، ٨٣١ اللعنة، ٨٣٢ اللعنة، ٨٣٣ اللعنة، ٨٣٤ اللعنة، ٨٣٥ اللعنة، ٨٣٦ اللعنة، ٨٣٧ اللعنة، ٨٣٨ اللعنة، ٨٣٩ اللعنة، ٨٤٠ اللعنة، ٨٤١ اللعنة، ٨٤٢ اللعنة، ٨٤٣ اللعنة، ٨٤٤ اللعنة، ٨٤٥ اللعنة، ٨٤٦ اللعنة، ٨٤٧ اللعنة، ٨٤٨ اللعنة، ٨٤٩ اللعنة، ٨٥٠ اللعنة، ٨٥١ اللعنة، ٨٥٢ اللعنة، ٨٥٣ اللعنة، ٨٥٤ اللعنة، ٨٥٥ اللعنة، ٨٥٦ اللعنة، ٨٥٧ اللعنة، ٨٥٨ اللعنة، ٨٥٩ اللعنة، ٨٦٠ اللعنة، ٨٦١ اللعنة، ٨٦٢ اللعنة، ٨٦٣ اللعنة، ٨٦٤ اللعنة، ٨٦٥ اللعنة، ٨٦٦ اللعنة، ٨٦٧ اللعنة، ٨٦٨ اللعنة، ٨٦٩ اللعنة، ٨٧٠ اللعنة، ٨٧١ اللعنة، ٨٧٢ اللعنة، ٨٧٣ اللعنة، ٨٧٤ اللعنة، ٨٧٥ اللعنة، ٨٧٦ اللعنة، ٨٧٧ اللعنة، ٨٧٨ اللعنة، ٨٧٩ اللعنة، ٨٨٠ اللعنة، ٨٨١ اللعنة، ٨٨٢ اللعنة، ٨٨٣ اللعنة، ٨٨٤ اللعنة، ٨٨٥ اللعنة، ٨٨٦ اللعنة، ٨٨٧ اللعنة، ٨٨٨ اللعنة، ٨٨٩ اللعنة، ٨٩٠ اللعنة، ٨٩١ اللعنة، ٨٩٢ اللعنة، ٨٩٣ اللعنة، ٨٩٤ اللعنة، ٨٩٥ اللعنة، ٨٩٦ اللعنة، ٨٩٧ اللعنة، ٨٩٨ اللعنة، ٨٩٩ اللعنة، ٩٠٠ اللعنة، ٩٠١ اللعنة، ٩٠٢ اللعنة، ٩٠٣ اللعنة، ٩٠٤ اللعنة، ٩٠٥ اللعنة، ٩٠٦ اللعنة، ٩٠٧ اللعنة، ٩٠٨ اللعنة، ٩٠٩ اللعنة، ٩١٠ اللعنة، ٩١١ اللعنة، ٩١٢ اللعنة، ٩١٣ اللعنة، ٩١٤ اللعنة، ٩١٥ اللعنة، ٩١٦ اللعنة، ٩١٧ اللعنة،

٩١٨ اللعنة، ٩١٩ اللعنة، ٩٢٠ اللعنة، ٩٢١ اللعنة، ٩٢٢ اللعنة، ٩٢٣ اللعنة، ٩٢٤ اللعنة، ٩٢٥ اللعنة، ٩٢٦ اللعنة، ٩٢٧ اللعنة، ٩٢٨ اللعنة، ٩٢٩ اللعنة، ٩٣٠ اللعنة، ٩٣١ اللعنة، ٩٣٢ اللعنة، ٩٣٣ اللعنة، ٩٣٤ اللعنة، ٩٣٥ اللعنة، ٩٣٦ اللعنة، ٩٣٧ اللعنة، ٩٣٨ اللعنة، ٩٣٩ اللعنة، ٩٤٠ اللعنة، ٩٤١ اللعنة، ٩٤٢ اللعنة، ٩٤٣ اللعنة، ٩٤٤ اللعنة، ٩٤٥ اللعنة، ٩٤٦ اللعنة، ٩٤٧ اللعنة، ٩٤٨ اللعنة، ٩٤٩ اللعنة، ٩٥٠ اللعنة، ٩٥١ اللعنة، ٩٥٢ اللعنة، ٩٥٣ اللعنة، ٩٥٤ اللعنة، ٩٥٥ اللعنة، ٩٥٦ اللعنة، ٩٥٧ اللعنة، ٩٥٨ اللعنة، ٩٥٩ اللعنة، ٩٦٠ اللعنة، ٩٦١ اللعنة، ٩٦٢ اللعنة، ٩٦٣ اللعنة، ٩٦٤ اللعنة، ٩٦٥ اللعنة، ٩٦٦ اللعنة، ٩٦٧ اللعنة، ٩٦٨ اللعنة، ٩٦٩ اللعنة، ٩٧٠ اللعنة، ٩٧١ اللعنة، ٩٧٢ اللعنة، ٩٧٣ اللعنة، ٩٧٤ اللعنة، ٩٧٥ اللعنة، ٩٧٦ اللعنة، ٩٧٧ اللعنة، ٩٧٨ اللعنة، ٩٧٩ اللعنة، ٩٨٠ اللعنة، ٩٨١ اللعنة، ٩٨٢ اللعنة، ٩٨٣ اللعنة، ٩٨٤ اللعنة، ٩٨٥ اللعنة، ٩٨٦ اللعنة، ٩٨٧ اللعنة، ٩٨٩ اللعنة، ٩٨٩ اللعنة، ٩٩٠ اللعنة، ٩٩١ اللعنة، ٩٩٢ اللعنة، ٩٩٣ اللعنة، ٩٩٤ اللعنة، ٩٩٥ اللعنة، ٩٩٦ اللعنة، ٩٩٧ اللعنة، ٩٩٨ اللعنة، ٩٩٩ اللعنة، ١٠٠٠ اللعنة

وأُشهِدُ الأحرارَ والأُسارى، أني أضَع البركةَ واللعنة أمام النصارى، أما البركة فينالهم بركةُ الدنيا عند مقابلة الكتاب وينالون إنعاما كثيرًا مع الفتح والغِلاب، أو ينالهم بركةُ الآخرة عند التوبة

وتركِ توهين القرآن وترك صفة السِّرحان، وأما اللعنة فلا يرد عليهم إلا عند إعراضِهم عن الجواب، ومع ذلك عدمِ امتناعهم عن الشتم والسبّ والقدح في كتاب رب الأرباب رب العالمين.

واعلم أنّ كل من هو مِن وُلْدِ الحلال، وليس من ذرّية البغايا ونسل الدجال، فيفعل أمرًا من أمرين: إمّا كفُّ اللّسان بعدُ وتركُ الافتراء والمَين، وإما تأليف الرسالة كرسالتنا وترصيع المقالة كمقالتنا، ولكن الذي ما ازدجر من القدح في بلاغة القرآن، وما امتنع من الإنكار من فصاحة الفرقان، فعليه كل ما قلنا وكتبنا في هذا القرطاس، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فَلْيَقُلْ القَوْمُ كلُّهم آمين آمين آمين.

القصيدة في فضائل القرآن وشأن كتاب الله الرحمن

لَمَّا أرى الفرقانُ مَيْسمَه تردَّى مَن طغى ... مَن كان نابِغَ وقتِه جاءِ المواطنَ ألثغَا
وإذا أرى وجهًا بأنوار الجمال مُصبَّغا ... فدَرَى المعارضُ أنه ألغى الفصاحة أو لغا
من كان ذا عينِ النهى فإلى محاسنه صغى ... إلا الذي مِن جهله أبغى الضلالة أو بغى
عينُ المعارف كلّها آتا ه حبٌّ مُبتغى ... لا يُنبئنّ ببحره الزخّار كلبًا ولغا
اِقْبَلْ عيونَ علومه أو أَعرِضَنْ مُستولغا ... واتْبَعْ هداه أَوِ اعْصِه إن كنتَ مُلْغًى مُتّغا
ما غادرَ القرآنُ في الميدان شابًا بُرْزَغا ... قتَل العدا رعبًا وإن بارى العدوّ مُسبَّغا
قد أنكروا جهلاً وما بلغوه علمًا مَبْلغًا ... حتى انثَنوا كالخائبين وأضرموا نار الوغى
نورٌ على نور هُدًى، يوما فيوما في الثغا ... مَن كان مُنكرَ نوره قد جئتُه متفرّغا
فيها العلوم جميعها وحليبُها لمن ارتغى ... فيها المعارف كلها وقليبُها بل أبلغا
أعطى الورى بدلائه ماءً مَعينًا سيِّغَا ... أروى الخلائقَ كلهم إلا لئيمًا أبْدَغا
مَن جاءه متبخترًا وأرى مُدًى أو مبْزَغا ... فتراه مغلوبا على تُرْبِ الهوان ممرَّغا
سيفٌ يكسّر ضرسَ مَن بارى وجاء مُثَغْثغا ... أسدٌ يمزّق صولُه إن رَاغَ جملٌ أو رغا
ويلٌ لكَفّارٍ لديغٍ لا يفارق مَلدَغا ... ويل لمن بزَغتْ له شمس فعادى مَبْزَغا
مَن فرَّ من فيضانه الأعلى ومما أفرغا ... ما كان قلبًا تائبا بل كان لحمًا أسْلَغا

وأمّا قول المعترض الفتّان أن "ذو مِرَّةٍ" اسم الشيطان، وقال أن المِرّة هي مادة الصفراء، وباطل كل ما يخالفه من الآراء، فهذا كلّه كذب ودجل وتلبيس، ونعوذ بالله من الدجّالين المفتّنين. بل الأمر الصحيح الذي يوجد نظائره في كلماتِ بلغاء لسان العرب ونوابغ ذوي الأدب، أن أصل المِرّة إحكامُ الفَتْل وإدارة الخيوط عند الوصل، كما قال صاحب تاج العروس شارح القاموس، ثم نقلوا هذا اللفظ من الإحكام والإدارة إلى نتيجته.. أعني إلى القوة والطاقة، فإن الحبل إذا أُحكِمَ فَتْلُه فلا بد من أن يتقوّى بعد أن يُشَدّ ويُسَوَّى، ويكون كشيء قويّ متين. ثم نُقِلَ منه إلى العقل كنقل الحقل إلى الحقل، لأن العقل طاقة تحصل بعد إمرار مقدمات وإحكام مشاهدات تُجَلِّيها* الحسُّ المشترك من الحواسّ بإذن ربّ الناس وأحسن الخالقين. ثم نُقل هذا اللفظ في المرتبة الرابعة إلى مزاج من الأمزجة.. أعني الصفراء التي هي إحدى الطبائع الأربعة، لشدّة قوتها ولطافة مادتها، ولكونها مصدرَ أفعال قويّة وموجبًا لجُرأةٍ وشجاعة وكلِّ أمر يخالف عاداتِ الجبان ويوافق سِيَر الشجعان، فتفكَّرْ إن كنتَ من الطالبين.

وأما نظيره في أشعار بُلغاء الجاهلية ونبغاء الأزمنة الماضية، فكفاك ما قال امرؤ القيس في قصيدته اللاميّة:

دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَتابُعُ كَفَّيْه بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

* سهو، والصحيح: "يجلّيها". (الناشر)

وكذلك بيت لعمرو بن كلثوم التغلبي الذي هو نابغ في اللسان العربي، وقال في القصيدة الخامسة من السبع المعلقة، ونحن نكتبه نظيرًا لمعنى الإدارة، وهو هذا:

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ عليه لما له فيها مهينَا

ومن عجائب لفظ المِرّة اشتراكُه في العربية والهندية في معنى الإدارة وإحكام الفتل بالمبالغة، فإن الهنديين يقولون للإمرار: "مَرَوِرنا" كما لا يخفى على الهنديين. وهذا ثبوت صريح من غير شائبة المَين لاستخراج أصل حقيقة الذي هو دائر بين اللسانَين، وفيه نكتة تسرّ المحققين.

وأمّا لفظ **ذي مِرَّة** بمعنى العقل، فإن كُنْتَ تطلب منّا نظيره مع تصحيح النقل، فاعلم أن صاحب تاج العروس شارح القاموس فسّر لفظ ذي مِرّة بمعنى ذي الدهاء، وقال/ يُقال إنه لَذُو مِرَّة أي عقلٍ في مَثَلِ العرب العرباء. وإن لم يكفك هذا المثل مع أنه هو الأصل، وتطلب منّا نظيرًا آخر من الأيام الجاهلية والأزمنة الماضية، فاقرأْ هذا البيت من صاحب القصيدة الرابعة من السبع المعلّقة، وكان من نبغاء الزمان وفي البلاغة إمام الأقران، وزاد عمره على مئة وخمسين، وهو هذا:

رَجَعا بِأَمرِهِما إِلى ذي مِرَّةٍ حَصِدٍ وَنُجْحُ صَرِيمةٍ إِبرامُها

واعلم أن هذه القصائد معروفة بغاية الاشتهار كالشمس في نصف النهار، وقد أجمع كافة الأدباء وجهابذ الشعراء على فضلها

وكمال براعتها، واتفق عامة البلغاء على حسنها ونباهتها، واختارها الحكومة الإنكليزية لطلباء مدارسها وسُبقاءِ كواجها وشرباء كَيالِجها لتكميل القارئين، ولا ينكرها إلا الذي مِثلك غبي وشقي كعمين.

هذا ما أوردنا لإلزامك وإفحامك من نظائر المتقدمين وكلام المشهورين المقبولين. وأمّا ما يظهر من سياق كلام الله وسباقه ومِن عقدِ درِّ حِقاقه، فهو طريق أقرب من ذلك للمسترشدين. فإنه تعالى كما وصف روح القدس بقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، كذلك وصفه في مقام آخر بذي قوة فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[◎]، فقوله في مقام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وفي مقام ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شرحٌ لطيف بأفانين البيان، وكذلك جرت سُنّة الله في القرآن، فإنه يفسّر بعضَ مقاماته ببعض آخر ليزيد الاطمئنان، وليعصم كتابه من تحريف الخائنين.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه المحكم وسِفره المكرم صفات أخرى للروح الأمين، وبيّن عبارته وصدقه وأمانته وقُربه من رب العالمين. فلا يحسبه شيطانا إلا الذي هو شيطان لعين.

ومن اعتراضات هذا العاصي الغافل عن يوم يؤخذ المجرمون بالنواصي، أنه يظنّ كأنّ القرآن أخطأ في بيان مذهب النصارى وعقائدهم، وما فهِم مقصد عمائدهم، وعزا إليهم ما يخالف عقيدة المسيحيين.

◎ *التكوير*: ٢١

فاعلم أنّ بيانه هذا بهتان عظيم وكذب مبين، والحق أن القرآن لما جاء كانت النصارى فرقا متفرقين، فبعضهم كانوا يعبدون المسيح، وبعضهم معه أُمَّه، وبعضهم كانوا يسجدون لتصاويرهما ويعبدونهما كعبادة رب العالمين. وكان اللجاج بينهم قد احتدّ والحِجَاج قد اشتدّ، وكان كلّهم قومًا ضالّين، إلا قليلا منهم كانوا موحِّدين مع بدعات أخرى وكانوا كالعمين. فبيّن القرآن ما رأى وبَكَّتَهم وسَكَّتَهم ببيان أجلى، وقال أنتم تعبدون إنسانا من دون الله الأغنى، وما تعبدون ربكم الأعلى، فما برّءوا أنفسهم بل سكتوا كالمفحَمين المُقِرّين. فوقعت عليهم الحجة وقام البرهان وثبت أنهم كانوا يعتقدون كما بيّن القرآن وكانوا مشركين. ثم جاء بعدهم قوم آخرون من النصارى وقرأوا كتب الفلسفة فبُهتوا وصاروا كالسكارى، ورأوا أنفسهم في الشِرك كالأسارى، فتأسّفوا على مذهبهم متندمين. ففكَّروا لإصلاح ما فسد وترويج ما كسد، فقُتلوا كيف فكّروا وذُكِّروا وما بدّلوا إلا حُلَلَ المقال مع اتحاد المآل، فتَعْسًا لقوم ظالمين. وغَشِيَهم ما غَشِيَهم من آفات الضلال، وتلاقَوا في مآل الأقوال، وما كانوا مستشفّين. أسخطوا المولى ليُرضوا عبيده، ونسوا وعيده ومواعيده، ونبذوا وراء ظهورهم تعليم النبيّين. ولا شك أنهم اتخذوا عيسى إلهًا من دون رب العالمين، وهو عندهم مالك يوم الدّين. ويقولون لا أثر يومئذ معه من البشريّة، مع كونه مجسَّمًا ومركّبًا من العظم واللحم كالآدميين. هذه عقيدتهم وعقيدة الذين

غلَّسوا قبلهم في مبادئ الأيّام أمام أعين الإسلام، ثم في هذا الزمن انفتحت أعينهم وقلّت ظلمتُهم بما شاعت فيهم العلوم العقلية والحِكم الفلسفية، فرأوا سَوءةَ مذهبهم واستحالة مطلبهم، فبادروا إلى التأويلات مخافةً من الملامات والتشنيعات، وتخوّفًا من كلمات المستهزئين، لأن الفطرة الإنسانية تأبى من قبول هذه العقيدة الدنيّة، والخرافات الرديّة، التي هي بديهة البطلان عند الرجال والنسوان، خصوصًا في هذه الأيام التي مالت العقول السليمة إلى التوحيد، وهبّتْ من كل طرف رياحُ التنــــزيه لله الوحيد، وكسدتْ سُوقُ المشركين. فأنَّى لهم أن يخفوها بعد إظهارها ونشرها وإزاحة قشرها؟ أيُخفون أمرًا أُشيعَ في البلاد والأرضين؟ ومثلُ الذين بدّلوا الطيبات بالخبيثات وتركوا الحسنات وبادروا إلى السيئات ولا يتقون الله في إخفاء العثرات وتأويل الخرافات، كمثل رجلٍ كان يأكل البُرازَ مِن مدة مديدة، ويحسبه من أغذيةٍ لطيفةٍ جديدةٍ، ولا يتنبّه على أنه رجس وقذر لا من أطعمة الآدميّين، فلاقاه رجلٌ لطيف نظيف ومع ذلك زكي وظريف، فرآه يأكل الغائط فأَنَّبَه كما يؤنّب الحَكَمُ المايطَ، وقال ما تفعل ذلك؟ أتأكل البراز يا بُرازَ الخبيثين؟ فتندّمَ وفكّرَ في نفسه كيف يزيح برص هذه الملامة، وكيف ينجو من شناعة الندامة، فنَحَتَ جوابا كالذين يرون أُجاجَهم كماءِ مَعينٍ، وقال إني ما آكل البراز، وما كنتُ أن أحتاز فما أبالي الإفزاز، وما أوعزتُ إلى هذا الأمر الذي هو أكبر المكروهات، وإن هو إلا تهمةٌ

مَذّاعٍ ذي البهتانات وإني من المبرَّئين. وإن العدوّ ما عرف الحقيقة ونسِي الطريقة، فإني آكل أجزاءً غذائية التي تنفصل من الهضم الْمَعِدي بإذنِ خالق الأشياء، وتدفعها الطبيعة إلى بعض الأمعاء، فتخرج من المَبرز المعلوم مع قليل من الصفراء، فهذا شيء آخر وليس ببراز كما هو زعم الأعداء، بل هو غذاء أُعِدَّ لمثلنا الطيّبين.

فاتقوا هذا المثال وفكِّروا في سوانح المسيح وفيما قال. وكل ما قال عيسى نبي الله فهو طيب، ولكن تعسًا للذي لا يفهم الأقوال. وإنّا نبكي على حال الظالمين والمؤذين الكاملين، بل ندعو الله أن يهديهم ويرحمهم وهو خير الراحمين. ووالله إنّا لا نضحك بل نبكي على حالكم أنكم تسترون الأمر وتتكلّفون أيها الجائرون. ما لكم لا تفهمون؟ وإنّا نُريكم فلا تنظرون، ونعطيكم فلا تأخذون، وتفترون الكذبَ ولا تستحيون، وأيقظَكم الموقظون فلا تستيقظون. ألا تتقون الذي إليه تُرجعون، أو ظننتم أنكم من المتروكين؟

وقد قلتُ آنفا إن القرآن ما بيّن حال النصارى على نهج واحد، بل جعل بعضهم على بعض كشاهد، وقال إن بعضهم يعبدون المسيح ويتخذونه إلهًا عمدًا، وبعضهم يعبدون معه أُمَّه ويحمدونها حمدًا، وفيهم فرقة قليلة يعبدون الله ويحسبونه رحيمًا ورحمانًا، ويحسبون المسيح بشرًا وإنسانًا، وهذه الفِرق الثلاثة كانوا في عهد نبيّنا ﷺ موجودين، والقرآن قُرِئَ عليهم إلى قرون ومِئِين، فما قال أحد منهم أن القرآن يعزو إلينا ما يخالف عقائدنا وتعاليم عمائدنا،

ولا يفهم سرَّ أقانيمنا، ويخطئ في بيان تعاليمنا. وإن كنتَ تظن أنه قال أحد كمثل هذه الأقوال، أو وجدتَ كتابا شاهدا على هذا المقال، فأَخْرِجْ لنا كتابك إن كنت من الصادقين. وإن لم تستطع فاتق الله ولا تتّبع آراء قومٍ فاسقين.

واعلموا أنكم قد فهمتم في أنفسكم في هذا الزمان الذي هو زمان التدبّر والإمعان، أن عقائدكم خرافات وفيها آفات، وتضحك عليكم الصبيان والنسوان، فتريدون أن تلقوا عليها رداء التأويلات لعلكم تخلصون من الملامات، ومِن لعن اللاعنين؛ فزيّنتم الباطل لتدحضوا به الحق وكنتم قومًا مسرفين. وأمّا خُبث عقائدكم فليس شيء يخفى على الناس، أو يخفى مِن عينِ كَيِّسٍ ذي الفهم والقياس. ألستم تعبدون عيسى في هذا الزمان كما كنتم تعبدون في أيام نزول القرآن؟ ألستم تمجّدونه وتقدّسونه وتعظّمونه كمثل إله العالمين؟ ألستم تقولون إن كل أمر فُوِّضَ إلى عيسى، وهو الله في الأولى والأخرى، وهو الذي تُرجَعون إليه وتحضرون لديه، ويحكم بينكم كملِكٍ أكرم وأعظم، وتعرفونه بصورته أنه ابن مريم؟ فموتوا ندامةً يا معشر المشركين! وكيف تُخفون شِرككم وقد ظهرت الأسرار وبدت الأخبار، وأشعتم عقائدكم بالاستعجال وزففتم زفيف الرال. وإنّا عرَفناكم وعرفنا الكيد والفنَّ، فكيف نحسن بكم الظنَّ، بعدما كنا عارفين؟ إنكم قوم تُضلّون الناس بتلبيساتكم ليميلوا إلى جهلاتكم، ويقبلوا خزعبلاتكم ويجيئوكم كمسحورين. وإنّا سمعنا

منكم سبَّ نبيِّنا مع الافتراء والمَين، وأُحْرِقْنا بالنّارَين، وما نشكو إلا إلى الله وهو خير الناصرين.

القصيدة الفريدة التي يهُدُّ◈ الأحقاف، ويزيلُ غَينَ العَينِ ويأخذُ الصَّادَّ ولَوْ علا الْقَافَ

تركتم أيها النَّوكى طريقَ الرشد تزويرا | على عيسَى افْتريتم مِن ضلالتكم دَقارِيرا
فقلتم إنه المختارُ إحياءً وتدميرا | هو الله الذي قد قدّر الأشياءَ تقديرا
قد اغتاظ الأبُ الحاضِي فقام الابن تذكيرا | فمــا نفعتْ نصائحُه فقَبِلَ الابنُ تعزيرا
أحبَّ الوالدُ المُغتال إهلاكا وتخسيرا | فجاء الابنُ كالمُنْجِي ونادَى الخَلْقَ تبشيرا
وقلتم إنه رَدَّ الأمورَ إليه تَوقيرا | كأنّ أباه قد شاخا ونابَ الابنُ تخييرا
وقلتم إنه الحامي ونبغي منه تَخْفِيرَا | وهذا كله شِركٌ فَدَعْ كذبًا وتَسْحِيرَا
وما في نورنا ريب ولن تخفوه تغييرا | فهل حُرٌّ يخاف الله لما جئتُ تحذيرا
وهذا قولنا حَقٌّ وطهَّرْناه تطهيرا | ولكن النصارى آثَروا خُبْثًا وخنــزيرا
ومِن تلبيسهم قد حرَّفوا الألفاظ تفسيرا | وقد بانتْ ضلالتُهم ولو ألقوا المعاذيرا

◈ *سهو من الناسخ، والصحيح: "تهد الأحقاف، وتزيلُ غَينَ العَينِ وتأخــذُ الــصَّادَّ". (الناشر)*

الإعلان تنبيهًا لكلّ من صال على القرآن من النصارى وغيرهم من أهل العدوان

قد كتبنا مِن غير مرة أن القرآن الكريم قد جمع التعاليم وأكمل التفهيم، وأنه مشتمل على علوم الأولين والآخرين، وهو بعُلُوِّه كأبحرٍ لا كحِياضٍ، وفاق كلَّ لُجّةٍ بذيلٍ فضفاض، وفيه نور أصفى من نور العين، ونقيٌّ من الدرن والشين. صحفٌ مطهّرة فيها كتبٌ قيّمة وحِكَمٌ مُعجِبة، مع حسنِ بيان وبلاغة ذي شأن تسرّ الناظرين. وهو إعجاز عظيم بفصاحة كلماته، وبلاغة عباراته، ورفعة معارفه، وباكورة نِكاته، ولكن النصارى وأتباعهم أنكروا هذا الكمال، ونحتوا الشكوك وزيّنوا الأقوال، وجاءوا بمكر مبين. فقال بعضهم إن القرآن فصيح ولا ننكر الفصاحة ولا نختار الوقاحة، ولكن تعليمه ليس بطيّب ونظيف، ولا يوجد فيه مِن وعظ لطيف، بل هو يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وكل ما علّم فهو سَقْطٌ كالمريض المَؤُوف، ولا يصلُح للصالحين.

أقول: كل ما هو قلتم فهو كذب صريح، ولا يقول كمثله إلا الذي هو وقيح، أو من المفترين. إنكم لا تستطلعون بعيون الصدق والسداد، ولا تسلكون إلا مسالك العناد، وما تعلمون إلا طرق الاعتساف، وما غُذِّيْتم بلبان الإنصاف، وما أراكم إلا ظالمين. أَعَرَفْتم حقيقة القرآن، مع كونكم محرومين من علم اللسان،

ومُبعَدين من سكك العرفان؟ أتظنّيتم البحر سرابًا مستورًا، مع كونكم عُميًا وعُورًا؟ لا تعلمون حرفًا من العلوم العربية، ولا تملكون فتيلا من البساتين الأدبية، بل أراكم كأخي عَيلةٍ، الماشين في ظلام ليلة، ثم تلك الدعاوي مع مفاقر الجهل والضلال، والإنكارُ من شمس العلوم بأنواع المكائد والاحتيال، كبرٌ عظيم وفسقٌ قديم، فسبحان ربنا كيف يمهل الفاسقين!

أيها الجهلاء.. أنتم تصولون على كلامٍ قد أُودعتْ سِرَّ المعارف أَسِرَّتُه، ومأثورةٌ سُمْعتُه وشُهرتُه، ومشهورةٌ عصمتُه وطهارته، ومسلَّمٌ نِضارُه ونَضْرتُه، واشتهر تأثيره وقوّته، فلا يُنكره إلا من فسدتْ فطرتُه. ألا ترون إلى قصرٍ شادَه القرآن، وإلى علوم أكملها الفرقان، وإلى أنوارٍ أترعَ فيه الرحمن؟ ووالله لا نظيرَ له في إحياء الأموات ونفخِ الروح في العظام الرفات. جاء في وقتِ انقراضِ حيَل الصلحاء، وظهضر بعد اكفهرار الليلة الليلاء، ووجد الخَلق كمعروق العظم وأخِ العيلة، أو كنائم في الليلة، فنوّر وجهَ الناس ولا كإنارة النهار، وناوَلَهم مالاً كثيرًا مِن دُرر العلم وأنواع الأنوار. فانظر.. هل ترى مثله في تأثير؟ ثم ارجعِ البصر.. هل ترى من نظير؟ أنسيتَ ظلمةَ أيام الإنجيل؟ أما جاءك خبر من ذلك الجيل؟ كيف كانت إحاطة الضلالات على كل زمان ومكان؟ أما لاحظتَ أو ما سمعتَ مِن ذي عرفان؟ كأنهم كانوا انحطّوا إلى اللحد، ونكثوا كل ما عاهدوا من العهد، وأكلتْهم ضلالاتهم كميَتٍ أكلتْه الدودُ، ورُمَّ

إيمانُهم كمثل ما يُنخَر العود. أما قرأتَ أحوال تلك الأزمان؟ ألست تذكرها وعيناك هملان؟ فأيّ شيء نَوَّرَ الزمنَ بعد الظلام، وذكّر اللهَ بعد ذكر الأصنام، وجاء بشرب مِن تسنيم بعد حميمٍ داعٍ إلى الحِمام؟ فاعلم أنه هو القرآن المبارَك الذي نجّى الخَلق من موت الاجترام، وأنشر الأمواتَ من الرِّجام، وأنــــزل الجَود بعد أيام الجَهام. فمن هنا نفهَم وجوهَ ضرورة القرآن ومنافعه لنوع الإنسان. وإن كنتَ لا تترك الإدلال بإنجيلك والاغترارَ بصحّة عليلك، ولا تتوب من أقاويلك، فها أنا أدعوك للنضال، وللتفريق بين الهدي والضلال، مستعيذًا بالله من شرّ الدجّال؛ فهل لك أن تتصدّى لهذا المضمار، ليتبدّى حقيقةُ الأسرار؟ إنّك تريد أن تُقوِّض مجد القرآن وبنيانه، ونريد أن نُمزِّق الإنجيل ونُريك أدرانه، ووالله إنّا من الصادقين، ولسنا من الكاذبين المزوِّرين. ووالله إن إنجيلكم الموجود غبار وتباب ودمار، وليس بمُعلِّمِ الحكمة بل سامرٌ ومِهْذار، فتنــــزيهُه ومدحُه عارٌ، وجُرْحه جُبار. وإنّا لا نجد فيه خيرًا، بل شرًّا وضيرًا، ونعوذ بالله من شرّه وكمال ضرّه، ونحولقُ على غفل المادحين. كتابٌ مُضِلٌّ يدعو الناس إلى المحظورات بل المهلكات، ويفتح عليهم أبواب الهنات والسيئات والإباحات وعبادة الأموات، ويجعلهم من المشركين. وأشأَمَ في بعض المقالات، وأيمنَ في الأخرى، وما تمالكَ أن يقصد في مشيه ويختار وسطًا كذوي النهى، ولأجل ذلك طعنوا فيه فلاسفةُ القوم، ووخَزوه بأسنّة اللوم، وقالوا لا حاجة

إلى ردّه، فإنه كافٍ لرَدِّ نفسه، ونراهم قائمين على فَوهتهم، وهم من النصارى ومن أكابر عصبتهم، بل مِن حكمائهم لا كمثل هؤلاء مِن جهلتهم، وتجد كثيرا منهم مُلبِّين داعيَ الإسلام أفضلَ الرسل وخيرَ الأنام وخاتمَ النبيين.

فيا أيها الأعداء من النصارى وفي الشِرك كالأسارى، لِم تتكلمون كالسكارى، وتلبسون الحق بالباطل وتهربون من الذي بارى؟ بارِزوا للنضال إن كنتم من أهل الكمال ومن الصادقين. واعلموا أن تحقيقَ الحق مِن كرم الطبع، والصولَ مِن غير حق مِن سِيَر السبُع، فعَدُّوا عن اللذع والقذع، وهلمّوا إلى التناضل والتَّلْع. ونحن نُحكِّم بعضَ حُكمائكم في هذا الأمر، ونعاهد الله أنّا نقبل كل ما حكموا من غير العذر. فهل لكم أن تُبرزوا لنا تعاليم الإنجيل، وكل ما هو فيه من لطائف الأقاويل؟ وكذلك نكتب لكم معارف القرآن ودقائق صحف الله الرحمن، فيَزِنَهما الحَكَمُ بميزان العقل والدهاء، ويحكم بين الخصماء، فإن كنا نحن المغلوبين، فنقبل لأنفسنا أن نُعذَّب كالمجرمين، ونُقتَل كالفاسقين الكاذبين؛ وإن كنّا من الغالبين، فلا نطلب من المتنصرين إلا أن يكونوا من المسلمين.

فيا عدوَّ الحق.. إنك مدحتَ الإنجيل فهَرَفْتَ، ونَحَتَّ الفِرْيةَ فأغربتَ وأطرفتَ، فهل بعد الدعاوي فرار، وبعد الإقرار إنكار؟ فأين تفرّ وقد جاء وقت افتضاحك، فلا تستر وجهك بوِشاحك،

ولك من الورق ألفين[*]، إن كنتَ تُثبتُ فضل الإنجيل بغير المَيْن. وأنَّى لك هذا يا رئيسَ المزوِّرين؟

أيها النصارى.. ما تنصّرتم لتنوير العين، بل لجَمْعِ العَين وجذبات الأَجْوَفَينِ، وتركتم تكاليف الصلاح لمطائب الجِفان ولذّاتِ الراح، وتمدحون في قلوبكم مَربَعَ اللذّات لا تعليم عيسى وطريق النجاة، وتستوكفون الأكُفَّ بذمّ الطيّبين، ليرشح على يدكم إناءُ قسيسين.

ويلكم! إنكم تركتم مَن عَظُمَ وجَلَّ، وأعرضتم عن الوَبْل واستسقيتم الطَلَّ، وما فكّرتم في عيسى وصرفتم العمر بعسى ولعلّ. أَرُوني كتابا تعلقتم بأهدابه، أو اسمعوا مني محاسنَ الفرقان ونُخَبَ عُجابه، وتوبوا مِن ذكر محاسن الإنجيل ولطائف آدابه. أهو يشابه الفرقانَ في بيان النكات، أو يتحاذى في الدرجات، أو يتوازن في دقائق الكلمات؟ كلا.. إن القرآن قد انفرد في كمال الصفات ومعارف الإلهيات، وإراءةِ الوسط الذي هو من أعظم الحسنات. فما للبدر التام وجُنْحِ الظلام؟ أتعظّمون الكتاب الذي مملوء من المنكرات، وجاز عن القصد ودعا إلى السيئات؟ أاغتررتم بزخرفة محاله، ومدحتموه قبل اختبار حاله؟ مع أنكم رأيتم أنه لا يُعلِّم طرق الكمالات، ولا سُبل المجاهدات الموصلة إلى رب الكائنات، ولا يُفصِّل أحكام الربّ ولا يُرغِّب في العبادات، بل يدعو الناس إلى التنعم والراح والراحة، وينهَب حرارةَ الإيمان ويغادر بيتهم أنقى من

[*] *سهو، والصحيح: "ألفان". (الناشر)*

الراحة. فاذكروا الموتَ أيّها الغافلون، وشمّروا أيها المقصّرون، وحقّقوا ولا تتبعوا الظنون، وتدبّروا وأمعنوا كأهل الأنظار، ولا تخالسوا كتخالُس الطَّرّار، وقُوموا واسمعوا قول من جاء من حضرة الغفّار، ولا تنصلتوا انصلات الفرار، ولا تُؤْثِروا حَرَّ الظهيرة على بَرْدِ الصبح وسير الحديقة وأكل الثمار. قوموا لاستثمار السعادة، وأْتوني بصدق الإرادة، واعلموا أن الله يعلم ما تأتمرون وما تُظهرون وما تتخافتون، وقد غمرتكم مواهبه في الدنيا فلِم تنسون الآخرة كالمتمرّدين؟

أتخيّرتم الدنيا وما هي إلا دار فانية، وعجوزة زانية، وسترجعون إلى الله ربّ العالمين، فتفارقون شهواتكم كمفارقة القشر للبِّ، وتُحرَقون بنار الحسرة والجَبّ، وتدخلون في غيابة الجُبّ مخذولين. وما كتبتُ إلا لاستبراء زَنْدكم واستشفاف فِرِنْدِكم، لأكشف ما التبسَ على الناس، وأُنجّي الخَلق من الوسواس الخَنّاس. فانـــزِعوا عن الغيّ، وارجِعوا مَنْشَرَكم إلى الطيّ، فإن العاقل يقبل الحق ولا يتأخّر كمن عصى، ولا يحتاج إلى العصا. أتريدون أن تُمسكوا رمق الإنجيل، وقد مزّقه سيفُ الله الجليل؟ فلا تُعرضوا كالضنين البخيل، ولا تعثوا في الأرض مفسدين. أتريدون أن ترفعوا ما هوى، وترقعوا ما مزّق الله وأوهى؟ فلا تحاربوا الله كالمجانين، وغلِّسوا في صباح الله وبادِروا إلى الحق كأهل الصلاح وكالعباد السابقين. وادخُلوا البستان واتركوا النيران، وانظروا الرَّوحَ والريحان، واقتطِفوا واتّقوا

الشوكَ والشيطان. إنكم لا تُمهَلون كما لم تمهَلوا★ آباؤكم، فلِمَ قست قلوبكم، وطاغت أهواؤكم؟ وسينصر الله عبده ودينه، ولن تضرّوه شيئا، ولن تستطيعوا أن تطفئوا نور الله ولو مِتُّمْ جهدًا وسعيا. وهذا آخر كلامنا وخاتمة جولان أقلامنا، وكفاك إن كنت من أهل التقاة ومن الطالبين. والحمد لله أوّلاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وهو نِعم المولى ونعم النصير.

★ *سهو، والصحيح: "يُمهَلوا" . (الناشر)*

فكِّرْ في قولي يا من أنكرني، وحَرِّكْ قدمَك للهِ الواحد، ودَعِ التذكر للمعاهد

أيها العزيز.. أقصّ عليك قصتي إن استمعتَ، وحبّذا أنت لو اتّبعتَ. قد سمعتَ كلام الذين بادروا إلى تكفيري، فأوضح لك الآن معاذيري، وإن شئتَ فكُنْ عذيري أو من اللائمين.

إني امرؤ من المسلمين، أؤمن بالله وكتبه ورسله وخيرِ خَلْقِه خاتَمِ النبيين. لستُ من الذين يجترئون على خلاف المأثور من خير الكائنات، بل من الذين يخافون ربهم ويطهّرون الخطراتِ. بيد أني أُعطيتُ مقاماتِ الرجال، وعلّمني ربي فهداني إلى أحسن المقال، وجعلني مهديَّ الوقت ومن المجددين. فما فهِم المكفّرون كلامي، وكفّروني قبل التدبر في مرامي، فقلتُ واللهِ لستُ بكافر ويعلم ربي إسلامي، فما تركوا قول التكفير، بل أصرّوا على ما فعلوا وظلموا في التقرير والتحرير، وقالوا كافر كذّاب، ونتربّص عليه العذاب. والله يعلم أنهم من الكاذبين المفترين، أو الجاهلين المستعجلين. أأفتريتُ على الله بعدما أفنيتُ عمري في مساعي الدين، حتى جاوزت الخمسين؟ وحماني مُقْلةُ ربي من سُبل الشياطين، وما كانت مُنْيتي في مدّة عمري إلا حماية دينِ خيرِ الأنام وإعلاءِ كلمة الإسلام، وكفى بالله شهيدا وهو خير الشاهدين.

يا ربّ.. يا ربّ الضعفاء والمضطرّين، ألستُ منك؟ فقُلْ وإنك خير القائلين. كثُر اللعنُ والتكفير، ونُسِبْتُ إلى التزوير، وسمعتَ كله ورأيتَ يا قدير، فافتَحْ بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين. ونَجِّني من علماء السوء وأقوالهم، وكِبرهم ودلالهم، ونَجِّني من قوم ظالمين. وأَنْزِلْ نصرًا من السماء، وأَدْرِكْ عبدك عند البلاء، ونَزِّلْ رجسك على الكافرين. وصرتُ كأذلّة مطرودَ القوم ومورد اللوم، فانصرنا كما نصرتَ رسولك ببدرٍ في ذلك اليوم، واحفَظْنا يا خيرَ الحافظين. إنّك الربّ الرحيم، كتبتَ على نفسك الرحمة، فاجعل لنا حظًّا منها وأَرِنا النصرة، وارحمنا وتُبْ علينا وأنت أرحم الراحمين.

ربّ نجّني مما يقصدون، واحفَظْني مما يريدون، وأَدْخِلْني في المنصورين. ربّ فَرِّجْ كربي، وأحسِنْ منقلبي، وأظفِرْني بقُصْوى طلبي، وأَرِني أيام طربي، وكُنْ لي يا ربّي، يا عالِمَ همّي وأَرَبي، وصافِني وعافِني يا إلهَ المستضعَفين. كذّبني كلُّ أخِ الترّهات، وكفّرني كلُّ أسير الجهلات، وما بقِي لي إلا أن أنتجع حضرتَك، وأطلب عونك ونصرتك، يا قاضِيَ الحاجات، لعلّك تردّ نهاري بعد أن صغَتْ شمسي للغروب، وضجِر القلب من الكروب. ووالله ما تَأَوُّهِي لِفَوْتِ أيامِ السرور ولا للتنعم والحبور، بل للإسلام الذي صال عليه الأعداء، وأفَلَتْ شموسُه وطالت الليلة الليلاء، وظهرت المداجاةُ في فِرق الإسلام والتفرقةُ في أمّة خير الأنام. وأمّا الكفّار وأحزاب اللئام، فقد انتظموا في سِلك الالتئام. والحسرة الثانية أن

فينا العلماء والفقهاء والأدباء، ولكنهم فسدوا كلهم وأحاطت عليهم البلاء، إلا ما شاء الله. ربّ فارحَمْ وتقبَّلْ منّا دعاءنا، وإليك الشكوى والتجاء❖. يقولون إنّا نحن أعلام الدين وعمائد الشرع المتين، ولكني ما أرى فيهم أحدًا كذي مِقْوَلٍ جَرِيٍّ، خادمِ دينِ نبيِّنا كمُحبٍّ وليٍّ، بل سقطوا في الشهوات والأهواء والدعاوي والرياء، وما أَجدُ أكثرهم إلا فاسقين. وكنت أخال في رَيْقِ زماني أنهم أو أكثرهم من أعواني، ولكنهم ولّوا دبرهم عند الابتلاء، وكان هذا قدرًا مقدّرًا من حضرة الكبرياء، فالآن أُفرِدتُ كإفراد الذي يبيتُ في البيداء، أو كالذي يقعد في أهل الوبر وسكان الصحراء، فالآن قلّتْ حيلتي وضعفت قوّتي، وظهر هواني على قومي وعشيرتي، ولا حول ولا قوّة إلا بك يا ربّ العالمين. إليك أنبتُ، وعليك توكّلتُ، وبك رضيتُ. ربّ فاستُرْ عَوراتي، وآمِنْ رَوعاتي، ولا تذَرْني فردًا وأنت خير الوارثين. بِيدك البذلُ والعطاء، والعزُّ والعلاء، وإذا أتيتَ فلا يأتي البلاء، وإذا نزلتَ فلا ينـــزل الضرّاء. وأشهد أن لا إله إلا أنت، ولا رافِعَ إلا أنتَ، ولا دافِعَ إلا أنتَ، عليك توكّلتُ، وبحضرتك سقطتُ، وأنت كهف المتوكلين. أَحْسِنْ إليّ يا مُحسني، ولا أعلم غيرك من المحسنين. وصلِّ وسلِّمْ على رسولك ونبيّك محمد وعَظِّمْ شأنه، وأَرِ الخَلق برهانه، إنّا جئناك لدينه باكين. تعلم ما في قلوبنا، وتنظر ما في صدورنا، وإنّا معك طوعًا، وما ندّخر عنك

❖ *سهو، والصحيح: الالتجاء. (الناشر)*

صدقًا وروعا، وما كنا أن نهتدي لولا أن هديتَنا، وما وجدنا إلا ما أعطيتَنا، فلا حَمْدَ إلا لك، ويرجع إليك كل حمد الحامدين. إنّك ربّ رحيم، وملِكٌ كريم، فمن جاءك ووالاك وأحبّك وصافاك، فلا تجعله من الخائبين. فبشرى لعباد أنت ربهم، وقومٍ أنت مولاهم، سبقتْ رحمتُك غضبَك، ولا تُضيّع عبادك المخلصين، فالحمد لك أوّلاً وآخرًا وفي كل حين.

الحمد لله الذي أجزلَ لنا طَولَه، وأنجز وعده وأتمَّ قولَه، وأرى بعض الآيات، وأفحمَ المنكرين والمنكرات، فأردتُ أن أُظهر سناه، لمن أَمَّ مسالك هُداه. ولم أَخْلُ تنتابني نصر الله الكريم، وعون الله الرحيم، إلى أن ظهرت آية **الخسوف والكسوف**، من الله الرحمن الرؤوف، فأُلقِيَ في روعي أن أُؤلّف رسالة في هذا الباب، هدايةً للطلاّب، فألّفتُها لله الأحبّ الأحقّ، وجعلتُها حصّة من حصّتَي "**نور الحق**"، ومعها إنعام خمسة آلاف، للذين يَلْغَون كغُداف، والذين يكذّبون القرآن، ويتّبعون الشيطان، ويتكلّمون في **بلاغة القرآن**، ولا يحسبونه من الله الرحمن. وأردتُ بتأليف هذه الرسالة وحصته **الأولى**، أن أُظهرَ جهالة النوكَى وضلالة تلك الحمقى، وأكشف خديعتهم على أولي النُّهى وأُرِي الحق لمن يرى. وبعدما أزمعت تأليف هذا الكتاب أُلهمتُ من رب الأرباب، أن الكافرين والمكفّرين لا يقدرون على أن يؤلّفوا كتابا مثل هذا في نثرها ونظمها مع التزام معارفها وحِكَمِها؛ فمن أراد أن يُكذّب إلهامي فليأت بمثل كلامي، فإن المهدي يُهدى إلى أمور لا يُهدَى إليها غيره، ولا يدركه مُعاندُه ولو كان على الهوا سيره، وهذا الكتاب الذي هو ألطف وأدق، **سُمّي الحصة الثانية من**

نور الحقّ

هذه رسالة كالعضب الجرّاز، لإفحام كل من نهض للبِراز. وأوّلُ مخاطبينا بالأطماع في الإنعام، المتنصّرون الذين هم كالأنعام، و**عماد**هم الذي يُري عنقه كالنَعام، وإخوانه الذين يقولون إنّا نحن

المولويون الماهرون في العربية والعلوم الأدبية، ثم البطالوي الشيخ **محمد حسين** مُضِلُّ العوام بكلمات كالسراب أو كالجَهام، ثم بعد هؤلاء كلُّ مخالف من أهل الأهواء، وكل من قال إني أُرضعتُ ثدي الأدب، وحوَتْ معرفتي مِن علوم النخب، مع خلافه في الملّة والمشرب. فالآن ننظرهم، هل يقومون في الميدان كقيامهم على منبر الافتراء والعدوان؟ أو يولّون الدبر ويشهدون على أنفسهم أنهم كانوا من الجاهلين؟◈

◈ *نورد فيما يلي – وبخط مائل– ترجمة للعبارة الأردية الواردة على صفحة الغلاف للحصة الثانية من هذا الكتاب. (الناشر)*

تنبيه: *لقد تم تأليف هذا الكتاب مع جزئه الأول كشفًا لمبلغ علم القسيس عماد الدين، والشيخ محمد حسين البطالوي صاحب مجلة "إشاعة السنة" وأنصارهما وأعوانهما، ومعه إعلان عن جائزة قدرها خمسة آلاف روبية. فلو أرادوا منا إيداع هذا المبلغ لدى من يشاءون مسبقا فلهم ذلك. وإذا كانوا جاهزين للكتابة إزائي وأرادوا إيداع المبلغ فإن مدة مثل هذا الطلب تكون إلى نهاية شهر حزيران عام ١٨٩٤م. وبعد نهاية هذه المدة يُعتبر سكوتهم هروبا، ولن يقبل بعدها أي طلب.*

اتق الله يا عدوَّ حُسينٍ، اتق الله يا غريقَ المَينِ. قلتَ أنا عالم، فأَرِ عِلْمَك، إن دعوى العلوم ليس بهين.

الحصّة الثانية

من

نور الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

آية الخسوف والكسوف مِنْ آيات اللّهِ الرَّحِيم الرَّؤوف

الحمدُ لله المحسن المنّان جالِي الأحزانِ، والصلاة والسلام على رسوله إمام الإنس والجانّ، طيّب الجَنان، القائد إلى الجِنان، والسلام على أصحابه الذين سعوا إلى عيون الإيمان كالظمآن، ونوّروا في وقت ترويق الليالي بِنَيِّرَي إكمالِ العمل وتكميل العرفان، وآلِه الذين هم لشجرة النبوّة كالأغصان ولشامّة النبي كالريحان.

أمّا بَعْدُ.. فاعلموا يا معشر الإخوان وصفوة الخلاّن، أنّ أيّام الله قد قرُبتْ، وكلمات الله تجلّتْ وبدَتْ، وظهرت الآيتان المتظاهرتان، وانخسف النيِّرانِ في رمضان، وجاء الماء لإطفاء النيران، فطوبى لكم يا معشر المسلمين، وبُشرى لكم يا طوائف المؤمنين.

القصيدة في الخسوف والكسوف واقتضبتها لقتل السِّرْحان وتنجية الخَروف

غَســا النَّــيِّرانِ هدايةً لِلْكَودَنِ ... يقولانِ لا تترُكْ هُــدًى وتَدَيَّنِ

وإنهمــا كالشاهدينِ تظاهَــرَا ... هما العدل قد قاما فهل من مؤمنِ

وقد فرّ قومي نخــوةً وتعصّــبًا ... وأين المفــرّ من الدليــل البيّــنِ

وتركوا حديث المصطفى خيرَ الورى ... فسادًا وكبرًا مع دَعاوِي التسنّنِ

وما بقِي لِلنُّوكَى مفــرٌّ بَعْــده ... وإنّي أراهم كالأسـير المقــرَّنِ

وقد نبذوا التقوى وراء ظهورهم ... وأَلْهَتْــهُمُ الدنيا عن المولى الغني

وواللهِ إن اليــوم يوم مبــارك ... يذكِّــرنا أيامَ نصــرِ المهــيمنِ

وهذا عطاء مِن قديرٍ مُكــوِّنَ ... وفضلٌ من الله النصير المهــوِّنَ

ففاضت دموع العين مني تأثُّرًا ... إذا ما رأيتُ حنــانَ ربٍّ محسنِ

قد انكسفت شمس الضحى لضيائنا ... ليظهَرَ ضوءُ ذُكائنا عند مُمــعِنِ

ترى أنوار الــدين في ظلمــاتها ... ولُــمّاتها كأنها أرضُ مخــزنِ

وليس كُسوفًا ما ترى مثلَ عَندَمٍ ... بل احمرَّ وجهُ الشمس غضبًا على الدني

وحُمْرتُها غيــظٌ ترى في خدّها ... على جهلات القوم فانظُرْ وأَمْعِنِ

ظلامٌ مُنــيرٌ يملأ العــينَ قــرّةً ... ويسقي عطاشَ الحق كأس التيقنِ

ولو قبلَ رؤيته أنابَ مخالفي ... لَهُديَ إلى الأسرار قبل التَّفَكُّنِ

ولكنه عادى وقفَّل قلــبه ... فقُلْنا اهْلَكَنْ في جهلك المتمكّنِ

رأيت ذوي الآراء لا ينكرونني ... وذي لَوثةٍ يعوي لوجعِ التسكّنِ

فإن كنتَ تبغي الله فاطلُبْ رضاءه وإن كنت تبغي النحرَ في الحجّ فَامْتَنِ
يقِي خاطبُ الدنيا الدنيّة مالَها ومن أزمعَ العــقبى فللّهِ يقتــني
وقد ظهر الحق الصريح ونوره فلا تتبعوا جهلاً عماياتِ ضَيْزَني

أيضًا في الخسوف والكسوف
لدعوة الضالين والأمر بالمعروف

ظهَر الخسوف وفيه نور والهدى   خــيرٌ لنا ولخــيرنا أمــرٌ بدا

هبّتْ رياح النصر من محبوبنا   مشمولةٌ قد برّدت حرَّ العِدا

في ليلة قُدَّتْ ثيابُ غَمامها   برقُ الرواعد كان فيها مُرْجِدا

قمرٌ مُعِينُ الصــادقين مباركٌ   حَكمٌ مُهِينُ الكاذبين تهــدُّدًا

ردِف الكسوفُ خسوفَه من ربنا   ليُهينَ فتّانًا شريرا مفســدا

شمس الضحى برزتْ برعبِ مُبارزٍ   أفتلك أَمْ سيفٌ مبيد جُــرِّدًا

سقطتْ على رأس المخالف صخرةً   كالسَّمْهَريّة شَجَّه أو كالمُدى

إنا صفحنا عن تفاحُــشِ قوله   قلنا جَهولٌ قد هَذَى متجــلّدا

لكنْ مُؤيِّدُنا الذي هو ناظــرٌ   ما شاء أن يؤذي العبيطُ مُؤيَّدا

نصرٌ من الله القــريب بفضله   إن المهيمن لا يؤخِّــر موعدا

قُضِي النــزاعُ وشاهدان تظاهرًا   ليبــكِّت المــولى أَلَدًّا أسمدًا

قمــرٌ كمــثل حمــامةٍ بدَلاله   شمس بتبشيرٍ تُشابهُ هُــدْهُــدا

قطْعــاتُها تهدي القلوبَ كأنها   زُبَرٌ تجــدّ نقوشَ شمسٍ مقتدَى

أَو مثل واشمةٍ أَسَفَّ نؤُورُها   خدًّا كمخدود ووجهًا أغيدا

يا أيها المتــجرمون بعجــلةٍ   حسدًا تَجَرَّمَ غيمُكم وتقــدَّدا

كنا نرى أسفًا تأجُّــلَ بَهْمِكم   فاليوم صَفُّ المفــسدين تبدَّدا

وقد استباح الغُولُ جوهرَ عقله   حتى انثــنى مِن أمره متــردّدا

إن السعيد يجيء ملتقِطَ النُّهى ولقيطةُ الشيطانِ يزري ملحدا
إنا سلخنا شهر رمضان الذي فيه الخسوف مع الكسوف تفرّدَا
القمــرُ ساريةٌ ومثــلُ عشــيّةٍ والشمس غادٍ مُدجِنٌ قَطْرَ الندى
هذا من اللهِ المهــيمن آيــةٌ ليُبيد مَن تركَ الهدى متعــمّدا
فاسعَوا زُرافاتٍ ووُحــدانًا له متنــدمين وبادرين إلى الهدى
ظهرت خطاياكم وحصحصَ صدقُنا فابكوا كثكلى في الزوايا سُجّدا
صارت ديار الهند أرضَ ظهورها ليسكّت الرحمن غُولاً مُفَــندا
فأَذِبَّةُ الأوهام قُصَّ جناحُــها رحمًا على قوم أطاعوا **أحمــدا**
فتَجافَ عن أيامِ **فَيجٍ أعــوجٍ** حِججٌ خلَوْنَ تغافُلا وتمرُّدا
كانت شريعتنا كزرعٍ مُعجِبٍ فيها تعرّتْ مثلَ أزعَــرَ أربَدا
العــين باكية على أطــلالها يا ربِّ فاعمُرْ خَرْبَها متوحّدا

وأمّا تفصيل الكلام في هذا المقام، فاعلموا يا أهل الإسلام وأتباع خير الأنام، أن الآية التي كنتم تُوعَدون في كتاب الله العلاّم، وتُبشَّرون مِن سيد الرسل نورِ الله مُزيلِ الظلام.. أعني **خسوف النَّـــيِّرَيْنِ** في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، قد ظهر في بلادنا بفضل الله المنّان، وقد انخسف القمر والشمس وظهرت الآيتان، فاشكروا الله وخرّوا له ساجدين.

وإنّكم قد عرفتم أن الله تعالى قد أخبر عن هذا النبأ العظيم في كتابه الكريم، وقال للتعليم والتفهيم: ﴿**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ**﴾*، فتَفكَّروا في هذه الآية بقلب أسلم وأطهر، فإنه من آثار القيامة لا من أخبار القيامة كما هو أجلى وأظهر عند العاقلين. فإن القيامة عبارة عن فساد نظام هذا العالم الأصغر وخلقِ العالم الأكبر، فكيف يقع في حالة الفَكِّ الخسوفُ الذي تعرفون،باليقين لا بالشك، عِلَلَه وأسبابه، وتفهمون مواقعه وأبوابه؟ وكيف يظهر أمرٌ لازم للنظام بعد فَكِّ النظام والفساد التام؟ فإنكم تعلمون أن الخسوف والكسوف ينشآن من أشكال نظاميةٍ وأوضاعٍ مقرّرة منتظمة، على أوقات معيّنة وأيّام معروفة مبيّنة، فكيف يُعزَى وقوعها إلى ساعةٍ لا أنسابَ فيها ولا أسباب، ولا نظامَ ولا إحكام؟ فانظروا إن كنتم ناظرين.

* *القيامة: ٨-١١*

ثم من لوازم الكسوف والخسوف أن يرجع القمر والشمس إلى وضعهما المعروف، ويعودا إلى سيرهما الأولى، وفي هويّتهما داخلٌ هذا المعنى،وأمّا تكوير الشمس والقمر في يوم القيامة فهي حقيقة أخرى، ولا يُرَدُّ فيهما نورُهما إلى حالة أولى، بل لا يكون وقوعه إلا بعد فكّ النظام والفساد التام وهدم هذا المقام، وما سمّاه الله خسوفا وكسوفا بل سماه تكويرا أو كشط الأجرام، كما أنتم تقرأون في كلام الله العلاّم. فثبت من هذا الكلام عند الخواص والعوام، أن ما ذُكر من الآية في هذه الآية فهو يتعلّق بالدنيا لا بالآخرة، وعَزْوُه إلى القيامة بناءً على الرواية خطأٌ في الدراية، بل هو خبر من أخبار آخر الزمان وقربِ الساعة واقتراب الأوان كما لا يخفى على المتدبّرين.

ويؤيده ما جاء في **الدارقطني** عن محمد الباقر بن زين العابدين قال: "إن **لمهدينا** آيتين لم تكونا منذ خَلْق السماوات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه". وأخرج مثله **البيهقيُّ** وغيره من المحدّثين. وقال صاحب الرسالة الحشرية "شاه رفيع الدين الدهلوي" الذي هو جليل الشأن من علماء الملّة إن جماعة من أهل مَكّة يعرفون المهدي بالتفرس التام، وهو يطوف بين الركن والمقام، فيبايعونه وهو كارهٌ من بيعة الأنام.

وعلامة هذه القصة عند محدّثي الملّة أن القمر والشمس ينكسفان في رمضان خلا قبل تلك الواقعة.

وأمّا نحن فما اطلعنا على مسانيد تلك الآثار، وطرق توثيق هذه الأخبار، إلا على القدر المشترك الذي عرفناه بتواتر الرواية وحسن الدراية ومشاهدة الواقعة وقيام البرهان، وقد وافقَه نصوصُ القرآن ولو بإجمال البيان. ومع ذلك نرى هذه الآثار وقد ظهر في أهل مكة غَلْيٌ يُصدِّق هذه الأخبار. وقرأتُ في مكتوب أنهم ينتظرون الخسوف والكسوف بالانتظار الشديد، ويرقُبونهما رِقْبَةَ هلالِ العيد. وما بقي فيها بيت إلا وأهله ينامون ويستيقظون في هذه الأذكار، فهذا تحريك من الله الذي أراد إشاعة هذه الأنوار. وإني أرى أن أهل مكة يدخلون أفواجًا في حِزب الله القادر المختار، وهذا من ربّ السماء وعجيب في أعين أهل الأرضين.

وذكَر بعض المتأخّرين أن القمر ينخسف في الثالث عشر من ليلة رمضان، والشمس في السابع والعشرين، ولا منافاة بينه وبين ما روى الدارقطني إلا قليلا عند المتفكرين. فإن عبارة الدارقطني تدل بدلالة صريحة وقرينة واضحة صحيحة، على أن خسوف القمر لا يكونُ في أول ليلة رمضان أصلاً، ولا سبيل إليه جزمًا وقطعًا، فإن عبارته مقيّدة بلفظ القمر، ولا يُطلق اسم القمر على هذا النَّيِّر إلا بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، وسُمّي قمرًا في تلك الأيام لبياضه التام، وقبل الثلاث هلال وليس فيه مقال، وهذا أمر◆ اتفق عليه

◆ قال صاحب تاج العروس: يُسمى القمر لليلتين مِن أوّل الشهر هلالا. وفي الصحاح: القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر. وقال بعضهم الهلالَ إلى سبع. وقال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثر أن يُسمّى هلالا ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبين ضوؤه. منه.

العرب كلُّهم وجُلُّهم إلى هذا الزمان، وما خالفه أحد من أهل اللسان، ولا ينكره إلا مَن فُقدت بصيرته وماتت معرفته، ولا يخرج كلمةٌ خلاف ذلك مِن فم إلا مِن فمِ غَمْرٍ جاهل، أو ذي غِمْر متجاهل، ولا تسمعها من أفواه العاقلين. فإن كنت في شك فارجع إلى القاموس وتاج العروس والصحاح وكتاب ضخيم المسمى لسان العرب، وجميع كتب اللغة والأدب، وأشعار الشعراء وقصائد النبغاء، ولك منّا ألف من الورق المروّج إنعامًا إن تُثبت خلاف ذلك كلامًا. فلا تُحرِّفْ كلام سيد الأنبياء وإمام البلغاء والفصحاء، واتق الله يا مسكين، ولا تجترئ في شأن أفصَحِ العجم والعرب ومقبول الشرق والغرب. أيفتي قلبُك ويرضى سِرْبُك بأن الأعرف الأفصح الذي أُعْطِيَ له الجوامع والكلام الجامع، وجُعلتْ كلماته كلها مملوّة من غُرَرِ الفصاحة ودُرَرِ البلاغة والنوادر العربية، واللطائف الأدبية، واللبوب اللغوية، والحقائق الحِكْمية، هو يُبتلَى بهذا العثار، ويترك جزل اللفظ ويختار رقيقًا سَقْطًا غلطًا غير المختار، بل يخالف مُسلَّماتِ القوم ومقبولاتِ بُلغاء الديار، ويصير ضحكةَ الضاحكين؟ ووالله ما يصدر هذا الخطأ المبين والعثار المهين، مِن فطنةٍ خامدة ورويّة ناضبة، فكيف يصدر مِن فارسِ ذلك الميدان، بل سيّد الفرسان؟ ما لكم لا تنظرون عزةَ الله ورسوله يا معشر المجترئين؟ أبُخْلُكم أحبُّ إليكم وأعزُّ لديكم مِن خاتم النبيين؟ ألا تعرفون أن هذا اللفظ في هذا المحل منكَرٌ مجهول لا يُعرَف استعماله في كلمات

أهل اللسان، وما أورده قطّ بليغ ولا غير بليغ في موارد البيان، وما أخذه عند اضطرارٍ غبيٌّ حاطبُ ليل، فكيف سلطانُ الفصاحة وسيّدُ خَيلٍ؟ وقد سُبِرَ بذلك غورُ عقلكم ومقدار نقلكم ومبلغ علمكم وفضلكم وحقيقة أدبكم وحديقة حَدَبِكم، فإنكم عزَوتم إلى سيد الأنبياء ما لا تُعزى إلى جهول من الجهلاء، **تكاد السماوات تنشقّ من هذا الاجتراء**، فاتقوا الله ذا الكبرياء، ولبُّوا دعوةَ الحق تلبيةَ أهل الاهتداء، قد وقع واقع فلا تميلوا إلى المِراء. واتبِعوا قول النبي الذي إشارته حُكْمٌ، وطاعته غُنمٌ، ولا تكونوا من الأشقياء، ولا يفرُطْ وهمُكم إلى الألفاظ مِن غير دواعٍ كاشفةِ الخفاء، بل فَتِّشوا الحقيقة واعرفوا الطريقة بحسن النيّات، ولا تلاعبوا كالصبيان بالأمور الدينيات. وأيّ حرج عليكم أن تقبلوا ما بان كالبديهات وتتركوا طرق الأكاذيب والتمويهات؟ وإنني ناصح أمين، ويراني ربي عالم المخفيات، عارف الصادقين والكاذبين.

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أُظْهِرَ الْهُدَى وَأُلْحَقَ بِالدَّجّالِ ظُلْمًا مِنَ الْعِدا

فالتأويل الصحيح والمعنى الحق الصريح أن المراد من خسوف أوّلِ ليلةِ رمضان أن ينخسف القمر في ليلة أولى من ليال ثلاثٍ يكمُل نورَ القمر فيها وتُعرَف أيّام البِيض، ولا حاجة إلى البيان. ومع ذلك إشارةٌ إلى أن القمر إذا خسف في الليلة القمراء الأولى فينخسف في

أول وقتها لا بعد مرور زمان*، كما هو ظاهر عند زكيّ ذي عرفان. وكذلك خُسِفَ القمر ورآه كثير من أهل هذه البلدان. وحسبُك ما رأيتَ، بل برؤيته صلّيتَ، وتبيّنَ الحق المنير، وتقطّعت المعاذير، فلا تكن من المرتابين.

أَيَا مَنْ يدَّعِي عَقْلاً وفَهْمًا إلَى مَا تُؤْثِرَنْ وَعْثًا ووَهْمًا
أَتَحْسَبُ نَارَ غَضْبِ اللهِ رِزْقًا أَتَجْعَلُ سَهْمَ قَهْرِ اللهِ سَهْمًا

لا يُقال إن الخسوف في أوّلِ وقتِ ليلةِ رمضان ما ظهر إلا في البنجاب وما يليه من البلدان، وما رُئِيَ أثرُه في غير هذه الأماكن فما تمّ البرهان. لأنّا نقول إن المقصد أيضا محدود في هذه البلدان، فإنها هي المظهر للمسيح الموعود والمهدي المسعود، وأمّا الديار الأخرى فلا مهدي فيها ولا عيسى، ولأجل ذلك ما ظهر الخسوف والكسوف في ديار العرب وبلاد الشام، ليزيل الله ظنون العوام، ويُبطل خيالات المبطلين.

والسرّ في ذلك أن مُلْكَنا البنجاب كان في علم الله مَولدًا **للمسيح الموعود والمهدي المسعود**، فأراد الله أن يهدي الخَلق إليه بتخصيص الإمارات وتعيين العلامات، ليعرفوا المدّعي بالآيات والداعي

*جاء في بعض الروايات من بعض قليل الدرايات أن الشمس تنكسف في أول ليلة رمضان، ولا يخفى أن هذا أمر بديهي البطلان. وأعجبني شأن تلك الرواة! ألم يكن لهم نظر إلى البديهات؟ ألم يعلموه أن كسوف الشمس لا يكون في الليل بل في النهار؟ وإذا طلعت الشمس فأين الليل يا ذوي الأبصار؟ منه.

بالكرامات. وأمّا إذا فرضنا ظهورَ آيات المهدي في مُلكنا هذا وظهورَ المهدي في بلاد أُخرى، فهذا ليس من المعقول، وليس له أثر في المنقول، ومع ذلك لا يوجد فيها مَن ادّعى أنّه مهدي الزمان ومُرسَلُ الرحمن، فتعيّنَ بدليل الخُلْف صدقُنا عند ذوي العرفان.

فيا مُتّبِعَ العثرات والمعائب.. أَمْعِنْ في هذا بالفكر الصائب، لعل الله يخلّصك من شبكة الشيطان، ويسقيك كأس اليقين. ولا تركَنْ إلا أخلاّءِ دنياك، فإنهم يعادونك إذ الله عاداك، فتبقى مخذولا مردودًا وتصير من الملومين.

وكَمْ مِن نَدامَى أدارُوا الكُؤوسَا　　وفي آخرِ الأَمْرِ شَجُّوا الرُّؤوسَا
إلى ما تُداجِي شريرًا عَمـوسَا　　فَدَعْ وَاذْكُرَنْ قَمْطرِيرًا عَبوسَا
ولا تَخْشَ قومًا يُبيدون جِسْمًا　　وَخَفْ قَهْرَ ربٍّ يُبيدُ النـفوسَا

فثبت من هذا التحقيق اللطيف أن لفظ النصف الذي جاء في حديث الإمام التقي العفيف، ليس المراد منه كسوف الشمس في نصف ذلك الشهر الشريف كما فهِمه بعضٌ من ذوي الرأي الضعيف وأصرّوا عليه كالغبيّ السخيف والمعاند العِتْرِيف، وما فكّروا كالعاقلين المنصِفين، بل المراد من قوله: "وتنكسف الشمس في النصف منه" أن يظهر كسوفُ الشمس منصِّفًا أيّامَ الانكساف، ولا يُجاوز نصفَ النهار من يوم ثان فإنه هو حدّ الإنصاف. فكما قدّر الله انخساف القمر في أوّل ليلة من أيام الخسوف، كذلك قدّر انكسافَ الشمس

في نصف من أيام الكسوف، ووقع كما قدّر كما أخبر خير المخبرين. ﴿فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾⊙.
وهذا نبأ عظيم من أنباء الغيب وأرفعُ من مبلغ العقول، فلا شك أنه حديث من خير المرسلين، وله طرق أخرى تشهد على صحته*، وصدَّقه القرآن، فلا يُنكره إلا الملحد الفتّان، ولا يكذّبه إلا من كان من الظالمين.

وقال المعاندون والعلماء المتعصّبون إن هذا الحديث ليس بصحيح، بل هو قولُ كذّاب وقيح. وما لهم بذلك من علم، كَبُرتْ كلمةً تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا، وكذّبوا ما أظهر الله صِدقه وجلّى، ما كان حديثًا يُفترى، ولكن عُمِّيتْ عليهم وطُبِعَ على قلوبهم طبعًا. يا حسرة عليهم! لِم ينكرون الحق معاندين؟ ما لهم لا يتّقون يوم الدّين؟ ما لهم لا يفكّرون في أنفسهم أنه حديث قد أنار صدقه، ولا يصدّق اللهُ قولَ الكذّابين؟ وما كان الله لِيُطلِع على غيبه كاذبًا دجّالا عدوَّ الصادقين، وقد علمتَ ما جاء في كتاب

⊙ الجن:٢٧-٢٨

* **الحاشية**: قد عرفتَ أن خبر اجتماع الخسوف والكسوف موجود في القرآن الكريم، وجعَله الله من إمارات النبأ العظيم. ويوجد هذا الحديث في كتب أهل التشيع كما يوجد في كتب أهل السنّة، ووجدنا كل حزب عليه متفقين. وكذلك جاء في صحف إشعياء النبي في الإصحاح الثالث عشر، وفي كتاب يوئيل النبي في الإصحاح الثاني، وفي إنجيل متّى في الإصحاح الرابع والعشرين، ولا حاجة إلى التفصيل، فإن الكتب موجودة فاقرأْها كالمتدبرين. منه

مبين. وكيف يكذّبونه وإن ظهور صدقه يشهد بشهادة واضحة أنه كلامُ رسولٍ صدوقٍ أمين. وكان الإمام محمدٌ الباقر من أئمة المهتدين وفلذةَ الإمامٍ الكامل زين العابدين. وفي سلسلة الحديث رجال من الصادقين الذين كانوا يعرفون الكاذبين وكذبهم وما كانوا مستعجلين. وما كان لهم أن يكتبوا حديثا في صحاحهم وهم يعلمون أنه لا أصلَ له، بل في رُواته رجل من الكذّابين الدجّالين. أخَلَطوا الخبيث بالطيّب بعدما كانوا على خُبثه مستيقنين؟ وإن كان هذا هو الحق فما بال الذين خلطوا قذرًا بالماء المَعين متعمّدين وهم كانوا أوّل عالمٍ بأحوال الرُواة المفترين.. أهُمْ صلحاء عندكم؟ كلا.. بل هم أوّل الفاسقين. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كان مُعينَ روايات الكاذبين؟ أفأنت تشهد أن الدارقطني وجميع روايات◈ هذا الحديث وناقلوه في كتبهم وخالِطوه في الأحاديث من أوّل الزمان إلى هذا الأوان كانوا من المفسدين الفاسقين وما كانوا من الصالحين؟ وأنت تجد كُتب القوم مملوّةً من الحديث الذي سمّيتَه موضوعًا في مقالك مع زيادة علمهم منك ومن أمثالك، ومع زيادة اطّلاعهم على حقيقة اشتبهتْ على خيالك، فلا تتّبِعْ جذباتِ نفسك وفكِّرْ كالمتّقين.◉

◈ *سهو، والصحيح: رُواة. (الناشر)*

◉ اعلم أن للمخالفين اعتراضات وشبهاتٍ في هذا المقام، وكلها دالّة على قلّة التدبر وشدّة الخصام كاللئام، وأعظمُ الاعتراضاتِ الجرحُ والقدح في الرُواة.

وأما الجواب فاعلم أنّا لا نُسلّم جرح الجارحين وقدح القادحين، وهو غير ثابت عند المحققين. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. فالآية تدل على أن شهادة الفاسقين لا يجوز أن تُقبَل إلا بعد تحقيق يجعل المحقِّقَ كالمطمئنين. فإذا تقرَّرَ هذا فنقول إن من الأحكام القرآنية والتأكيدات الفرقانية، أن نحسن الظن في مؤمن ونقول إن الدارقطني ما أخَذ هذا الحديث من هذه الرُواة إلا بعد تحقيق يكفي للإثبات، وإلا كيف يمكن أن يروي الدارقطني مِن فاسق كذّاب عمدًا ويجعل نفسه من الفاسقين؟ فلا شك أنه بنى أَمْرَه على الخبر والسبر، فتفكَّرْ بالإنصاف والصبر، ولا تكن من الزائغين. وكيف يجترئ قلب مؤمن أن يُدخِل مِثْلَه في أهل الفسق والعدوان، ويجترئ على سبِّ أهل الصلاح والإيمان ويحسبه من الخائنين المفسدين؟ فالأمر الحق الذي لا بد من قبوله، والنور الذي يرحَل الشكُّ مِن حلوله، أن الدارقطني ما وجد في الرواة شيئا يُعزى إلى الهنات، ورأى شهرة الحديث بالعينَين، فناب العيانُ مَنابَ العَدْلَين.

وأما إذا فرضنا أن الدارقطني رأى رُواة هذا الحديث من الفاسقين، ثم كتَبه من غير تحقيق كالمفترين الملحدين، فهذا أمر يجعله أوّل المتلطّخين بالسيئات، ويُثبت أنه كان خارجا من دائرة الصلاح والتقاة، بل كان شرًّا مكانًا من الرواة، فإنه أخذ روايةَ رجل كان زائغا كذّابا وراوِيَ الموضوعات، وكان يضَع للروافض وكان دجّالا وأكذبَ زمانِه وناسِجَ المفتريات، وكان من المشهورين المعروفين المطعونين كما كتب صاحب "صيانة الأناس" من الغزنويين. فما ظنّك، أتحسب الدارقطني رجلا فاسقا وخارجا من الديانة والدين؟

ثم اعلم أن القرآن الأمين لا يمنعنا أن نقبل شهادة الفاسقين، بل يقول ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.. يعني اقبَلوا شهاداهم بعد التحقيق وتكميل مراتب التدقيق، ولا تقبَلوها مستعجلين. فمِن حسن الظن أن تُقرّ بأن الدارقطني ما أخذ هذا الحديث من الرواة إلا بعدما حقق الأمر ورآهم كالثقات، وصار من المطمئنين. وتجد في البخاري بعض الرواة مطعونين بزيغ المذهب وأنواع السيئات.

وللحديث طرق أخرى من الثقات، فلتنظُرْ ما أخرجه نعيم بن حمّاد وأبو الحسن الخيري في "الجزئيات" روايةً عن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، فتفكَّرْ كذوي الدرايات. وأخرجَ مثلَه الحافظُ أبو بكر بن أحمد بن الحسن، وكذلك عن كثير بن مرّة الحضرمي والبيهقي. والقرآن مهيمن على كلها بالبينات المحكمات، فمن ينكره إلا من قسا قلبه وهوى في هوّة التعصبات، وما تلمَّظَ طَعْمَ التحقيقات، وما غاص في لُجّة الإدراكات، وما استخرج خبايا النكات، وما يَمَّمَ الحقَّ كالمسترشدين.

وشهرة الحديث مع كثرة طرقه تدل على أنه قول رسول الله ﷺ، وكذلك فهِم كلٌّ من علّم وتعلّم. وإلا فأيُّ حاجة ألجأتْ إلى ارتضاع كأس الأغيار؟ ألم تكنْ بكافٍ أحاديثُ خير الرسل لهداية الأبرار؟ فلِمَ جمعوا أقوالا ما كانت من خاتم النبيين، وما أُخِذت من رسول أمين؟ وهل هذا إلا دجلٌ وتلبيس وفعل الشياطين؟ ولا يفعل هكذا إلا الذي سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك أهلها كالدجّالين. وأمّا الذي أُعطيَ حظ[1] من الإيمان، ورُزِقَ اتبّاعَ السُنّة بتوفيق الرحمن، فيأنَف ويستحي من الله ولا يضَع غيرَ الوحي في موضعِ وحي الله، ولا قولَ الإنسان في مقام قول الرحمن كالمجترئين. وتجد كثيرًا من المرسلات في آثار أفضل الرسل خير الكائنات، وما قال الراوون إنهم القائلون وهي أقوالهم أو أقوال أمثالهم من أهل الصلاح والتقاة، بل ذكروها بيقين تام وتعظيم وإكرام لا ينبغي لقول أحد من الصلحاء إلا لقول خاتم الأنبياء سيد المرسلين. فهذا دليل أكبر وبرهان أعظم على أنهم ما ذكروا حديثًا من قسم المرسَل إلا وكان مُرادهم أنه من خير الرسل، وأنه حديث رسول الله وخاتم النبيين. وإن سبب الإرسال شهرةُ الخبر إلى حد الكمال، وكلُّ ما هو مشهور ومُتعارف ومذكور في الرجال فلا يحتاج إلى الرفع والاتصال، وإنما المحتاج إلى الرفع آثارٌ من الآحاد، ليزول ظَنَّةُ التحريف والإلحاد وخطأ الراوين. وكأيّنْ من الأخبار المشهورة المسلَّمة لا نشكّ فيها ولا نحسبها من الفرْية بل نحسبها يقينًا من السُنّة المطهّرة والشعار الإسلامية، ولا نُثبت أنها من الأحاديث المرفوعة المتصلة، وهذا سرّ عظيم من الحِكم الدينية، فخُذْها وكن من الشاكرين.

ثم اعلم أن الأحاديث التي مشتملة على الأمور الغيبية والأخبار المستقبلة ليس معيارها الكامل قانونٌ رتَّبها المحدِّثون وكمّلها الراوون، بل المعيار الحقيقي الكامل أن تُطابِقَ تلك

الأخبار واقعاتٍ مقصودةً وأمورًا موعودة معهودة، ولا يبقى فرقٌ عند المتدبّرين. ومَن ألغى هذا المعيارً و لم يلتفت إلى الظهورات، فهو أجهَلُ الناس بطرق التحقيقات، ومبلغُ علمه أن يقلّد آثارًا ظنّية ويتّبع أخبارًا ضعيفة شكّيّة، ولا يُهدَى إلى طرق المهتدين.

وقال الذين ظلموا إن الخبر الضعيف ضعيف عند أهل السُنّة ولو ظهَر صدقه بالمشاهدة كالأنباء المستقبلة إذا بان صدقها بالمعاينة وثبت أنّها من أحسن الخالقين. وهم يقرأون حديث خير البريّة أن الخبر ليس كالمعاينة، ويعلمون أن رسول الله ﷺ أيّد المنقولات بالمعاينات، وقال تنبيهًا للمُعرض المائن: ليس الخبر كالمُعايَن، فرغّب السامعين في أن يُقدِّموا شهادة المعايِنين.

ومن أوهامهم الواهية أن كسوف الشمس قبل أيامها المقررة وأوقاتها المقدّرة ليس ببعيد من الله خالق السماوات والأرضين. وقالوا إن إبراهيم ابنَ رسول الله ﷺ مات يوم العاشر من الشهر، وعند ذلك كُسفت الشمس بإذن الله الرحمن، فكيف لا تنكسف في آخر الزمان بإذن رب العالمين؟

ولا يعلمون أن هذا القول ليس بصحيح، بل هو من نوع كذب صريح، ومن كلمات المفترين. وذكَر ابن تيميّة أن هذا القول عن الواقدي فهو باطل بجميع ما فيه، فإن الواقدي ليس بحجة بالإجماع إذا أسند ما ينقله، فكيف إذا كان مقطوعا؟

وقول القائل إن الشمس كُسفت يوم العاشر بمنـــزلة قوله طلَع الهلال في عشرين.

ثم مع ذلك قد شهد الاستقراء الصحيح المحكم والنظر الصحيح الأقوَم، أن سُنّة الله قد جرت أن القمر لا ينخسف إلا في أيام كمال النور، والشمس لا تنكسف إلا في أواخر أيام الشهور، ولا تبديل لسُنّة رب العالمين. وكذلك ظهر نبأ الخسوف والكسوف على هذه السُنّة القديمة والعادة المستمرّة الظاهرة. فأيّ ضرورة اشتدّت لكي نحرّف المعنى الصحيح المعلوم، وأيُّ مصيبة نزلت لكي نبدّل المتعارف المفهوم. وقد ظهرت الحقيقة التي أراد الله ظهورها، فلا تكذّبوا بالحق لما جاءكم، ولا تُعرِضوا عن الثابت الموجود والمُعايَن المشهود. وقد بسطنا كلامنا دعوةً للطالبين، وأثبتنا الأمر من الكتاب والسُنّة وأقوال الأئمة وسلف الأمّة. فهل من رجل يتقي الله ويتخير سبل الصالحين؟

ومن أوهامهم أن هذا الحديث ليس حديث نبينا محمّدٍ المصطفى، بل هو قول الإمام الباقر، ولا نجد فيه اسم سيد الورى.

وأما الجواب فاعلم أن هذا أمر من أمور الدين، وما كان للباقر ولا لغيره أن يتكلم بكلام هو من شأن النبيين. وما قال الإمام الباقر ﷺ إنه قولي، وما عزاه إلى نفسه، فهذا هو الدليل القطعي على أنه قول خير المرسلين. والدليل عليه أنه مِن عادة السلف أنهم إذا نطقوا في الدين بقول، وما نسبوا القول المنطوق إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم من المؤمنين، وما بحثوا فيه كالمستدلّين، بل نطقوا كالمقلّدين، فيعنون من ذلك القول قولَ رسول الله ﷺ، ويذكرونه مُرسَلاً إشارةً إلى شهرته التي تُغني عن الاضطرار إلى تفتيش إسناد، فإنه أمرٌ أحكَمَه شهرتُه، فما بقيتْ حاجةُ عمادٍ آخر. هذا هو الحق فتقبَّلْ ولا تكن من الممترين.

ومن أعظم أوهامهم الذي نشأ مِن اتّباع الظن والهوى، وما مصَّ ثَدْيَ الصدق مَصاصةَ النوى، بل يتضاغى من الطوى، أنهم يقولون إن للمهدي كانت علامات قريبة من المئتين، فلا نقبَلك ولا نصدّق دعواك أبدًا إلا بعد أن نرى كلها برأي العين، وأما قبل ظهورها فلا نظنّك إلا مُفتريًا وناحِتَ المَيْنِ ومن الكاذبين، وهياتَ أن تُراجعك مقَتُنا، وتعلَق بك ثِقتُنا، إلا بعد أن يتحقق الآثار كلها فيك، ولن نتقبّل قبلها ما يخرُج مِن فيك، بل نحسبك من المفسدين.

أمّا الجواب فاعلم أن هذه كلها أوهام كالسراب اختُلب بها أولئك المَلأُ واستعذبوا عينَ العذاب، وقام العلماء مقامَ المُريب الخادع، فأضلّوا الخَلق وكذّبوا كلام الصادق الصادع، وقلبوا الحق كالدجّال الفتّان، وأغربوا في الافتنان، وجاءوا بتلبيس مبين. والحق الذي يلمَع كذُكاءٍ وينير القلوب بضياء، فهو أن الآثار المشتملة على الأنباء المستقبلة ليست سواء، بل على أقسام ودرجات، فمنها كبيّنات، ومنها كمتشابهات، فالخبر الذي حصحصت أنوار ظهوره، وتبيّنت لمعات نوره، وبان صدقه وحقيقته، وانكشفت سككه وطريقته، وعرَفه عقول الأكياس، وشهد عليه شهداءُ القياس، فظهر أن له سِمَةً حسنةً من حِلية الصـــداقة، وقد فُتِّشتْ وحُقِّقتْ على حسب الطاقة، وما بقِي كَسِرٍّ مُلْغَزٍ، أو كلام مُوجَز، بل استبان الحق ولَمَع الصدق، وجمع كلَّ ما يشفي العليل ويروي

الغليل، ورآه حزب من المعاينين؛ فهذا الخبر قد دخل في سلسلة البيّنات، ولا يتطرّق ضعف إليه ولو خالفه ألوف من الرواة وروايات الثقاة، فإن المشاهدات لا تبطُل بالمنقولات، والبديهيات لا تُزيَّف بالنظريات. مثلا.. إن كنت تعلم أنك حيّ وبقيدِ الحياة، فكيف تصدّق موتك بكثرة الشهادات؟ فكذلك إذا حصحص أمرٌ وبانَ، فلا يُقال إن راويه كان كاذبًا فكذَب ومانَ، وإذا بلغت الأنباءُ إلى مرتبة البينات، فلا تحتاج[2] صدقها إلى تحقيقِ تقوى الرُواة، بل هذه حِيَلٌ وُضِعَت لأخبار مأخوذة من الآحاد، ولو كانت متواترة ما كانت محتاجةً إلى هذا العماد. وصدق البيّنات بَـيِّنٌ كالشمس في نصف النهار، ولا يكذّبها إلا من كان جاهلا أو من الأشرار، وأمّا الأخبار التي ما بلغت إلى هذه المرتبة فهي لا تُطفئ نور البينات المشهورة البديهة، ولو كانت مئة ألف في العدّة، فإنها ليست بيّنة الأنوار، بل في حجب الاستتار، ولو فرضنا أن كلها حق باعتبار صدق الرواة، فلا تزول منها الحقائق الثابتة كالمرئيات، بل نؤوّلها ونحتاج حينئذ إلى التأويلات، فإن الآحاد من الأخبار ما بلغت إلى حد التواتر عند أولي الأبصار، فصدقها اعتبارية لا حقيقية[3] كالأمور المجرّبة، فإنّا لا نعرفها إلا باعتبار رواةٍ ظننَّا أنهم من أهل التقوى والضبط والحفظ والمعرفة. ونسبةُ هذه القاعدة إلى تحقيقاتٍ مبينة على المعاينة كنسبةِ التيمم إلى الوضوء عند أهل التحقيق والخبرة. فالذي فتح الله عليه أبواب الحقائق من وسائل حقيقية كاشفة للغطاء، أو من إلهامات صحيحة صريحة منــزّهة عن دخن الخفاء، فوجَب عليه ألا يتوجه إلى ما يخالفه ولا يؤثر الظنَّ على اليقين. وأنتم يا متّبعي الظنون، قد نسيتم الحق عمدًا، وتخيّرتم الظنّيات معتمدين أَوَدًا، ونسيتم الذي يعلِّم رشدًا، وقد قال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، والقول الثابت بوسائل حقيقية لا اعتبارية يُشابه محكَماتِ الفرقان، والأمر الذي لم يثبت إلا بوسائل اعتبارية فيشابه متشابهاتِ القرآن، فالذين في قلوبهم مرض يتّبعون المتشابهاتِ ويتركون المحكماتِ البيّنات، ومن لم يبلغ كلامه إلى يقين تام مملوّ من أنوار فما هو إلا كسُمّار. فمن الديانة أن نجعل المتشابهات تابعة للبيّنات. فإذا وجدنا أن واقعة من الواقعات قد تبيّنت، وأنوار صدقه ظهرت، فعلينا أن نؤوّل كل ما يخالفه من الروايات، ونجعله تحتها بحسن النيّات، ومن لم يقتدِ بهذه القاعدة فلم تزلْ نفسه في غيّ حتى تهلكه[4] غيّه بمُدى الجهلات.

والعاقل المتدبر ينظر في كيفية تحقُّق الأخبار لا في صور كثرة الآثار، فإذا رأى خبرا من الأخبار المستقبلة، والأنباء الآتية، أنه تبيّن وظهر صدقه كالأمور البديهية المحسوسة، فلا يُبالي آثارًا ما ثبتت إلى هذه المرتبة، ولو كانت رُواتُها كلهم ثقاتًا ومن الزمر المسلَّمة، بل يُعرِض عن كل ما خالَفَ طرقَ الأمور الثابتة، ويحسبه كالأمتعة الرديّة، ولا يشتري الاحتمالاتِ الضعيفة بالأمور البيّنة القويّة الواضحة، ويعلم أن الخبر ليس كالمعايَنة. وهذا هو القانونَ العاصم من العثرة والمذلّة، فإن الأمر الذي ثبت بالدلائل القاطعة.. كيف يزول بالأخبار الاحتمالية، وليس المُخبِر كالمُعايِن عند المحققين. أنسيتَ قولَ خاتَمِ النبيين، أو كنتَ من المجانين؟

والذين يجوّزون تقديم الآثار الضعيفة على الأخبار الثابتة المشهودة.. أعجبَني كيف ساغ لهم ذلك بعدما انكشف الغطاء عن وجه الحقيقة؟ وكيف قنِعوا على الظنون بعدما جاء الحق وتجلّت أنوار اليقين؟ هذا وقد أمررْنا النظر على آثارهم وأمعنّا في أخبارهم، فما وجدنا في أيديهم إلا ذخيرة الآحاد، وفي روايات المهدي كثير من التناقضات وأنواع الفساد. فهذا القانون الذي ذكرتُه والمعيار الذي قرّرته، خيرٌ ومبارك للذين يريدون تنقيح الأمور والتفصّي من الزور والمحذور، وهو أنفع وأطيب في أعين المحققين، وقول فصل للمتنازعين. فعليك أن تحقق أمرًا من الأمور حتى يظهر كالبيّنات، ولا يبقى فيه رائحة من المتشابهات، فإذا رأيتَ أنه حصحص وما بقي فيه ظلام الخفاء، وظهر كظهور الضياء، فاجعلْه قيّمًا وبَعلاً للمتشابهات التي ما انكشفت كالبينات، فإن انتظمَ بينهما الوفاق.. وإلا فالطلاق والتبرّي والانطلاق. وعليك أن تؤمن بالبينات المحكمات على وجه البصيرة مع الاتّباع والاقتداء، وتَرُدَّ عِلْمَ حقيقة المتشابهات الثابتة إلى حضرة الكبرياء، مع إيمانك المجمَل بتلك الأنباء، وهذا هو طريق الاتّقاء وسيرة الأتقياء، وهذا هو القانون العاصم من الخطأ، أو المنجّي مِن بليّةِ تشاجُر الآراء.

وإذا رأينا نبأ الكسوف والخسوف برعاية هذا القانون، فوجدنا ذلك النبأ ثابتًا ولامعًا كالدرّ المكنون. فكلما رأينا من رواية لا توافقه ولا تطابقه، بل وجدناها كمطيّة أبيّةِ القِياد، أو كأوابد كثيرة الشراد، فأعرضْنا عنها كإعراض الصالح من الفساد، فخُذْ تلك النِّكات، وتُبْ مما فات كالصالحين.

وأمّا قولك إن الحديث يدلّ على خسوف القمر في أوّل الليلة[5] فهذا جهل وحمق، ونبكي على عجزك وعلى هذه العَيْلة يا مسكين. انظر في الكتاب المسمّى "لسان

العرب"، الذي لم يُؤلَّف مثله عند أهل الأدب، قال: الهلال غُرَّةُ القَمَرِ حين يُهلُّ❻ الناسُ في غُرَّةِ الشهر. وقيل: يُسمَّى هلالاً لليلتين من الشهر، ثم لا يُسمّى به إلى أن يعود في الشهر الثاني. وقيل: يسمّى به ثلاث ليال ثم يُسمّى قمرًا. وقيل: يُسمّاه حتى يُحَجِّرَ. وقيل: يُسمّى هلالاً إلى أن يَبْهَرَ ضوؤُه سوادَ الليل، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة. قال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثرُ أن يُسمَّى هلالاً ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبيَّن ضوؤه. فانظر يا ذي العينين إن كنت من الطالبين.

والآن نرسم لك جدولاً ونُريك أن رسول الله ﷺ ما سمّى القمر في ليلة أولى من الشهر قمرًا، بل سمّاه هلالاً، فإن كنتَ تُنكره فأَخْرِجْ لنا خلاف ذلك، وإلا فاقبَلْ ما ثبت من رسول الله ﷺ إن كنت من المؤمنين.

التعداد	اسم الكتاب	الصفحة	مقام أيّ ق	المطبع	حصة من متن الأحاديث
١	صحيح البخاري	٢٥٥	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	أحمدي ميرٹھ	قال ثني عقيل ويونس لهلال رمضان إلخ
٢	صحيح البخاري	٢٥٥	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	أحمدي ميرٹھ	قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا
٣	صحيح البخاري	٢٥٦	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	أحمدي ميرٹھ	لا تصوموا حتى تروا الهلال إلخ
٤	صحيح مسلم	٣٤٧	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصاري دهلي	عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال
٥	صحيح مسلم	٣٤٧	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصاري دهلي	قال رسول الله ﷺ الشهر تسع وعشرون، فإذا رأيتم الهلال
٦	صحيح مسلم	٣٤٧	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصارى دهلي	قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الهلال
٧	صحيح مسلم	٣٤٨	كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال	أنصارى دهلي	ذكر رسول الله ﷺ الهلال
٨	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد.. إلخ.	أنصاري دهلي	واستهلّ عليَّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال

٩	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد. إلخ.	أنصاري دهلي	ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال
١٠	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد. إلخ.	أنصاري دهلي	قال تراءينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال.. إلخ
١١	صحيح مسلم	٣٤٨	باب بيان أن لكل بلد. إلخ.	أنصارى دهلي	إنّا رأينا الهلال فقال بعض القوم.. إلخ
١٢	صحيح مسلم	٣٤٩	باب معنى قوله ﷺ.. إلخ	أنصارى دهلي	قال أهللنا رمضان
١٣	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	فقال من رأى الهلال
١٤	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	وإنهما أهلاّه بالأمس
١٥	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلّة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال
١٦	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إذا رأيتم الهلال
١٧	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أعظم من بعض، فإذا رأيتم الهلال
١٨	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	رأى الهلال
١٩	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أعظم من بعض، فإذا رأيتم الهلال
٢٠	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنهما أهلاّه
٢١	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن الأهلة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال
٢٢	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنهما أهلاّه بالأمس
٢٣	سنن الدارقطني	٢٣٣	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	فشهدا عند النبي ﷺ بالله لأهلاّ الهلال أمس

٢٤	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنهم رأوا الهلال
٢٥	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس
٢٦	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إن رجلا شهد عند عليّ بن أبي طالب ﷺ على رؤية هلال رمضان
٢٧	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال الشافعي: فإن لم تر العامة هلال رمضان
٢٨	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال الشافعي: من رأى هلال رمضان وحده فليصمه، ومن رأى هلال شوّال
٢٩	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال مالك في الذي يرى هلال رمضان
٣٠	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	ومن رأى هلال شوّال
٣١	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قد رأينا الهلال
٣٢	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال أهللْنا هلال ذي الحجة
٣٣	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	رأينا الهلال فقال بعضهم: هو لثلاث، وقال بعضهم لليلتين
٣٤	سنن الدارقطني	٢٣٢	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	إنّا رأينا الهلال
٣٥	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال: أهللنا هلال رمضان
٣٦	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	واستهلّ عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال
٣٧	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	ذكر الهلال متى رأيتم الهلال

٣٨	سنن الدارقطني	٢٣٤	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	رجلان يشهدان عند النبي ﷺ أهما أهلاّه بالأمس
٣٩	سنن الدارقطني	٢٣٥	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	أصبح رسول الله ﷺ صائما صبحَ ثلاثين يوما فرأى هلال شوّال
٤٠	سنن الدارقطني	٢٣٥	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	قال رأى هلال شوّال
٤١	سنن الدارقطني	٢٣٥	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	حتى تروا الهلال
٤٢	سنن الدارقطني	٢٣٥	كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال	فاروقي دهلي	سألت الزهري عن هلال شوّال
٤٣	الترمذي	١٢١	أبواب الصوم، باب ما جاء في إحصاء هلال	فخر المطابع دهلي	أَحْصُوا هلال شعبان لرمضان
٤٤	المشكاة	١٦٦	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	.بمبئي سنة ١٢٨٢	قال رسول الله ﷺ لا تصوموا حتى تروا الهلال
٤٥	المشكاة	١٦٦	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	.بمبئي سنة ١٢٨٢	قال رسول الله ﷺ أحصوا هلال شعبان لرمضان
٤٦	المشكاة	١٦٦	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	.بمبئي سنة ١٢٨٢	إني رأيت الهلال يعني هلال رمضان
٤٧	المشكاة	١٦٦	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	.بمبئي سنة ١٢٨٢	قال تراءي الناس الهلال
٤٨	المشكاة	١٦٧	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	.بمبئي سنة ١٢٨٢	تراءينا الهلال فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين
٤٩	المشكاة	١٦٧	كتاب الصوم، باب رؤية الهلال	.بمبئي سنة ١٢٨٢	أهللنا رمضان

❶ سهو، والصحيح: "حظًّا" . (الناشر)

❷ سهو، والصحيح: "يحتاج" . (الناشر)

❸ سهو، والصحيح: "اعتباري لا حقيقي" . (الناشر)

❹ سهو، والصحيح: "يهلكه" . (الناشر)

❺ سهو، والصحيح: "ليلة" . (الناشر)

❻ سهو، والصحيح: يُهِلّه. (الناشر)

أفأنت تشكّ في حديث حصحصت صحّته وتبيّنت طهارته أنه ضعيف في أعين القوم، أو هو مورد اللوم، أو في رُواته أحد من المطعونين؟ أفذلك مقام الشك أو كنت من المجنونين؟ وقد صدّقه الله وأنار الدليل، وبرّأ الرُواةَ مما قيل، وأرَى نور صدقه أجلى وأصفى، فهل بقي شك بعد إمارات عظمى؟ أتشكّون في شمس الضحى؟ أتجعلون النور كالدجى؟ أتَعاميتم أو كنتم من العمين؟ أتقبلون شهادة الإنسان ولا تقبلون شهادة الرحمن وتسعون معتدين؟ أأنت تعتقد أن الله يُظهر على غيبه الكذّابين المفترين المزوِّرين؟ أتشكّ في الأخبار بعد ظهور صدقها؟ وإذا حصحصَ الصدق فلا يشك إلا من كان من قوم عادين. وهذا أمر لا يحتاج إلى التوضيح والتعريف، ولا يخفى على الزكيّ الحنيف، وعلى كل من أمعن كالمتدبرين.

ثم اعلمْ يا ذا العينين أن لفظ "النصف" لفظ ذو معنيين، فكما أن لفظ "الأول" يدلّ على أوّل وقت الليلة بالمعنى المعروف، ومع ذلك على ليلة أولى من أيام الخسوف، فكذلك لفظ "النصف" يدل على نصف ثان من نصفَيِ الشهر الموصوف، ومع ذلك على وقتٍ منصِّفٍ لأيام الكسوف، وهو أوّلُ نصفَي النهار في الثامنِ والعشرين. وأمّا أيام الكسوف مِن مولى علاّم فاعلم أنها عند أهل النجوم ثلاثة أيام، وهي من السابع والعشرين من الشهر القمري إلى التاسع والعشرين، وتنكسف الشمس في أحد منها عند اقتران القمر على شكل خاص بعد تحقُّقِ اختصاص، كما شهدتْ عليه تجارب

المنجّمين. فأخبر رسول الله ﷺ خيرُ الأنام أن الشمس تنكسف عند ظهور المهدي في النصف من هذه الأيام، يعني الثامن والعشرين قبل نصف النهار، وكذلك ظهر كما لا يخفى على أولي الأبصار. فانظر كيف تمّتْ كلمةُ نبينا صدقًا وعدلا، فاتق الله ولا تكن من الممترين.

ومن ههنا بانَ أن الذي خالف هذا البيان، وزعم أن الشمس تنكسف في السابع والعشرين أو في نصف رمضان فقد مان، وما فهِم قول رسول الله ﷺ وما مسّ العرفان، بل أخطأ فيه من قلّة البضاعة والعيلة، كما أخطأ في الخسوف في أوّل الليلة، وما كان من المصيبين.

وما قلتُ من نفسي بل هذا إلهام من ربّ العالمين. وذلك عصرٌ مجموعٌ فيه الناسُ كما جُمع القمر والشمس وقرُب البأس، فقوموا متنبّهين. أيها الأناس.. ما لكم لا يترككم النعاس؟ ومن كان من عند الله فما له الزوال، فامكروا كل المكر ولن تزول منكم الجبال، ولن تُعجزوا الله يا أبناء الضلال. إنه عزيز ذو الجلال، جعل على قلوبكم أكنّةً فلا تفقهون أسراره، وكنتم قومًا محجوبين. إنّما استزلّكم الشيطان ببعض ما كسبتم، فما فهمتم الحق وارتبم وطفقتم تتبعون بئس القرين.

وإن كنتم لا تقبلون ما ظهر كمُنكرٍ وقيحٍ، وتظنون أنه حديث غير صحيح، وأنه ليس من خير المرسَلين، فأْتوا بنظير من مثله في حِججٍ خلونَ من قبل زماننا إلى أواننا إن كنتم صادقين. وأَرُونا كتابا فيه

ذِكرُ رجل ادّعى أنه من الله الرحمن وأنه المهدي المسعود القائم من المحسن المنّان، وأنه المسيح الموعود لإطفاء نائرة أهل العدوان، وأنه أُرسلَ لإصلاح الزمان ليجدّد الدين ويعلّم طرق الإيمان، ثم كان دعواه مُقارنَ هذه الآية من الحكيم الحنّان، وجمَع الله في أيام ادّعائه الخسوفَين في رمضان، صادقًا كان أو من الكاذبين. وإن لم تأتوا بمثله، ولن تأتوا أبدًا، ولا تملكون إلا زبدًا، فاعلموا أنه آية لي من الله الوليّ، هو ربّي أيّدني من عنده وعلّمني من لدنه وتولاّني، وفتَح عليّ أبوابَ علوم الذين خلوا من قبل وجعلني من الوارثين.

ها أنتم كذّبتم بآية الله وما استطعتم أن تأتوا بمثلها. ومنكم قوم صدّقوا بعدما أمعنوا وحدّقوا، فأيّ الفريقين أحقُّ بالأمن يا معشر المستعجلين؟ ألا تخافون أنكم كذّبتم حديث المصطفى وقد ظهر صدقُه كشمس الضحى؟ أتستطيعون أن تُخرِجوا لنا مثله في قرون أولى؟ أتقرأون في كتابٍ اسمَ رجل ادّعى وقال إني من الله الأعلى، وانخسف في عصره القمرُ والشمس في رمضان كما رأيتم الآن؟ فإن كنتم تعرفونه فبيِّنوا يا معشر المنكرين، ولكم ألف روبية من الورق المروّج إنعامًا مني، فخُذوا إن تُثبتوا، وأُشهِدُ الله على عهدي هذا، واشهَدوا وهو خير الشاهدين. وإن لم تُثبتوا، ولن تثبتوا، فاتقوا النار التي أُعدّت للمفسدين.

قضَى بيننا المولى فلا تَعْـصِ قاضيا وأَطْفِئْ لَظَى الطَّغْوى وفارِقْ حاضيا
ووَدِّعْ وُجودَ الظالمين وَجُودضهم ولا تذكُرَنْ يُسرًا وعُسْـرًا ماضيا
وغادِرْ ذَرَى أهلِ الهوى ورِضاءَهُمْ وبادرْ إلى الرحمن واطلُبْ تَراضيا
ولا تَشْظَيَنْ مِثل الشَّذَى أو ضالِعٍ وكُنْ في شوارعِه ضَليـعًا نَاضِيا
وإنْ لَعَنَك السفهاءُ مِن طلبِ الهُدى فَكُنْ في مَراضي الله باللَّعْنِ راضيا

ثم إذا كانت حقيقة الكسوف بالتعريف المعروف أنه هيئةٌ حاصلة مِن حول القمر بين الشمس والأرض في أواخر أيام الشهر، فكيف يمكن أن يتكلم أفصحُ العجم والعرب بلفظٍ يخالف محاوراتِ القوم واللغةَ والأدب؟ وكيف يجوز أن يتلفظ بلفظٍ وُضع لمعنى عند أهل اللسان، ثم يصرفه عن ذلك المعنى من غير إقامة القرينة وتفصيل البيان؟ فإن صرف اللفظ عن المحاورة ومعانيه المرادة عند أهل الفن وأهل اللغة لا يجوز لأحد إلا بإقامة قرينة موصلة إلى الجزم واليقين.
وقد ذكرنا أن القرآن يصدّق هذا البيان، ولو كان الخسوف والكسوف في أيامٍ غير الأيام المعتادة بالتقليل أو الزيادة، لما سمّاه القرآن خسوفا ولا كسوفا، بل ذكره بلفظ آخر وبيّنه ببيان أظهر، ولكن القرآن ما فعل كذا كما أنت ترى، بل سمّى الخسوف خسوفا ليُفهِّم الناسَ أمرًا معروفًا. نعم.. ما ذكَر الكسوف باسم الكسوف، ليشير إلى أمر زائدٍ على المعتاد المعروف، فإن هذا الكسوف الذي ظهر بعد خسوف القمر كان غريبًا ونادر الصور، وإن كنتَ تطلب على هذا شاهدًا أو تبغي مُشاهدًا فقد شاهدتَ صُورَه الغريبة

وأشكاله العجيبة إن كنتَ من ذوي العينين. ثم كفاك في شهادته ما طُبع في الجريدتين المشهورتين المقبولتين.. أعني الجريدة الإنكليزية "بانير" (*Pioneer*)، وسِوِل مِلِتري كَزِت (*Civil & Military Gazette*)، المشاعتين في مارج سنة ١٨٩٤ والمشتهرتين.

وأمّا تفصيل الشهادتين فهو أن هذا الكسوف الواقع في ٦ إبريل سنة ١٨٩٤ متفرّد بطرائفه، ولم يُرَ مثله من قبل في كوائفه، وأشكاله عجيبة وأوضاعه غريبة، وهو خارق للعادة ومخالف للمعمول والسنّة، فثبت ما جاء في القرآن وحديث خاتم النبيين. ولا شك أن اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان مع هذه الغرابة أمر خارق للعادة. وإذا نظرتَ معه رجلا يقول إني أنا المسيح الموعود والمهدي المسعود والملهَم المرسَل من الحضرة، وكان ظهوره مقارنًا بهذه الآية، فلا شك أنها أمور ما سُمِع اجتماعها في أوّل الزمان، ومن ادّعى فعليه أن يثبِت وقوعَه في حين من الأحيان. ثم لما ظهرت هذه الآية في هذه الديار وهذا المقام، ولم يظهر أثرٌ منها في بلاد العرب والشام، فهذه شهادة من الله العلاّم لصدق دعوانا يا أهل الإسلام، فقُوموا فُرادى فُرادى، واتركوا مَن بخِل وعادَى، ثم تَفكّروا ودَعُوا عِنادا، ولا تلُقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تُفسدوا إفسادا، ولا تُعرضوا مستعجلين. يا عباد الله.. رحمكم الله. اتقوا الله ولا تتكبّروا، وفكِّروا وتَدبَّروا، أيجوز عندكم أن يكون المهدي في بلاد العرب أو الشام، وآيتُه تظهر في هذا المقام؟ وأنتم تعلمون أن الحكمة الإلهية لا

تُبعِدُ الآيةَ من أهلها وصاحبها ومحلّها، فكيف يمكن أن يكون المهدي في مغرب الأرض وآيته تظهر في مشرقها؟ فكفاكم هذا إن كنتم من الطالبين.

ثم مع ذلك لا يخفى عليكم أن بلاد العرب والشام خالية عن أهل هذه◈ الادّعاء، ولن تسمع أثرًا منه في تلك الأرجاء، ولكنكم تعلمون أني أقول مِن بضع سنين بأمر رب العالمين، إني أنا **المسيح الموعود والمهدي المسعود**، وأنتم تكفّرونني وتلعنونني وتكذّبونني، وجاءتكم البيّنات وأُزيلت الشبهات، ثم كنتم على التكفير مصرّين. أعجِبتم أن جاءكم منذر منكم على رأس المئة في وقت نزول المصائب على الملّة واشتداد العِلّة، وكنتم تنتظرون من قبل كانتظار الأهلّة، وقد جاءكم في أيامِ إحاطةِ الضلالات وتغيُّرِ الحالات، بعدما تركَ الناس الحقيقة، وفارقوا الطريقة؟ ألا تنظرون أو صرتم كالعمين؟ ألا تذكرون ما قال عالم الغيب وهو أصدق القائلين، **وبشّركم بإمامٍ آت في كتابه المبين**، وقال: ﴿**ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾◎. ولكلِّ ثلّةٍ إمامٌ، فانظروا هل فيه كلام، فأين تفرّون من إمام الآخرين؟

◈ *سهو، والصحيح: "هذا". (الناشر)*

◎ *الواقعة: ٤٠-٤١*

القصيدة

بُشرى لكم يا معشرَ الإخوانِ ... طُــوبى لكم يا مَجمَعَ الخُلاّنِ

ظهــرت بُروقُ عناية الحــنّانِ ... وبدا الصراط لمن له العيــنانِ

النَّــيِّرانِ بهــذه البُلــدانِ ... خُســفَا بإذن الله في رمضــانِ

وبشارةٌ مِن سيّدٍ خيرِ الورى ... ظهرتْ مُطــهّرةً من الأدرانِ

ولها كصاعقة السماء مَهابةٌ ... وتشــذُّرٌ كتشــذُّر الفرسانِ

اليومَ يومٌ فيه حصحصَ صدقُنا ... قد مات كلُّ مكــذِّبٍ فــتّانِ

اليومَ يبكي كلُّ أهل بصــيرة ... متذكِّــرًا لمراحــم الرحــمنِ

ومصــدِّقًا أنــوارَ نبأ نبــيِّناً ... ومعظِّــمًا لمــواهب المنّانِ

اليوم كلُّ مــبايع ذي فطــنة ... ازداد إيمــانا عــلى إيــمــانِ

اليوم من عادى رأى خُســرانَه ... والتاحَ مقــعدُه من النّــيرانِ

اليوم كلُّ موافق ذي قربة ... قد شدَّ رَبْطَ جــنانه بجــناني

ظهرتْ كمثل الشمس حجّةُ صدقنا ... أو كالخيول الصــافنات بشانِ

مات العِــدا بتفــكُّنٍ وتنــدُّمٍ ... والحــق بانَ كصــارمٍ عريانِ

اللهُ أكــبر كيف أبــدى آيــةً ... كشَف الغطا بإنارة الــبرهانِ

هل كان هذا فعلَ ربٍّ قادرٍ ... أم هل تراه مــكائدَ الإنسانِ

هذا نجومٌ أو من الجَفْرِ الذي ... فــكّرتَ فيه كمــفترٍ فَــتّانِ

فارجعْ إلى الحق الذي أخزى العدا ... وأهــانَ كلَّ مكــفِّرٍ لَــعّانِ

اليومَ بعدَ مرور شهــر صيامنا ... عــيدٌ لأقــوامٍ لــنا عِيــدانِ

الــيوم يــومٌ طيّب ومبــاركٌ ... يُخزي بآيتــه ذوي الطغــيانِ

مَن حارب المقبولَ حاربَ ربَّــهُ فهوى شَــقًا في هُوّة الخسرانِ
مَن كان في حفظ الإله وعَوْنه مَن يُهلكَنْه وإنْ سعى الثَّقَلانِ
كِيدُوا جميــعًا كلُّكم لإهانتــي ثم انظُروا إكــرامَ من صافاني
قُوموا لتحقــيري بعزمٍ واحدٍ ثم انظُروا إعظــامَ من والاني
كونوا كذئبٍ ثم صُولوا بالْمُدى ثم انظُروا إقــدامَ من ناجاني
هل يستوي أهل السعادة والشقا أفأنت أعمى أو أخُ الشيطانِ
الوقت يدعو مصلــحًا ومجدّدًا فارْنوا بنــظرٍ طــاهرٍ وجنانِ
أتظــنّ أنّ الله يخــلف وعــده أفأنت تُنــكرُ موعدَ الفرقانِ
يا أيها الناس اترُكوا طرق الإبا كُونوا لوجه الله من أعــواني
يا أيها العــادون في جهــلاتهم توبــوا من الإفساد والطــغيانِ
لا تُغْضبوا المولى وتُوبوا واتّقوا وكخــائف خرّوا على الأذقانِ
القمر يهديكم إلى نور الهــدى والشمس تدعوكم إلى الإيمــانِ
ظهرتْ لكم آياتُ خلاّق الورى في مُلْكــكم لمــؤيَّدٍ سبحاني
هل هذه مِن قسمِ عملِ مُنجِّمٍ أو آيةٌ عُظــمى عظيم الشــانِ
هذا حديثٌ مِن نبيٍّ مصطفى كهفِ الأنام وسيّد الشــجعانِ
جَلَتِ الفتوحُ وبان صدق كلامنا وتبــيّنتْ طرق الهدى ومكاني
أفبعدَما كُشف الغطا بقِي الإبا ويــلٌ لمجــترئٍ مُــصرٍّ جــانِ
ما كان قــطُّ ولا يكون كمثله شهرٌ بهذا الوصف في الأزمانِ
شهدتْ يد المولى فهل منكم فتىً يُبْدي المحــبة بعــدما عــاداني
وأراد ربّي أن يُرِي آياتهِ ويمــزّق الدجّال ذا الهــذيانِ

إني أرى كالميْتِ مَن آذاني لا تسمعَنْ أصواتَه آذاني
هذا زمان قد سمعتم ذكره من خيرِ خلقِ الله والقرآنِ
مَن فاته هذا الزمان فقد هوى واختار جهلا واديَ الخذلانِ
كم من عدو يشتُمون تعصّبًا ويرون آياتي ونورَ بياني
وخيالهم يطفو كحُوتٍ ميّتٍ لا ينظرون مواقعَ الإمعانِ
شهدتْ لهم شمس السماءِ ومثلها قمرٌ فيرتابون بعد عِيانِ
خرجوا من التقوى وتركوا طرقهُ بوساوسٍ دخلتْ من الشيطانِ
يا مُكْفِرِي أهلِ السعادة والهدى اليوم أُنزلتم بدارِ هوانِ
توبوا من الهفوات يغفر ذنبكم واللهُ بَرٌّ واسعُ الغفرانِ
قد جاء مَهْدِيْكم وظهرتْ آيةٌ فاسعوا بصدق القلب يا فتياني
عندي شهادات فهل من مؤمن؟ نورٌ يرى الداني فهل من دانِ؟
ظهرتْ شهادات فبعد ظهورها ما عذركم في حضرة السلطانِ
هذا أوان النصر من رب السما ذي مُصْمِياتٍ مُوبِقِ الفتّانِ
نزلتْ ملائكة السماء لنصرنا رَعَبَ العدا من عسكرٍ روحاني
دخلتْ بروق الدين في أرض العدا وبدا الهُدى كالدّرر في اللمعانِ
أفترقُبون كظالمين جهالةً رجلا حريصَ السفك والإثخانِ
لستم بأهلٍ للمعارف والهدى فتلاعبوا بالدّين كالصّبيانِ
لا تعرفون نكات صحفِ إلهنا تتلون ألفاظًا بغير معانِ
قد جئتكم مثلَ ابن مريم غربةً حقٌ وربّي يسمعَنْ ويراني
السيفُ أنفاسي ورُمحي كلمتي ما جئتكم كمحاربٍ بسِنانِ

حقٌّ فلا يسع الورى إنكارُهُ فاترُكْ مراءَ الجهل والكفرانِ
يا طالبَ الرحمن ذي الإحسان قُـــمْ والهًا واطلُبْه كالظـــمآنِ
بادِرْ إليّ سأُخبرنّك مشفـــقًا عن ذلك الوجه الذي أصـــباني
أَحرِقْ قراطيس البغاوة والإبا واركَنْ إلى الإيقـــان والإذعانِ
أُعطيتُ نورًا مِن ذُكاء مهيمنٍ لأُنـــيرَ وجـــهَ البرِّ والعـــمرانِ
بارزتُ للهِ المهـــيـــمنِ غـــيرةً أدعو عـــدوَّ الدّين في المـــيدانِ
واللهِ إنّـــي أوّلُ الشـــجـــعان وستعرفَنَّ إذا التـــقى الجمعانِ
من كان خصمي كان ربّي خَصْمَهُ قـــد بارزَ المـــولى لمـــن باراني
إنّي رأيتُ يد المهيمن حافِظي ومؤيِّـــدي في سائر الأحـــيانِ
مِن فضله إني كتبتُ معـــارفا أدخلتُ بحر العـــلم في الكيزانِ
يا قوم في رمضان ظهرتْ آيتي **من ربّنا الـــرّحمن والـــديّانِ**
فاقـــرأْ إذا ما شئتَ آيـــةَ ربنا ﴿**خَسَفَ الْقَمَرُ**﴾ وتَجافَ عن عدوانِ
ثم الحـــديث **حديث** آل **محمد** شرحًا لما يتلى **مـــن الـــفرقانِ**
هـــذا كلامُ نبـــيّنا وحبـــيبنا فافـــرَغْ إليه وخَـــلِّ ذِكْرَ أداني
هذا أشدُّ على العدا وجموعهم مِن وقـــعِ سيفٍ قاطع وسنانِ
والحُـــرُّ بعد ثبوت أمرٍ قاطـــعٍ يُهْدَى ولا يصـــغى إلى بهتانِ
لا تُعرِضوا عنّي وكيف صدودكم عن مُرسَلٍ يهـــدي إلى الفرقانِ
ما جاءني قومي شقًا وتَباعدوا فتركـــتُهم مع لوعة الهـــجرانِ
إني رأيت بهـــجرِ قوم فارقـــوا حـــالاً كحالة مُرسَلٍ كَنْعاني
وسألتُ ربّي فاستجاب لِيَ الدُّعا فرجعتُ مَجْـــلُوًّا من الأحزانِ

إنّ العــدا لا يفهمون معارفي ويكـــذّبون الحـــق كالنشوانِ
لا ينـــظرون تــدبّرًا وتفـــكّرًا وتأبّطـــوا الأوهـــامَ كالأوثانِ
إن العقول على النقول شواهدٌ تحـــتاج أثقـــالٌ إلـــى مـــيزانِ
إن النُّـــهى مَلَكَتْ يداه قلوبَنا ونرى بَريقَ الحق بالـــبرهانِ
إن العدا يئسوا إذا كُشفَ الهدى فالـــيوم ليس لهم بذاك يَـــدانِ
يا لاعِـــني خَفْ قَهْرَ ربٍّ قادرٍ **والله إني مســـلم ذو شـــانِ**
والله إنـــي صـــادق لا كاذبٌ **شهـــدتْ سماء الله والمَـــلَوانِ**
وَدَّعْتُ أهوائي لحُبِّ مهيمني وتركتُ دنياكم بعطفِ عِناني
وتعلّقَتْ نفسي بحضرةِ ملجأي وتـــبرّأتْ مِن كل نَشْبٍ فـــانِ
لا تعجَلوا وتَفكَّروا وتَدبَّروا والعقل كل العـــقل في الإمعانِ
إن كنتَ لا تبغي الهدى وتُكذّبُ فأَضِـــرَّني بجـــوارحٍ ولســـانِ
والْعَنْ ولعنُ الصادقين وسبُّهم متـــوارثٌ من قـــادمِ الأزمـــانِ
لن تُعـــجزوا بمكائد ربَّ السما لله سلطانٌ عـــلى السلطانِ
اُنظُرْ ذُكاءً ثم قمرًا مُنصـــفًا هـــذان للكـــذّاب ينخسفانِ؟
يا لاعني خَـــفْ قَهْرَ ربٍّ شاهدٍ ويُريك آياتٍ من الإحســـانِ
قمر القـــدير وشمسه بقـــضائه خُسفَا وأنت تَصول كالسِّرحانِ
لله آيـــات يُريهـــا بعـــدهـــا هـــذان قد جاءاك كالعنوانِ
هذا من الله الكـــريم المحـــسنِ فاستيقـــظوا من رقدة العصيانِ
من كان في بئر الشقا متهافتًا لا يُنصَرَنْ بل يُهلَكَنْ كالعاني
لا تحســـبوا بَرَّ الفساد حديقةً عَذْبَ الموارد مثمِرَ الأغصانِ

لا تظلموا لا تعتدوا لا تجرُؤوا ... وتَباعــدوا عن ذلك اللّهــبانِ

لا تُكفِروا يا قومِ ناصِرَ دينكم ... واخشَوا المليكَ وساعةَ اللقيانِ

قد جئتكم يا قومِ من ربّ الورى ... بُشــرى لتــوّابٍ إذا لاقــاني

أُرسلتُ من ربّ الأنام فجئتُكم ... فاسعوا إلى بســتانه الــريّانِ

هذا مقام الشــكر إنّ مُغيثكم ... قد خصَّكم بعــنايةٍ وحنانِ

يا قــوم قُوموا طاعةً لإمامكم ... وتَباعــدوا مِن معــتدٍ لَعّــانِ

قد جاء يومُ الله فارْنُوا واتقوا ... وتَســتَّروا بمــلاحفِ الإيمــانِ

لا يُلْهِكم غولٌ دنيٌّ مفســدٌ ... عن ربكم يا معــشرَ الحَــدَثانِ

قد قلتُ مرتجِــلاً فجاءت هذه ... كالدّر أو كســبيكة العقــيانِ

ما قلتُــها من قــوتي لكــنها ... دُرَرٌ مــن المولى ونظمُ بنــاني

يا ربِّ بارِكْها بوجهِ محــمدٍ ... رَيْق الكرام ونُخــبة الأعــيانِ

ثم اعلم أن الله نفث في روعي أن هذا الخسوف والكسوف في رمضان آيتان مخوِّفتان، لقوم اتبعوا الشيطان، وآثروا الظلم والطغيان، وهيّجوا الفتن وأحبّوا الافتنان، وما كانوا منتهين. فخوّفهم الله بهما وكلَّ مَن تبع هواه وخانَ، وترَك الصدق ومانَ، وعصى الله الرحمن؛ فيتأذّنُ الله لئن استغفَروا ليغفِرَنّ لهم ويُرِي المنَّ والإحسانَ، ولئن أَبَوا فإن العذاب قد حان. وفيهما إنذار للذين اختصموا من غير الحق وما اتقوا الرب الديّان، وتهديدٌ للذي أبى واستكبر وما ترك الحِران، فاتقوا الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

وما لكم لا تخافونه وقد ظهرت آية التخويف من رب العالمين. وقد ثبت في الصحيحين عن نبيِّ الثَّقَلينِ وإمامِ الكَونَينِ ﷺ في الدارينِ، أنه قال لتفهيم أهل الإيمان إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آياته يخوّف الله بهما عباده، فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة، فانظُرْ كيف أوصى سيدُ السادات وخاتم النبيّين. وفي الحديث إشارة إلى أن تلك الآيتين من الرحمن مخصوصتان لتخويف عُصاة الزمان، ولا يظهران إلا عند كثرة المعاصي وغلوّ الخَلق في العصيان، وكثرة الخبيثات والخبيثين، ولأجل ذلك أمر ﷺ عند رؤيتهما لفعل الخيرات والمبادرة إلى الصالحات من الصلوات والصدقات بإمحاض النيات والدعاء والبكاء كالقانتين والقانتات، والرجوعِ إلى الله والذكر والتضرعات، والقيام والركوع والسجدات، والتوبة والإنابة والاستغفار، وطلبِ المغفرة

من الغفار، والخشوع والابتهال والانكسار، ومثلِ ذلك على حسب الطاقة من الإحسان وفَكِّ الرقبة والعتاقة ومواساة اليتامى والغرباء، والتذلل كل التذلل في حضرة الكبرياء، ربّ السماوات والأرضين. فكان السرّ في هذه الأعمال والخشوع والابتهال أن الشمس والقمر لا تنكسفان إلا عند آفة نازلة وداهية منـــزلة، وعند قرب أيام البأس وانعقاد أسباب الشر الذي◈ هي مخفية عن أعين الناس، ويعلمها رب العالمين. فتقتضي رحمة الله تعالى وحكمته التي تري اللطف والجمال، أن يعلّم الناسَ عند كسوفٍ طرقًا هي تدفع موجباتِه وتزيل سيّئاته، فعلّمهم هذه الطرقَ على لسان خير المرسلين. ولا شك أن الحسنات يُذهبن السيّئات، وتطفي نيرانًا دموعُ المستغفرين. وإذا عمل عبدٌ عملا صالحا بإمحاض النية وكمال الطاعة، وأرضى به ربه بتحمُّل الأَذِيّة، فيعارض هذا العملُ الذي كَسَبَه الشرَّ الذي انعقد سببُه، فيجعله الله من المحفوظين. وهذا من سنة الله أن الدعاء يردّ البلاء، ولا يلتقي دعاء وبلاء إلا وإن الدعاء يغلب بإذن الله إذا ما خرج من شفتَي الأوّابين، فطوبى للدّاعين.

وإذا كان كسوف أحد من الشمس والقمر دالاًّ على آفات الزمان، ومُوجِبَ أنواعِ البلايا والخُسران، فما بالُ زمان اجتمع فيه كسوفانِ، فاتقوا الله يا معشر الإخوان، ولا تكونوا من الغافلين.

◈ سهو، والصحيح: "التيّ". (الناشر)

لا يقال إن النــيّرَين ينكسفان من أسباب أُثبِتَتْ بالبرهان، وفُصِّلتْ في الكتب بتفصيل البيان، فما لها ولآفات تتوجه إلى نوع الإنسان، عند كثرة العصيان؟ لأن الأمر الذي مُثْبَتٌ عند أولي العرفان هو أن الله خلَق الإنسان ليُدخِله في المحبوبين المقبولين أو المردودين المطرودين، وجعَل تغيُّراتِ العالم دالّةً على خيره وشره، ونفعه وضرّه، وجعَل العالم له كمثل المبشِّرين والمنذِرين؛ وكلما أراد الله مِن عذاب وتعذيب أهل الزمان، فلا ينـــزل إلا بعدما أذنبتْ أيدي الإنسان، وأصرّ عليه كإصرار أهل الطغيان، واعتدى كالمجترئين.

وقد جعل لكل شيء سببًا في العالمين، وجعَل كلَّ آية مخوّفة في الزمان تنبيهًا لأهل الشقاوة والخسران، وإنذارًا للمسرفين، ومبشرةً للذين نزلوا بحضرة الوفاء، وحلّوا محلّ الصفاء والاصطفاء منقطعين. وهذه سنة مستمرة، وعادة قديمة، تجد آثارها في قرون خالية، من حضرة متعالية، وكذلك جاء في كتب الأولين. وإن كنتَ في شك فانظر الإصحاح الثاني من صحف يوئيل والثاني والثلاثين من حزقيل، واتق الله ولا تتبع سبل المجرمين.

وحاصل الكلام.. أن الخسوف والكسوف آيتان مخوّفتان، وإذا اجتمعا فهو تهديد شديد من الرحمن، وإشارةٌ إلى أن العذاب قد تقرّر وأُكِّدَ من الله لأهل العدوان. ومع ذلك مِن خواصّهما أنهما إذا ظهرا في زمان وتجلَّيا لبلدانٍ، فينصر الله أهلَها المظلومين، ويقوّي المستضعَفين المغلوبين، ويرحم قومًا أُوذوا وكُفّروا ولُعنوا من غير

حق، فينـــزل لهم آيات من السماء، وحمايات من حضرة الكبرياء، ويخزي المنكرين المعادين، ويحكم بالحق وهو أحكم الحاكمين. ويقضي بين المتشاجرين، ويقطع دابر المعتدين، فتصيبهم خجالةٌ وإحجام، وتندُّم وانهزام، وكذلك يجزي الكاذبين. يحبّ الضعفاءَ الأتقياء، ويُجيح أصلَ المفسدين الذين يتركون وصايا الحق ومواقعها، ويَقْفُون ما ليس لهم به علم، ويقولون آمنّا بالقرآن وما هم بمؤمنين. يصرّون على أمور لا يعلمون حقيقتها، وأُمروا بالتزام طرق التقوى فتركوها، وكفّروا إخوانهم المؤمنين. أولئك يئسوا من أيام الله وبشاراتها ونبذوها وراء أبعَدِ المُبعَدين، وسيعلمون كيف يكون مآل المفتّنين الخائنين.

ومن **خواص هذين الكسوفين** أنهما إذا اجتمعا في رمضان، الذي أنزل الله فيه القرآن، فيُشيع الله بعدها العلومَ الصادقة الصحيحة، ويُبطِلُ البدعاتِ الباطلة القبيحة، ويهوي الناس إلى إمامهم باستعدادات شتى، وتجري من العلوم الحقة أنهارٌ عظمى، ويتوجه الخَلق من القشر إلى اللُّبّ، ومن البُغض إلى الحُبّ، ومن المجاز إلى الحقيقة، ومن التَّيْهِ إلى الطريقة، ويتنبه الذين أخطأوا مشربَهم من الحق والصواب، ويرجع الذين سرّحوا أفكارهم في مرعى التباب، ويتندم الذين ضاع من أيديهم تعظيمُ الإمام، ويتطهّر الذين تلطّخوا من أنواع الآثام، ويهيج تلك التأثيراتُ في قوى الأفلاك بحكمِ مالك الإحياء والإهلاك، فيمتلئ العالَمُ من الوحدانية وأنوار العرفان،

ويُخزي الله حُماةَ الشرك والكذب والعدوان، وتأتي أيامُ جذبات الله بعد أيّام الضلال، وتجد كل نفسٍ ما تليق بها من الكمال، فمن كان حَرِيًّا بمعارف التوحيد يعطى له غَضٌّ طَرِيٌّ من حقائق الكتاب المجيد، ومن كان مستعدًّا للعبادات، يُعْطى له توفيق الحسنات والطاعات، ويجعل الله مقامَ المجدِّد مركزَ البلاد ومرجع العباد، ويبلغ أثره إلى أقصى الأرضين.

فالحاصل أن من خواصّ هذا الاجتماع رجوعَ الخَلق إلى الله المطاع، وعُسْرَ المتكبرين ويُسْرَ المنكسرين. ولله فيها تجلّيات جمالية وجلالية، فلا تعجب فإن الحضرة متعالية. فتقديم القمر على الشمس إشارةٌ إلى تقديم التجلّي الجمالي، وانكسافُ الشمس بعده إشارةٌ إلى التجلّي الجلالي، فاتقوه إن كنتم متقين. وفي هذا التجلي الجلالي والجمالي إشارةٌ إلى أن مهدي آخر الزمان ومسيح تلك الأوان يوصف بكل نوعِ فقر وسيادة، ويعطى نصيبًا معتدًّا به مِن كل سعادة، ويصبَّغ بصبغ القمريِّين والشمسيِّين، والجماليِّين والجلاليِّين، بإذن أحسن الخالقين. فلا تتيهوا في بَوادي الوسواس، واعلموا أنّ مَقْتَ الله أكبر من مقت الناس، فلا تتبعوا خطوات الخنّاس، وأْتوني مؤمنين. وأدعو اللهَ أن يهب لكم فهمًا وبصرًا ولسانًا وقلبًا وأُذنًا ووجدانًا، ويهديكم ويجعلكم من المهتدين.

اعلموا يا معشر الغافلين أن الله لا يضيع الدّين، وقد جرت سُنّته واستمرّت عادته، أنه إذا جاء زمان الظلام وجُعِل دينُ الإسلام

غَرَضَ السهام، وطال عليه ألسنةُ الخواصّ والعوامّ، واختار الناسُ طرقَ الارتداد، وأفسدوا في الأرض غاية الإفساد، فتتوجه القيّوميّة الإلهيّة إلى حفظه وصيانته، ويبعث عبدًا لإعانته، فيجدّد دينَ الله بعلمه وصدقه وأمانته، ويجعل الله ذلك المبعوث زكيًّا وبالفيوض حريًّا، ويكشف عينَه ويهَب له علمًا غضًّا طريًّا، ويجعله لعلوم الأنبياء من الوارثين. فيأتي في حُللٍ تُقابلُ حُللَ فساد الزمان، وما يقول إلا ما علّمه لسان الرحمن، وتُعطَى له فنون من مبدأ الفيضان، على مناسبات فساد أهل البلدان. ثم لا تعجب مِن أن روحانية القمر تقبَل بعضَ أنوار الله في حالة الانخساف، وروحانية الشمس في وقت الانكساف، فإن هذا من أسرار إلهية، وعجائبات ربانية، فلا تكن من المرتابين.

وربما يختلج في قلبك أنّ القرآن لا يشير إلى رمضان، فاعلَمْ أنّ الفرقان ذكره على الطريق المجمَل المَطْوِيّ، وهو كاف للبصير الزكيّ، ولا حاجة إلى تفصيل وتبيين.

وأما إذا سألت شيئًا عن تفصيله، فأعلّمك أقلَّ من قليله، فاعلم أن الله تبارك وتعالى أسّس نظام الدين من رمضان، فإنه أنزل فيه القرآن، فلما ثبتتْ خصوصية هذا الشهر المبارك بنظام الدين، وفيه **ليلة القدر** وهو مبدأ لأنوار الدين المتين، وثبت أن العناية الإلهية قد توجهت إلى نظام الخير في رمضان وأجرت الفيضانَ، فبانَ أن الله لا يتوجه إلى إعانة النظام في آخر أيام الظلام إلا في ذلك الشهر المبارك

للإسلام. وقد عرفتَ أن الانخساف والانكساف توجُّهٌ جماليّ وتجلٍّ جلاليّ، وفيه أنوارٌ لنشأة ثانية، وتبدلات روحانية، وهو لبنة أولى لتأسيس نظام الخير وتعمير المساجد وتخريب الدير، وتغلُب فيه القوى السماوية على القوى الأرضية، والأنوار المسيحية على الحِيل الدجّالية، ويُري اللهُ خَلْقَه سراجًا وهّاجًا، فيدخلون في دين الله أفواجًا، وكان قدرًا مقضيًّا من ربّ العالمين.

القصيدة

قـــد جـــاء يومُ الله يومٌ أطيبُ ... بُشرى لذي رُشد يقوم ويطلبُ

سبقتْ يدا جبّارِنا سيفَ العدا ... فترى العدوَّ النِّكْسَ كيف يُترَّبُ

وأنا المسيحُ فلا تظـنّنْ غيرَهُ ... قد جاءك المهدي وأنت تُكذِّبُ

هل غادرَ الكفارُ من نوع الأذى ... أم لا ترى الإسلام كيف يُذوَّبُ

حلّتْ بأرض المسلمين جموعهم ... وخبيـــثُهم يؤذي النبيَّ ويَأْشبُ

إني أرى إيذاءهم وفسادهم ... ويذُوب روحي والوجودُ يُثقَّبُ

عينٌ جرتْ مِن قطرِ دمعٍ عينُها ... قلبٌ على جمر الغضا يتقـــلبُ

مِن كل قُنّاتٍ وجبلٍ شاهـــقٍ ... وشوامخٍ نسلوا ووُطِئَ المِجْنَبُ

وعلى قِنان الشامخـــات مصيبةٌ ... عُظمى فأين الوهد منهم مَهرُبُ

ريح المَصايف قد أطالت لهبها ... مِن سَوْمِها وسهامِها نتعجبُ

ما بقِي مِن سبب ولا من رُمَّةٍ ... إلا الــذي هو قادر ومسبِّبُ

شبّوا لظى الطَّغوى فبعد ضرامه ... هاجَ الدخان وكل طرف يشغبُ

حَرَقٌ كجبلٍ ساطعٌ أسنامُه ... فِتَنٌ تبـيد الكائنات وتنـهَبُ

إنـــي أرى أقـــوالهـم كأسِـنّة ... تؤذي القلوبَ جروحُها وتعذِّبُ

أو كابنِ عمِّ المرهَفـات كَلالةً ... أو كالسهام المُصمِيات تُتبِّبُ

ظَلَـعوا إلى ظلمٍ وزيغٍ حِشْـنَةً ... وإلى كلامٍ يُؤذِيَـنْ ويحـرِّبُ

وأرى الدنيَّ الغُولَ يهوي نحوهم ... وإلى أشائبِ قومهــم يتـأشّبُ

إبلٌ من الفاقـات أُحْنِقَ صلبُها ... فاختـار أديارًا لقُوتٍ يكسبُ

ليسوا من الأسرار في شيء هُدًى ... ما إنْ أرى مَن بالدقائق يَأْرَبُ

ما آمنوا حتى إذا **خَسَفَ القمرْ** عَلِهَتْ قلوبُ المنكرين وأُنِّبوا
يئسوا من الرحمن والكلِم التي كانوا عليها قائمين وثُرِّبوا
أو لم تكُنْ تدري قلوبُ عِدا الهدى أن المهيمن يُخْزِيَنْ مَن ينكُبُ
أو لم تكنْ عينُ البصير رقيبَنا هل يستوي الأتقى ورجلٌ أَحْوَبُ
ظهرت علامات الخسوف بليلة طَلَقٍ لذيذٍ والرواعدُ تصخَبُ
متفرقٌ غيمُ السماء وزَجْلُه بِيْضٌ كأنّ نِعاجَ وادٍ تَسْرُبُ
طورًا يُرى مثل الظباء بحسنها أخرى كآرام تميسُ وتهرُبُ
قَمَرٌ كظُعْنٍ والسحابُ قِرامُها والريحُ كِلَّتُها ليُنْهَى الأجْنَبُ
صُبّتْ على قمر السماء مصيبةٌ وكمثلنا بزوالِ نورٍ يَرعَبُ
إني أرى قطرًا لديه كأنّه يبكي كرجل يُنْهَبَنْ ويُخيَّبُ
يا قمرَ زاويةِ السماء تصبّرَنْ مثلي فيدركك النصيرُ الأقربُ
أَبْشِرْ سينحسر الظلامُ بفضله إن البليّةَ لا تدوم وتذهَبُ
إن المهيمن لا يُضِيع ضياءَه فلكلِّ نورٍ حافظٌ ومؤرِّبُ
هذا ظلام الساعتين وإنني مِن بُرهةٍ أرنو الدُّجى وأُعذَّبُ
تَلِجُ السحابَ لِتَبْكِيَنَّ تألُّمًا والصبر خيرٌ للمصاب وأصوَبُ
ذرفتْ عيونُك والدموعُ تحدّرتْ من مثلك الأوّاب هذا أعْجَبُ
هلا سألتَ مجرِّبًا عند الأذى ولكلّ أمرٍ عقدةٌ ومُجرِّبُ
تبكي على هذا القليل من الدُّجى سِرْنا بجَوف الليل يا مُتأوِّبُ
أُثني على ربّ الأنام فإنه أبدى نظيري في السماء فأَطْرَبُ
قمرُ السماء مشابهٌ بقريحتي كطَلِيحِ أسفارِ السُّرَى يتطرَّبُ

نَصَعَتْ مقاصـــدُ ربّنا بخـــسوفه   فاطلُبْ هداه وما أخالُك تطلُبُ

ظهرتْ بفضل الله في بلـــداننا   آياتُه العظـــمى فتوبوا وارْهَبوا

قمرٌ كمثل ظعيـــنةٍ في ظعنها   شاقَتْك جلوتُه وفيها ترغَبُ

وَدَقُ الرواعد قد تعرَّضَ حولهُ   إرْزامُـــها في كل حين يُعْجِبُ

غيمٌ كأطـــباقٍ تَصـــرُّ خـــيامُه   رعدٌ كمثل الصالحين يُؤوِّبُ

قمـــرٌ بحِلْيته مُشاكـــهةِ الـــدَّمِ   وجهٌ كغــضبانٍ يهُول ويُرعبُ

في جَلْهَـــتَيْه بدا السحابُ كأنّه   كَفَفٌ على أيدي التي هي تَغْضَبُ

قد صار قمرُ الله مطعونَ الدُّجَى   ليلٌ منيرٌ كافـــرٌ فتعـــجَّبوا

إني أراه كَنُـــؤْيِ دارٍ خَرِبَةٍ   لم يبق إلا مثل طَلَلٍ يَشْجَبُ

كُسفَتْ ذُكاءُ الله بعد خسوفه   إني أراها مـــثل دارٍ تُخْـــرَبُ

كُسفَتْ وظهَر الكَدْرُ في أجْزَاعِها   عَفَت الإنارةُ مثل ماءٍ يَنْضَبُ

حتى انثنتْ في الساعتين ككافرٍ   ضاهتْ نذيرًا يُكْفَرَنْ ويُكذَّبُ

وتبيّنتْ صورُ الظلام كأنها   ألقتْ يدًا في الليل أو هي كوكبُ

النَّـــــيِّرانِ تجاوَبا في أمرنا   قاما كشهداءٍ وزالَ الهَيْدَبُ

لما رأيتُ النّيِّرَينِ تكسَّفَا   وأنارَ وجهُهما وزال الغَيهبُ

ففهمتُ من لطف الكريم بخطّتي   أن السَّنا بعدَ الدّجى مُترقّبُ

النـــــيّرانِ يُبشِّران بنصرنا   غَرَبَا ونـــيِّرُ ديننا لا يَغْرُبُ

يا معشر الأعداء توبوا واتقوا   والله إني مُرسَلٌ ومقرَّبُ

إن كان زعمُ العلم علّةَ كِبركم   فأْتوا بمثل قصيدتي وتَعرَّبوا

هذا ما أردنا لإزالة أوهامكم وتسكيتكم وإفحامكم، فاقطعوا خصامَكم واجتنبوا آثامكم، وفكِّروا على وجه الجِدّ لا العبث، واخشَوا جلال الله لا قولَ الشيخ والحَدَث. وأيها الشيخ ضعيف النظر، تُبْ فإنك عن الحق تميل، وتعالَ أُعالجْ عينك وعندي الكُحْلُ والمِيل، ويزيل الله بَلْبالَك، ويصلح ما عَرَى بالَك، إن كنت من الطالبين. ولا تقُلْ إنّي أعلم علومًا كذا وكذا، فإنّا نعرفك ونعلم من أنت ولا تخفى، وعهدي بك سفيهًا، فمتى صرت فقيهًا؟ ألا تترك فضولك ولا تغادر غُولك؟ ألستَ من المستحيين؟

وقد طويتُ ذكر أخبار المهدي في هذا الكتاب، فإني فصّلتُه في كتب أخرى للأحباب، إلا أنني ذكرتُ في هذا آيةً عظيمة هي أوّلُ علامة لظهوره وأوّلُ سهمٍ من الله لتأييد مأموره، فإن النـــــيِّرَين قد خسفا، ورآهما كل ذي عينَين، فنابا منابَ عَدْلَين، فتوبوا واذكروا قولَ سيّد الثَّقَلَين، وقد حصحص الصدق فلا ينكره إلا متّبع المَين. فلا تفرحوا بما لديكم، ولا تصفّقوا بيديكم، ولا تمشوا مزهوّين مرِحين متغامزين بعينَيكم، ولا تغرّدوا بملء شَدْقَيكم، ولا ترقصوا ولا تخالفوا بين رجلَيكم، فإن الله قد أخزاكم وأراكم جزاء اشتطاطكم، وعاداكم فلا تحاربوا الله إن كنتم متّقين.

وإن كنتم تظنون أن المهدي والمسيح يخرجان بالسيف والسنان ويصبّغون◈ الأرض بالسفك والإثخان، فما نشأ هذا الوهم إلا من

◈ *سهو، والصحيح: "ويصبغان". (الناشر)*

سوء جهلاتكم وزيغ خيالاتكم، وما كان الله مُهلِكَ أهل الأرض قبل إتمام الحجّة وتكميل الموعظة. أيُهلِكُ عباده وهم كانوا غافلين غير مطّلعين؟ ألا ترون المَغْربيّين من الأقوام الإنكليزية والملل النصرانية.. ما بلَغهم شيء من معارف القرآن ودقائق الفرقان، وتاللهِ إنّهم كالصبيان غافلون من أسرار دين الرحمن. أيجوز قتل الصبيان عندكم؟ بيِّنوا إن كنتم تعلمون قوانين الدين المتين.

ستقولون هذا دجّال يخالف عقائدنا القديمة ويبدّل الأصول العظيمة، فاعلموا أن الله لا يُنـــزِل آياته لتأييد الدجّال، ولا يؤيّد من كان أهل الضلال. فاعلموا أني لست بكذّاب ولا أتبع طرق تباب، ولكنكم كنتم قومًا عمين. واللهُ يعلم ما في قلبي وقلبكم ويعلم الكاذبين. يؤخّر الذين عصوا لأجلٍ معدود، فإذا تمّت الحجة وانكشفت المحجّة، فيتوجه رِجزُ الله إلى العادين. سنّةٌ قد خلت من قبل، ألا ترون سوانح المرسلين؟

ثم إنكم تعلمون أنّ الذين جعلهم الله حاكمين في دياركم لا ترون منهم إلا كرم الطبع، ولا يؤذونكم باللَّذْع والقَذع، وإذا تحكّموهم فيعدِلون، ويحقّقون ولا يعدِلون، ويحافظون ولا ينهَبون، وإذا سألتموهم فيعطون ولا يمنعون. ولا شكّ أنهم يُحسنون ولا يظلمون، ولا يمنعوننا من شعائر ديننا أينما يُعقَد شِسْعٌ أو يُشَدُّ نِسْعٌ، ولا يبطشون جبّارين. فأحسِنوا إلى الذين أحسَنوا إليكم، والله يحب المحسنين. واشكروا الله أنه أعطاكم حُكّامًا لا يؤذونكم في دينكم،

ولا يزجرونكم من إشاعة براهينكم، ففكِّروا ولا تعثوا في الأرض مفسدين. وإن كنتم تبكون مِن صفر يديكم ومرقع نعليكم، فعسى أن يُغنيكم الله من فضله ويعطيكم من مننه، فتوبوا إليه وأصلِحوا فإنه يتولى الصالحين. قُوموا لإشاعة القرآن وسِيروا في البلدان، ولا تَصبُوا إلى الأوطان، وفي البلاد الإنكليزية قلوب ينتظرون إعاناتكم، وجعل الله راحتهم في معاناتكم، فلا تصمتوا صموتَ مَن رأى وتَعامى، ودُعي وتحامى. ألا ترون بكاء الإخوان في تلك البلدان وأصوات الخلان في تلك العمران؟ أصرتم كالعليل وصار كسلُكم كالداء الدخيل، ونسيتم أخلاق الإسلام ورِفق خير الأنام، وصارت عادتكم سُهُومة المُحَيّا، وسُهُوكة الرَّيّا، ويُبرّحكم السيرُ المطوِّح من البنات والبنين. قُوموا لتخليص العانين وهداية الضالين، ولا تكبّوا على سيفكم وسنانكم، واعرِفوا أسلحةَ زمانكم، فإن لكل زمان سلاح آخر وحرب آخر، فلا تجادلوا فيما هو أجلى وأظهر. ولا شك أن زماننا هذا يحتاج إلى أسلحة الدليل والحجة والبرهان، لا إلى القوس والسّهم والسّنان، فأعِدُّوا للأعداءِ ما ترون نافعًا عند العقلاء. ولن يمكن أن يكون لكم الفتح إلا بإقامة الحجّة وإزالة الشبهة، وقد تحركت الأرواح لطلب صداقة الإسلام، فادخُلوا الأمرَ من أبوابه ولا تتيهوا كالمستهام. فإن كنتم صادقين وفي الصالحات راغبين، فابعثوا رجالاً من زمرة العلماء ليسيروا إلى البلاد الإنكليزية كالوعظاء، ليُتمّوا على الكَفَرة حُجَجَ الشريعة الغرّاء، ويؤيّدوا زُمَرَ الأصدقاء،

ويقوموا لهم معاونين. والأمر الذي أراه خيرًا وأنسب وأصلح وأصوب، فهو أن يُنتخب لهذا المهم رجل شريف عارف لسان الإنكليزية كحِبِّي في الله المولوي حسن علي، فإنه من ذوي الهمة وإنه صالح لهذا◈ الخطة، ومع ذلك تقيّ زكيّ وجريٌّ لإشاعة الملة. ولكن هذه المُنْية لا تتمّ إلا بهممِ رجال ذوي مال، الذين يبذلون جهدهم لخدمة القوم ولا ينظرون إلى اللائم واللوم. وتعلمون أن هذا السفر يحتاج إلى زاد يكفي، ورفيقٍ يعلَم العربية ويدري، فعاوِنوا بأموالكم وأنفسكم إن كنتم تحبّون الله ورسوله، ولا تقعدوا مع القاعدين.

واعلموا أن الإسلام مركزٌ وعمود للعالم الإنساني، لأن المُلك الجسماني ظِلٌّ للمُلك الروحاني، وجعَل الله سلامته في سلامته وكرامته في كرامته، وكذلك جرت سنة رب العالمين. وإن الله إذا أراد أن يُعلِي قوما فيجعل لهم هِممًا في الدين، وغيرةً للصراط المتين، فقُوموا للأعداء، ولكن لا كالسّفهاء، بل كالعقلاء والحكماء، ولا تتخيروا ظُلمًا ولا يخطُرْ في بالكم هواه، بل أطيعوا الله وأشيعوا هداه، والله يحبّ الطاهرين. فالرجاء مِن حميّتكم الإسلامية وغيرتكم الدينية أن أَعِدّوا الأسباب كالعاقلين لا كالجاهلين والمجانين. ولا شك أن تفهيم الضالين الغافلين واجب على العلماء العارفين، فقوموا لله وأشيعوا هُداه، ولا تؤمِّلوا عليها جزاءً مِن سواه. وأَرسِلوا في تلك

◈ *سهو، والصحيح: "هذه". (الناشر)*

الديار وبلادِ أهل الإنكار رجُلَين عارِفَين، وإن كنتم تشاورونني وتسألونني فقد قلتُ وبيّنت لكم اسم رجل رأيتُ فضله وعلمه ومتانته وحلمه برأي العين. نعم إنّه يحتاج إلى رفيق آخر أو رفيقَين من الذين كانوا في لسان العرب ماهرين، وفي علم القرآن متبحرين، فأعينوه في هذا يا معشر المسلمين. فإن فعَلْتم وكما قلتُ عمِلْتم، فتبقى لكم مآثرُ الخير إلى آخر الزمان، وتُبعَثون مِن أحبّاءِ الرحمن، وتُحشَرون في عباد الله المجاهدين، فاسْمِحوا، رحمكم الله، وقوموا لله قانتين.

أقول لكم مثلا فاستمِعوا له كالمنصِفين. كلُّ رجل يرضى أن يبذل كلَّ ما يملكه لينجو مثلاً من مرض احتباس الضِّراط، فما له لا يرضى لإعانة الدين والصراط؟ أليس عنده قدرُ الصراط كقدر الضراط؟ فتَفكَّروا كالمستحيين. ثم إعانة الدين من أعظم وسائل الفلاح وذرائع الصلاح، مع جميل الذكر وطيب الثناء واللحوق بالأولياء. ليس من البرّ أن يكفِّر بعضكم بعضا، ويعتدي كذوي العدوان، ويترك أعداء خير الإنس والجانّ، ولكن البرّ مَن جاهد في سبيل الله بجهاد يناسب طورَ الزمان، فاطلبوا عملاً مبرورًا عند الله إن كنتم تطلبون مرضاة الرحمن، وخُذوا سِير الصالحين.

يا معشر الإخوان.. قد ضعف ديننا الذي ما يسبقه النـــيِّرانِ، وكثرت المفاسد في الزمان، وهذا أمر لا يختلف به اثنان، ولا تنطق بما يخالفه شفتانِ، وترون أنّ القوم قد وقعوا في أنيابِ غُـــول

الضلال وبدَتْ الوجوه على أقبح الحال، وقد ضعُفْنا في كُلّيّاتنا وجُزئيّاتنا، فالعياذ بالله من شر المآل. وليس لنا وسيلة لرفع هذه الغوائل والوبال، من غير رفعِ كَفِّ الابتهال، فقد جاء وقت بذل الهمّة وصرف الحميّة والغيرة كالرجال، وإن لم تسمعوا فعليكم ذنب الغافلين. ألا ترون إلى شؤوننا المتنــزلة، وأيّامنا المُدبِرة، ومصائبنا اللاحقة؟ ما نزلت هذه البلايا إلا لغفلتنا وتغافُلنا في ملّتنا، وعسى أن يرحم الله إن كنتم تائبين.

ومن ذهب إلى البلاد الإنكليزية خالصا لله فهو أحد من الأصفياء، وإنْ تدركه الوفاة فهو من الشهداءِ. فيا حُماةَ الملّة، ويا أهلَ الغيرةِ والحميّة، ويا نُصراءَ الشريعة المحمدية، اعرفوا الزمان فإن الحين قد حان، وهذا هو الزمان الذي كنتم تؤمّلونه، وهذا هو الأوان الذي ما زلتم ترجونه، وهذا هو المهدي الذي تنتظرونه. إن القمر والشمس ينخسفان، والليل والنهار يشهدان، فهل أنتم تأتونني يا معشر الإخوان أو تولّون مُدبرين؟ ها أنتم وجدتم ما كنتم فقدتم، فبادروا إلى الفضل الذي نزل إليكم، والمجدِّد الذي بُعث لديكم، فلا تشكَّوا ولا ترتابوا، وقُوموا بهممٍ تزول بها الجَبال وتهرب الأفيال، ولا تحقّروا أيامَ الله فيحلّ بكم غضبُه ويتوجه إليكم لهبُه، فاتقوا مقت الله ولا تتكلموا مجترئين.

وإني سمعت أنّ بعض الجهلاء وطائفة من السفهاء، يقولون إنّ الخسوف والكسوف في رمضان، وإنْ كنا نجد مُؤيِّدَه الفرقانَ، ومع

ذلك يوجد في الأخبار ويتلى في الآثار، ولكنا لسنا بمطمئنين وعالمين بأنه ما وقع في أول الزمان، وما ثبت غرابته عند أهل الأديان، فكيف نكون مستيقنين؟

أما الجواب فاعلموا أيها الجهلاء والسفهاء، أن هذا حديث من خاتم النبيين وخير المرسلين، وقد كُتب في الدارقطني الذي مرّ على تأليفه أزيد من ألف سنة، فاسألوا المنكرين. فإن كنتم من المرتابين فأَخْرِجوا لنا كتابًا أو جريدة يوجد فيه دعواكم ببرهان مبين، وأْتوا بقائل يقول إني رأيت كمثل هذا الخسوف والكسوف قبل هذا إن كنتم صادقين. ولن تستطيعوا ولن تقدروا على ذلك، فلا تتبعوا الكاذبين.

ألم تعلموا أن علماء السلف كانوا منتظرين لهذه الآية وراقِبي هذه الحجةِ قرنًا بعد قرنٍ وجِبلّةً بعد جبلّة؟ فلو وجدوها في قرن لكانوا أوَّلَ الذاكرين في كُتبهم وما كانوا متناسين. فإنهم كانوا يعظّمون هذا الخبر المأثور، ويُحصُون في رِقْبَتِه الأيامَ والشهور، وينتظرونه كالمغرمين، وكانوا يحنّون إلى رؤية هذه الآية، ويحسبون رؤيتها من أعظم السعادة، فما رأوها مع مساع كثيرة وأنظار متتابعة أثيرة، ولو رأوها لذكروها عند ذكر هذه الأخبار وتدوين هذه الآثار. وأنت تعلم أن تأليفاتهم سلسلة متتابعة لا يغادر قرنا من القرون إلى زماننا الموجود المقرون، ومع ذلك لا تجد فيها أثرًا من ذكر وقوع هذه الآية. أفأنت تظن أنهم ما ذكروها مِن حُجب الغفلة؟ وإن كنت

تزعم كذلك فهذا بهتان مبين. وكيف تظن هذا وأنت تعلم أنهم كانوا حريصين على جمع حوادث الزمان، ومجهشين بتدوين ما لحِقها النيِّرانِ، فمَن زعم أنه وقع في وقتٍ من الأوقات، فقد تبع المَفترياتِ، وآثر على قول رسول الله ﷺ أراجيفَ الكاذبين. وها أنا أقول على رؤوس الأشهاد لجميع أهل البلاد، أنه من أنكر هذه الآية من ذوي شَنَآن، فليس عنده من برهان، ولا يتكلم إلا مِن ظلم وعدوان، فإن عندنا شهادةً كلِّ زمانٍ. الكتب موجودة، والمعاذير مردودة، وقد كتبنا هذا لإيقاظ النائمين.

أيها الناس.. اقبَلوا أو لا تقبَلوا، إن الآية قد ظهرت، والحجة قد تمّتْ، ولن تستطيعوا أن تُخرِجوا لنا نظيرا آخر لهذا الخسوف والكسوف، فلا تُعرِضوا عن آية الله الرحيم الرؤوف. وهذا آخر كلامنا في هذا الباب، ونشكر الله على تأليف هذا الكتاب، ونصلي على رسوله خاتم النبيين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القصيدة

فَدَتْكَ النفسُ يا خيرَ الأنامِ رأينا نورَ نَبْئِك في الظلامِ

رأينا آيةً تسقي وتُرْوِي وتشفي الغافلين من السَّقامِ

رأينا النَّيِّرينِ كما أشرتَا قد انخسفا لتنوير الأنامِ

بحمد الله قد خسَفا وكانا شريكَيْ مِحَنٍ أيّامِ الصِّيامِ

أتانا النصر بعد ثلاثِ مئةٍ وبعدَ مرورِ مُدّة ألف عامِ

بدا أمرٌ يُعين الصادقيـــنا ولا يُبقِي شكوكَ ذوي الخصامِ

بدا بطلٌ يحارب كلَّ خصمٍ ويضرب بالصّوارم والسّهامِ

فليس لمنكر عذرٌ صحيح سوى التسويل زورًا كالحرامي

فهذا يومُ تَهْنئةٍ وفتحٍ وتنجيةِ الخلائق من أثامِ

إذاما عَيَّ قومي مِنْ جوابٍ فمالوا نحو هَذْيٍ كالجَهامِ

وقالوا آيةٌ لبني حُسينٍ ومنهم نرقُبَنْ بَعْثَ الإمامِ

فقلتُ اخْشَوا إلهًا ذا جلالٍ وفِرّوا نحو عَيني بالأُوامِ

ولا يدري الخفايا غيرَ رَبِّي وما الأقوام إلا كالأسامي

وأي ثبوتِ نسبٍ عند قومٍ سوى الدعوى كأوهام المنامِ

ونحن الوارثون كمثلِ وُلْدٍ ورِثْنا كلَّ أموال الكرامِ

فتوبوا واتقوا ربًّا قديرًا مليكَ الخَلق والرسلِ العظامِ

ومَن رامى فأين يفرّ منا وإنا النازلون بأرضِ رامي

وردنا الماءَ صفوًا غيرَ كدرٍ ويشرَب غيرُنا وَشْلَ الإجامِ

أتاني الصالحون فبايَعوني وخافوا ربّهم يومَ القيامِ

وأمّا الطالحون فأكفَروني ولعنوني وما فهموا كلامي
وأفتَوا بالهوى من غيرِ علمٍ وقالوا كافرٌ للكُفْر كامي
وصالوا كالأفاعي أو ذئابٍ وإن الله للصِّدّيق حامي
لقد كذَبوا وخلاّقي يراهم وللشيطان صاروا كالغلامِ
فلا واللهِ لستُ ككافرينا فدَتْ نفسي نبيًّا ذا المقامِ
وأصباني النبيُّ بحسنِ وجهٍ أرى قلبي له كالمستهامِ
وذِكرُ المصطفى رَوْحٌ لقلبي وصار لِمُهْجتي مثل الطعامِ
وخصمي يجلَعَنْ مِن غير حقٍّ ويأمَنُ مَكْرَ ربٍّ ذي انتقامِ
سيبكي حين يُضحِكنا القديرُ وقلنا الحق مِن غيرِ احْتشامِ
يخيّبني عدوّي مِن ورائي يبشّر ذو العجائب مِن قُدامي
وإني سوف يدركني إلهٌ عليم قادر كهفي مرامي
أأنت تُكذِّبَنْ آياتِ ربي أأنت تُعادِيَنْ سبلَ السلامِ
لنا مِن ربنا نور عظيم نُريك كما يُرَى برق الحُسامِ

الاشتهار
لتَبْكيت النصارى وتَسْكيت كلّ مَن بارَى

قالت النصارى إن لنا نصابًا تامًّا ونصيبًا عامًّا من العربية، وقد لَحقتْ بنا من المسلمين جماعةٌ سابقون في العلوم الأدبية، وجَمٌّ غفير من أَهل الفنون الإسلامية. وقالوا إن القرآن ليس بفصيح بل ليس بصحيح، وكنا على عيوبه مُطّلعين. وألّفوا كُتُبًا وأشاعوا في البلاد، ليضلّوا الناس ويُكثروا فساد الارتداد. وقالوا إنا نحن كنّا مِن فحول علماء الإسلام وأفاضل الكرام العظام، وفكَّرْنا في القرآن ونظرنا إلى الكلام، فما وجدنا بلاغته وفصاحته على مرتبة الحسن التام وملاحة النظام، كما هو مشهور عند العوام، بل وجدناه مملوًّا من أغلاط كثيرة وألفاظ ركيكة وحشية، وليس في دعواه من صادقين. وكذلك حقّروا كتاب الله المبين، وكانوا في سبّهم وطعنهم معتدين. فألهمَني ربّي لأُتمّ حُجّة الله عليهم، وأُرِي الخَلق جهل الفاسقين، فألّفتُ هذه الرسالة وجعلتُها حصّتَين: حصّة في ردّ كلماتهم، وحصّة في آية الكسوفين. وأُقسم بالذي أنزلَ الفرقان وأكمل القرآن، لقد كان كلّهم جهلاء، وما مسّوا العلم والعرفان، ومن قال إني عالم فقد مان. فمن ادّعى منهم أن له دخل في العربية، ويد طولى في العلوم الأدبية، فأحسنُ الطرق لإثبات براعته وتحقيق صناعته ووزن بضاعته، أن يتصدّى ذلك المدّعي لتأليف مثل ذلك الكتاب وإنشاءِ

نظيرِ هذا العُجاب، بالتزام الارتجال والاقتضاب. وإني أمهّل النصارى مِن يوم الطبع إلى شهرين كاملين، فليُبادر من كان من ذوي العلم والعينين. وقد أُلهمتُ من ربّي أنّهم كُلّهم كالأعمى، ولن يأتوا بمثل هذا، وإنهم كانوا في دعاويهم كاذبين. فهل منهم مَن يُبارز برسالة، ويجلّي في هيجاء البلاغة عن بسالة، ويكذّب إلهامي ويأخذ إنعامي، ويتحامى اللعنةَ ويُعين القوم والملّة، ويجتنب طعن الطاعنين؟

وإني فرضتُ لهم **خمسة آلاف** من الدراهم المروّجة بعهد مؤكَّد من الحلف بكل حال من الضيق والسعة، بشرط أن يأتوا بمثلها فُرادى فُرادى، أو بإعانةِ كلِّ مَن عادى، وإن لم يفعلوا، ولن يفعلوا، فاعلموا أنهم جاهلون كذّابون، وفاسقون خبّابون. إذا ما غُلبوا خُلبوا، لا يعلمون شيئًا من علوم هذه الملّة ومعارف تلك الشريعة. يؤذون المسلمين من غير حق، ولا يرتاعون قهر رب العالمين.

ما لِلْعِدا مالوا إلى الأهواءِ مالوا إلى أموالهم وعلاءِ
عادَوا إلهًا واسعَ الآلاءِ مولًى وَدودًا حاسمَ اللأْواءِ
مَلِكُ العُلا ومُطهِّرُ الأسماءِ أهلُ السماح وأهلُ كلّ عطاءِ

الراقم

ميرزا غلام أحمد القادياني عُفي عنه

١٨ مئي سنة ١٨٩٤ الجمعة

الكلامُ الكُلّي

في تَنْبِيه المُكفِّرين المجترئين
وإتمام الحُجّة على المزوّرين المكذّبين

اعلموا أن هذا الكتاب يؤدّب كلَّ من اجترأ على أولياء الرحمن، وغفل عن مراتب أهل العرفان، وقد ألّفتُ حصّتَيه بفضل الله المنّان، فهُما كرامتان لعبدٍ لا يعلم شيئا إلا ما علّمه إلهامُ القدير الحنّان. وإن الله يؤيد قومًا بلغوا في الإخلاص مقاما لم يبلغه أحد من أهل الزمان، ويُعطي لهم ما لم يُعطَ أحد من نوع الإنسان، ويجعل بركة في أفعالهم وأقوالهم، ونورًا في أنظارهم وأفكارهم، ويُرِي الخَلْق أنهم كانوا من المؤيَّدين المقبولين. وكذلك جرت سُنّته واستمرت عادته أنه يُكرِم المتّقين، ويُهين الفاسقين، ولا يضيّع عباده المخلصين. وإذا أعطاهم أمرًا لإظهار كراماتهم وإعلاء مقاماتهم، فالمخالفون لا يقدرون أن يأتوا مثله ولو أفنَوا أعمارهم في الأفكار، وأهلكوا أنفسهم في الإنظار، وما كان لعبد أن يُبارز الله وعباده المنصورين. فإن العلم المأخوذ عن المحدَثات لا يساوي علمًا حصل من ربّ الكائنات، وهل يستوي البصير والذي كان من العمين؟ وهل يستوي الذين يتمتعون ببركات السماء والذين هم أهل الأرضين؟ كلا.. بل يجعل الله لأوليائه فرقانًا، ويزيدهم علمًا وعرفانًا، ويُعينهم في طرقهم كلها رحمةً منه وحنانًا، ويُبطِل كيد المفسدين. وإذا أراد الله أن يُخزي

عبدًا من العباد، فيجعله من أعداء أوليائه ومن أهل العناد، فيتكلم فيه ويؤذيه، وتخرُج كلماتُ الشر مِن فيه، وربما يُمهِله ربُّه لقلّةِ فهمه وكثرة وهمه، وعجزِه عن إدراك السرّ ومبانيه لعلوّ معانيه، فإذا فهِم الحقيقةَ وما اختار الطريقة فيسقط مِن عينِ رعاية الرحمن، وينـــزع الله منه نورَ الإيمان، ويُلحِقه بالخاسرين.

وهذا نوع من أنواع كرامات الأولياء، فإن الله يُخزي لإكرامهم كلَّ أهل الدعاوي والرياء. فالذين يرمونني بالكفر والزندقة، ويحسبونني من الكَفَرة الفَجَرة، **كالشيخ البطالوي** ذي النخوة والبطالة، وكلّ مَن أفتى بكفري ونسَبني إلى الفسق والضلالة، وما حمَل كلماتي على المحامل الحسنة، فها أنا أدعوهم كلهم كدعوتي للنصارى لهذه المقابلة وأناديهم لهذه المناضلة، إن كانوا من الصادقين، وعُلّمتُ من ربّي أهم من المغلوبين.

ووالله إني لستُ من العلماء ولا من أهل الفضل والدهاء، وكلّ ما أقول من أنواع حسن البيان أو من تفسير القرآن، فهو من الله الرحمن. وكل ما أخطأتُ فيه فهو منّي، وكل ما هو حق فهو من ربي. وإنّ ربّي أرواني من كأس العرفان، ومع ذلك ما أُبرّئ نفسي من السهو والنسيان، وإن الله لا يتركني على خطأٍ طرفةَ عين، ويعصمني من كلّ مَيْن، ويحفَظني من سبل الشياطين.

فيا أهلَ الأهواء والدعاوي والرياء، إن كنتم تحسبون أنفسكم من أولي العلم والفضل والدهاء، أو من الصلحاء والأولياء والأتقياء، أو

من الذين يُسمَع دعاؤهم كالأحبّاء، فأْتوا بمثل ذلك الكتاب في جميع الأنحاء، وأَرُوني علمكم وقدركم في حضرة الكبرياء. وإن لم تفعلوا.. ولن تفعلوا.. يا معشر السفهاء، فتَأدّبوا مع أهل الحق والنور والضياء، ولا تعتدوا كل الاعتداء، وما هذا إلا صنيعة الربّ القويّ، لا فعل الغرباء والضعفاء. وإن الكرامات تظهَر في وقت توهين الأعداء، وإن عباد الله يُنصَرون عند انتهاء الجَور من أهل الجفاء، وإذا بلغ الظلم غايتَه فيدركهم رب السماء. فتوبوا من المعائب والعثرات، وبادِ+روا إلى الحسنات والصالحات، وإن الحزامة كل الحزامة في قبول الكرامة، فاقبَلوها قبل الندامة، واتّقوا سوادَ الخزي والملامة ونكالَ القيامة، فطوبى لكم إن جئتم كالتائبين المتندّمين.

وهذا خاتمة النصيحة وخاتمة إفحام العِدا وإتمام الحجة، والسلام على من قبِلنا قبل المذلّة، وترَك سبيل المجرمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الراقم الحقير

المفتقر إلى الله الصمد **غلام أحمد** عافاه الله وأيّد

وكان هذا مكتوبًا في ذي القعدة سنة ١٣١١

مِن هجرةِ نبيِّ العهد ومقبولِ الأحد ﷺ من الأزل إلى الأبد